

الفلاکة ولفلوکون

تألیف

سُهاب الدین احمد بن علی

العلوی

مکتبۃ الأندلس

بنیاد - شارع المتنبی

الفلاحة ومفلكها

تأليف
مولانا شهاب الملة والدين
احمد بن علي الدلجي

مكتبة الأندلس
شارع المتنبى
بغداد

مطبعة الآداب - النجف

١٣٨٥ هجرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لمن يستحق الحمد لذاته وهويته ، ويستوجب الشكر لكمال
الآهية ، وتنقاصر الأوهام عن دقائق اقداره وأفضيته ، وتتحير الأفهام
في لطائف آلائه ورأفته، وتدهش العقول في كمال مصنوعاته وحكمته ،
وتقف الأفكار حيرى في كبريائه وقاهرته . الخلق مهجورون محجوجون
بساطع حجته ، والقلوب في تصرفه يقلبها كيف يشاء على وفق مشيئته .
ما من شيء إلا وفي خزائنه غير معدوم ، وما نزل إلا بقدر معلوم .
« ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين » . على علمه الخير والشر ،
والنفع والضر ، والحركة والسكون ، والشمس والقمر والنجوم مسخرات
بأمره كل في فلك يسبحون . جعل لكل أجل كتاباً ، وللمسيبات اسباباً ،
وربط المسيبات بالأسباب وهو خالق الأسباب والمسببات ، وأوقع الشبع
عقيب الأكل دائماً على العادة وهو غني عن العادات ، وهب العقل فيسر
به سواء السبيل ، وركب الخرق فنقص به الحظ من التحصيل . « ما
من دابة إلا هو آخذ بناصيتها انه على صراط مستقيم » ، « انما امره اذا
أراد شيئاً ان يقول له كن فيكون » . اغنى وأقنى ، وأضحك وأبكى
وأما واحيا . « لا يستل عما يفعل وهم يسئلون » .

واشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، ما شاء كان وما لم
يشأ لم يكن ، يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم أشد عذاب أليم

واشهد ان محمداً عبده ورسوله الهادى باذنه الى صراط مستقيم
« عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وذويه ، وسائر أتباعه وأوليائه ومحبيه وسلم تسليماً كثيراً .
(وبعد) فقد منحتكم يا معشر إخواني المفاتيح كتاباً بديع المثال ،
منسوجاً على غير منوال ، مختراعاً من غير سابقة مثال مسلاة وتمثلاً
وحكمة وعللاً ، تتخذونه مفاكهة وأمثالاً ، وتصرفون به في ظنونكم رداً
واعمالاً ، وتزعون به أيديكم من ربة انتزاعاً ، وترفعون به نحو الأغراض
والمقاصد شريعاً .

وكان المحرك لهذه الكتابة أن سائلاً سأل عن السبب في علية الفلاكة
والإهمال على نوع الإنسان ، فصادف مني نشاطاً للكلام في ذلك نفثة
مصدور وضربة موتور ، وناراً ساكنة ألقمها حطباً ، ودعوة وافقت
إرادة ومطلباً .

وانا اعتذر عما لا يوافق الغرض ولا يصيب الغرض ، وعن استبدال
الجوهر بالعرض ، بأن استكشاف أسرار الدقائق واستشفاف أنوار الحقائق
مما يتعذر أو يتعسر مع العوائق البدنية والصوارف النفسانية ، ولو كان
الخطر صقيلاً باتراً ومواد الكلام بحراً زائحاً ، فكيف اذا كانت الفكرة
كليلة ، والبضاعة من العلم قليلة ، والصوارف متناصرة ، والبواعث متقاصرة
والشواغل الى حد المنع من معاودة التنقيح والتهذيب ، والوقت ضيق عن
اختيار الألفاظ وجودة الترتيب ، والكتب مفقودة أو مستعارة ، والهموم
تشن غارة بعد غارة .

هذا مع ان المحترعات التي لم تسبق بتصنيف ولا بتدوين وترصيف
لا تبلغ بها الفائدة نصابها ، وتفتح للمعاذير أبوابها . ومن الله استمد العصمة
من وصمة الغلط ، وغوائل الأوهام وبوادر السقط ، وأن يوفقنا لإخلاص

النية واحسان الطوية .

ورببت مقصود هذا الجمع في فصول :

(الفصل الاول) في تحقيق معنى المفلوك الذي قصر عليه هذا الكتاب

(الفصل الثاني) في خلق الأعمال وبيان ان لا حجة للمفلوك في

التعلق بالقضاء والقدر .

(الفصل الثالث) في أن التوكل لا ينافي التعلق بالأسباب وان الزهد

لا ينافي كون المال في اليدين .

(الفصل الرابع) في الآفات التي تنشأ من الفلاكة وتستلزمها الفلاكة

وتقتضيها .

(الفصل الخامس) في أن الفلاكة والإهمال ألصق بأهل العلم وألزم

لهم من غيرهم وبيان السبب في ذلك .

(الفصل السادس) في مصير العلوم كمالات نفسانية وطاعة ليس إلا

بعد كونها صناعة من الصنائع وحرقة من الحرف وبيان السبب في ذلك .

(الفصل السابع) في علية الفلاكة والإهمال والإملاق على نوع

الإنسان وبيان السبب في ذلك .

(الفصل الثامن) في أن الفلاكة المالية تستلزم الفلاكة الحالية .

(الفصل التاسع) في أن التعلق والخضوع وبسط اعذار الناس

والمبالغة في الاعتذار اليهم واطهار حبههم ومناصحتهم من احسن احوال

المفلوكين وأليق الصفات بهم وأفضى الطريق بهم الى مقاصدهم وبيان

الدليل على ذلك .

(الفصل العاشر) في تراجم العلماء الذين تقلبت عنهم دنياهم ولم يحظوا

منها بطائل .

(الفصل الحادى عشر) في مباحث تتعلق بالفصل قبله ومن المباحث

النكبات الحاصلة للاعيان .

(الفصل الثاني عشر) في أشعار المفلوكين أو من في معناهم وما فيها من مقاصد شتى وبيان أن الحامل عليها إنما هو الفلاكة .

(الفصل الثالث عشر) في وصايا يستضاء بها في ظلمات الفلاكة نختم به الكتاب .

الفصل الاول

في تحقيق معنى المفلوك

هذه اللفظة تلقيناها من أفاضل العجم ، ويريدون بها بشهادة مواقع الإستعمال الرجل الغير المحظوظ المهمل في الناس لإملاقه وفقره ، وليس في صحاح الجوهري ولا في القاموس المحيط في هذه المادة ما يصلح لهذا المعنى إلا قول صاحب القاموس « فلك تفليكا : اذا لجّ في الأمر » فإنه يمكن أن يجعل مصححا لهذا الاستعمال .

وبيانه ان اللجاج لازم الإملاق ، فإنه يلزم من الإملاق وعدم الحظ اللجاج ، فيكون من باب إطلاق اللازم واردة الملزوم .

وهذا مع ما فيه من التكلف مردود بأن فعل تفعيلا لا يصح أن يكون اسم المفعول منه بزنة مفعول ، والذي يظهر انه مأخوذ من الفلك الذي هو جسم محيط بالعالم ، فكأن الفلك يعارض غير المحظوظ في مراده ويدافعه عنه فان قيل : هذا فاسد لفظاً ومعنى : أما اللفظ فلأن الفلك اسم

جامد لا يصح ان يشتق منه صيغة مفعول ، ولا يصح اشتقاقه من الفلك لما فيه من معنى الإستدارة ، لأن الفلاكة بمعنى عدم الحظ ليست من معنى الاستدارة في شيء ولا على الحجاز ، على معنى ان عدم الحظ لما استنازم الحركة والاضطراب والجولان كان إطلاقها واردة من باب إطلاق اللازم

وارادة الملزوم ، لأن اللازم لعدم الحظ هو مطلق الحركة والاضطراب لا الحركة المقيدة بالاستدارة . وأما المعنى فان اشتقاقه من الفلك على معنى ان الفلك يعارضه في مراده ويدافعه عنه غير مستقيم ، لما تقرر في الكتب الكلامية أن الله تعالى هو خالق كل شيء .

فالجواب عن الاول ان اشتقاق المفلوك من الفلك غير ممنوع ، فقد قالوا « رأسته » بمعنى ضربت رأسه ، و « رأيته » بمعنى أصبت رثته ، وابلغ من ذلك اشتقاقهم من الحروف كما في اشتقاق « احاشي » من حاشا الحرفية الاستثنائية في احد التخريجين في قول من قال :

« ولا احاشي من الاقوام من احد »

وابلغ من ذلك اشتقاقهم من لفظ الجملة كالحوقلة والبسمة والهيللة وعن الثاني ان ذلك من قبيل الحجاز العقلي ، وهو نسبة الشيء الى زمانه مجازاً تشبيهاً للتلبس الغير الفاعلي بالتلبس الفاعلي ، ويشهد لذلك ما قاله العلماء في قوله صلى الله عليه وسلم « الشؤم في ثلاثة او ان يكن الشؤم في ثلاثة المرأة والدار والفرس » على اختلاف الروايتين جزماً وتعليقاً من ان ذلك على المجاز والانتساع ، أي قد يحصل الشؤم مقارناً لها وعندها لانها هي في أنفسها مما توجب الشؤم ، فقد تكون الدار قد قضى الله تعالى ان يميت فيها خلقاً من عباده ، كما يقدر ذلك في البلد بالطاعون والوباء ، فيضاف ذلك الى المكان مجازاً ، والله خلقه عنده وقدره .

فقد صح بهذا التقرير جواز اخذ المفلوك من الفلك ، على معنى انه الذي يعارضه الفلك في مراده على جهة التجوز . ولو سلم ان السعود والنحوس لا تدور مع حركات الأفلاك دائماً لم يكن ذلك قادحاً في صحة التجوز ، لأن اضافة الفعل الى زمانه مجازاً لا تحتاج الى كون القضية دائمة ، كما في قولهم « نهاره صائم وليله قائم » وامثاله مما لا يحصى .

على انا نقول : اللغة اصطلاحية على قول ، والألفاظ العلمية التي يدير عليها اهل كل علم - كالرفع والنصب للنحاة مثلاً - اصطلاحية اجماعاً ووفقاً . ووجه اختيار لفظ الفلاكة على الفاقة والإملاق والفقر ونحوها ان هذه الألفاظ الثلاثة ونحوها نص وصريح في مدلولها ، بخلاف لفظة الفلاكة والمفلوك ، فانه يتولد منها بمعونة القرائن معان لاثقة بالمقامات على كثرتها وتفاوتها .

الفصل الثاني

في خلق الأعمال وما يتعلق به

أما مذهب إمام الحرمين وجمهور الفلاسفة وأبي الحسين البصري من المعتزلة فهو ان الله تعالى يوجد للعبد القدرة والإرادة ، ثم تلك القدرة والإرادة يوجبان وجود المقدور .

ومذهب اكثر المعتزلة أن القدرة الحادثة موجبة لحدوث مقدورها ، وانه لا تأثير للقدرة القديمة فيه .

ومذهب الشيخ أبي الحسن الأشعري وجماعة من اصحابه والقاضي أبي بكر الباقلاني في احد اقواله والبخاري من المعتزلة انه لا تأثير للقدرة الحادثة في حدوث مقدورها ولا في صفة من صفاته وان أجرى الله العادة بخلق مقدورها مقارناً لها ، فيكون الفعل خلقاً من الله ابداعاً واحداثاً وكسباً من العبد لوقوعه مقارناً لقدرته .

واختلف في تفسير الكسب على قولين : (احدهما) ان ذات الفعل تحصل بقدرة الله تعالى وكونه طاعة ومعصية ، كما في لطم اليتيم تأديباً وإيذاءً صفات له تابعة لوجوده يحصل بقدرة العبد ، لأن مفهوم الفعل اعم من خصوص كونه قياماً وقعوداً وما به التمايز غير ما به الاتحاد ، فما

به التمايز هو الكسب . صرح بذلك الأبهري في شرح المواقف وبعض شراح الطوالع ، ولكن المشهور إيراده مذهبا للقاضي ابى بكر الباقلاني واخذاً من اقواله .

(القول الثاني) وهو المشهور في تفسير الكسب انه تصميم العزم على الفعل ، على معنى ان الله تعالى اجرى عادته بأن العبد اذا صمم العزم على المعصية يخلق الله تعالى فعل المعصية فيه ، فالعبد وان لم يكن موجداً إلا أنه كالموجد . واستدلت الأشاعرة على مطلوبهم بمسالك كثيرة ضعفها الآمدى في أبكار الأفكار ، ولم يرتض منها الا مسلكين اخصرهما لو كان العبد خالقا لأفعال نفسه للزم وجود خالق غير الله ، ووجود خالق غير الله محال ، ويلزم من انتفاء اللازم انتفاء الملزوم .

واما المعتزلة فاستدلوا على مذهبهم بوجوه كثيرة مرجعها الى امر واحد ، وهو انه لولا استقلال العبد بالفعل لبطل مدح العباد وذمهم على الطاعات والمعاصي ، اذ لا يمدح زيد ولا يذم بما يفعله عمرو من طاعة او معصية ، والا ارتفع الثواب والعقاب لأن العبد اذا لم يكن موجداً لفعله لم يستحق ثوابا ولا عقاباً ، وكان الله مبتدئاً بالثواب والعقاب من غير استحقاق من العبد لذلك ، ولو كان كذلك لجاز عقاب الأنبياء وثواب الكفرة الأغبياء ، ولم يبق لأحد وثوق بعمله . ولا يخفى ما في ذلك من تشويش الدين والخط في الشريعة .

وأيضاً لولا الإستقلال لبطل التكليف بالأوامر والنواهي والتأديب ، لأنه اذا لم يكن العبد موجداً لأفعاله فكيف يصح عقلا أن يقال : ائت بفعل الايمان والصلاة والزكاة ولا تأت بالكفر وشرب الخمر والزنا ، لأنه تكليف بما لا يطاق ، ولبطل أيضاً فائدة بعث الأنبياء ، وهي دعوة المكلفين الى فعل الطاعات وزجرهم عن المعاصي اذا لم يصدر منهم عمل فيلزم

التكليف بما لا يطاق .

والجواب بمنع الملازمات : أما في المدح والذم فلأنهما باعتبار المحلية لا باعتبار الفاعلية ، اذ يجوز ان يمدح الشيء لحسنه وسلامته ويذم لقبحه وعاهته . فتمدح الجوهره لحسنها وصفائها ونقاؤها من العيوب . واما الثواب والعقاب فلأن عادة الله جارية على خلق الثواب عقيب خلق الطاعات وعلى خلق العقاب عقيب خلق المعاصي ، لأن العبد يوجد الطاعة والمعصية وهما يوجبانهما . كما يخلق الشيع عقيب خلق الأكل والإحراق عقيب مسيس النار وإن قدر على أن يخلقها ابتداءً .

وقولهم : « لو لم يكن الثواب جزاء فعل العبد لجاز عقاب الأنبياء وثواب الكفرة » قلنا : مسلم ولكن جوازاً تحيله العادة أو لا تحيله العادة الاول مسلم والثاني ممنوع . فلا يشك في انتفاء ما ذكره وان كان جائزاً عقلاً ، واما حديث التكليف والتأديب والبعثة والدعوة فلأنها قد تكون دواعي الفعل واجرى الله العادة بترتيب آثارها عليها .

وتخليصه ان الأشاعرة لما وردت عليهم هذه الشبهة ورأوا أيضاً تفرقة بديهية بين ما زاوله من الأفعال الاختيارية ومن حركة المسحور على وجهه والمرتعش ، وذادهم ومنعهم البرهان الدال على أن الله خالق كل شيء عن اضافه الفعل الى اختيار العبد مطلقاً جمعوا بين الأمرين واثبتوا الكسب على التفسيرين السابقين ، فلما ان يقال كون خصوص الفعل من كونه طاعة ومعصية واقعاً بقدرة العبد كاف في تكليفه وتأديبه ودعوته ، ولما أن يقال العبد اذا صمم على الطاعة يخلق الله فعل المعصية فيه واذا صمم على الطاعة يخلق الله فعل الطاعة فيه . وعلى هذا يكون العبد كالموجد لفعله وان لم يكن موجداً . وهذا القدر كاف في التكليف والتأديب والدعوة .

وهذا أيضاً مشكل ، لأن الدواعي والتصميم على فعل من الأفعال

مخلوق لله تعالى ، فلا مدخل للعبد أصلاً . ووجه الاعتذار عن هذا الإشكال كما قرره الاصفهاني أن الله تعالى يوجد القدرة والإرادة في العبد ويجعلهما بحيث لهما مدخل في الفعل لا بأن تكون القدرة والإرادة لذاتهما اقتضت ان لهما مدخلا في الفعل ، بل كونهما بحيث لهما مدخل بخلق الله اياهما على هذا الوجه ثم يقع الفعل بهما . فان جميع المخلوقات يخلق الله بعضها بلا واسطة وبعضها بوساطة أسباب ، لا بأن تكون تلك الوسائط والأسباب لذاتهما اقتضت ان يكون لهما مدخل في وجود المسببات ، بل بأن خلقها الله تعالى بحيث لهما مدخل ، فتكون الأفعال الاختيارية المنسوبة الى العبد مخلوقة لله تعالى . أو مقدورة للعبد بقدرة خلقها الله تعالى في العبد وجعلها بحيث لهما مدخل في الفعل .

والغرض من هذا الفصل إقامة الحجة على المفلوكين وقطع معاذيرهم والجامهم عن التعلق بالقضاء والقدر ، وانه متى نعت اليهم فلاكتهم او نودي عليهم بها كان ذلك متجهاً مخيلاً ، لأنهم إما فاعلوها استقلالاً أو مشاركة وإما بالحلية والمدخلية على ماسبق تحقيقه .

ولو سلم ان ذلك من باب القضاء والقدر الصرف أو فرضت فلاكة سماوية صرفة . فكلمات العلماء في مجاري أبحاثهم طافحة بأن القضاء والقدر لا يحتاج به ، وذلك لما روى مسلم في صحيحه « ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : اجتمع آدم مع موسى فقال له موسى : يا آدم انت خيبتنا واخرجتنا من الجنة . فقال آدم : اتلومني على امر قدره الله عليّ قبل أن يخلقني بأربعين سنة . قال صلى الله عليه وسلم : فحج آدم موسى » .

قال النووي في شرحه : فان قلت : فان العاصي منا لو قال هذه المعصية قدرها الله عليّ لم يسقط عنه اللوم والعقوبة بذلك وان كان صادقاً فيما قاله . فالجواب ان هذا العاصي باق في دار التكليف جار عليه احكام

المكلفين من العقوبة واللوم والتوبيخ وغيرها ، وفي لومه وعقوبته زجر له ولغيره عن مثل هذا الفعل ، وهو محتاج الى الزجر مالم يمت ، فأما آدم فميت خارج عن دار التكليف وعن الحاجة الى الزجر ، فلم يكن في القول المذكور له فائدة بل فيه إيذاء وتخجيل - انتهى .

فانظر كيف اعترف بحجية السؤال واعتذر في الجواب بأن الحديث ليس منه ، والقضاء والقدر وإن لم يحتج به في الدنيا فجائز أن يحتج به الأنبياء في الآخرة لعلو مقامهم عن الإيذاء والتخجيل ، وإذا ثبت أن القضاء والقدر لا يحتج به في المعاصي فغيرها كذلك ، اذ لا فائز بالفرق أو المقايسة ، لأن العلة التي اقتضت المنع من الإحتجاج بالقدر في المعاصي مطردة في غيرها من أقداره تعالى بالمناسبة والاخالة .

الفصل الثالث

(في أن التوكل لا ينافي التعلق بالأسباب وأن الزهد لا ينافي)
(كون المال في الدين)

ومقصود هذا الفصل يحصل بالكلام على مقامين :
(المقام الأول - مقام التوكل)

التوكل في اللغة عبارة عن اظهار العجز والاعتماد على الغير ، وخص بما يكون الاعتماد فيه على الله تعالى .

وفي الإصطلاح عبارة عن دوام حسن ملاحظة القضاء والقدر في جميع الحوادث دون اقتصار النظر على الأسباب الطبيعية ، ودوام حسن الملاحظة بجامع التعلق بالأسباب ولا ينافيها ، وحينئذ فحركة العبد بيدنه أو بتدبيره إما لجلب نفع كالكسب أو حفظه كالإدخار أو دفع ضرر ك مقاومة الصائل

أو قطعه كالتداوي : فأما جلب المنافع ودفع المضار ورفعها فإفضاء الأسباب إليه إما مقطوع به وهي الأسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله تعالى ارتباطاً مطرداً ، وإما مظنون ظناً يوثق به وهي المسببات التي ارتبطت ارتباطاً أكثرياً بحيث لا يحصل بدونها إلا نادراً ، وإما موهوم وهماً لا يوثق به ولا يطمأن له .

فأما المقطوع بإفضائه والمظنون لإفضائه من الجلب والدفع والرفع كمدّ اليد إلى الطعام الحاضر واستصحاب الزاد في السفر في البراري المقفرة والمتنحي عن مجرى السيل وعن مفترس الأسد وترك النوم تحت الجدار المائل واغلاق الباب وعقل البعير والتداوي بالأمور المجربة ، فكل ذلك لا ينافي التوكل ، وإهماله مراغمة لحكمة الله تعالى في نصب الأسباب وعدم الاكتفاء بالقدرة المجردة ، وجهل بسنة الله وعاداته . فمن ترك الوقاع ومدّ اليد إلى الطعام وابلاعه باطباق أعالي الحنك على أسافله ، وانتظر أن يحصل له ولد كما ولدت مريم عليها السلام أو أن يخلق الله له الشئ بغير أكل أو يرسل ملكاً فيمضغه ويدخله في فيه فهو مجنون جاهل بالشرعية ، لأن الاكتساب لإحياء النفس واجب ، والاكتساب لنفقة الزوجة والبعض أصلاً كان أو فرعاً في الثالث الصحيح واجب أيضاً ، ولأن إهمال العيال حرام واهلاك النفس جوعاً حرام واغلاق الباب عليه وسدّ طريق العلم به وامتحان قدرة الأرزاق حرام ، وتصبير النفس على الجوع لمن لا تطيق نفسه ذلك وتضطرب عليه حرام كما قاله علي « الجوع مدة فان كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوش عليه عبادته لم يجوز له التوكل » - انتهى .

وقد قال صلى الله عليه وسلم للأعرابي لما أهمل بغيره وقال توكلت على الله : « اعقلها وتوكل على الله » .

وقال تعالى : « خذوا حذركم » وقال في كيفية صلاة الخوف : « وليأخذوا

أسلحتهم » وقال « وأعدوا لهم ما استطعتم » وقال لموسى « فأسر بعبادي ليلاً »
والتحصن بالليل لاختفائهم عن عين العدو نوع تسبب ، واختفاء رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الغار عن عين الأعداء للضرر واخذ السلاح في الصلاة
سبب مطنون .

وأما الموهوم إفضاؤه دفعاً وتحصيلاً كالرقية والسكي والاستقصاء في
حبل المعيشة والتدبيرات الدقيقة من وجوه الاكتساب فذلك كله منافع
للتوكل ، لأنه من ثمرات الحرص وحب الدنيا لا لمنافاته التوكل بالذات ،
لأننا قد قدمنا أن التوكل عبارة عن دوام حسن ملاحظة القضاء والقدر في
جميع الحوادث ، وهذا إنما يتنافى الإستقصاء وتدقيق التدبير باختلاف اللوازم
لا بالذات ، فحينئذ التوكل هو عدم الاعتماد على الأسباب مفضية كانت إلى
مسيباتها بالقطع أم لا ، وإن يكون الاعتماد على خالقها ، فإن اليد والطعام
وقدرة التناول مثلاً كلها من قدرة الله تعالى ، وكيف يتكل على اليد وغيرها
وربما تفلج في الحال ويهلك الطعام ، أو يحدث من تناوله مرض يؤدي إلى
الهلاك ، أو يتسلط على زاد المسافر غاصب أو سارق وما شاكل ذلك من
الآفات ، فيجب أن يعتمد على فضل الله تعالى في دفع جميع هذه الأشياء .
فقد بان واتضح مما قررناه أن ليس من شرط التوكل ترك الأسباب
وإطراحها وإهمال الكسب بالبدن والتدبير بالقلب والسقوط على الأرض
كانخرقة اللقي أو كلحم على وضم (١) ، فإن ذلك كله حرام في الشرع
ولن يتقرب إلى الله بمحارمه .

وأما الادّخار فما كان منه مع فراغ القلب عن المدخر فليس من
(١) في القاموس اللقي كالفتي ماطر حاه أي كانخرقة البالية الملقاة ، وقوله

« كلحم على وضم » الوضم ما وقيت به اللحم عن الأرض من خشب وحصير ،
وتركهم لحماً على وضم : ذلهم وأوجعهم .

ضرورته بطلان التوكل ، هكذا صرح به في الإحياء ، واما غيره فمن انزعج قلبه بترك الادخار واضطربت نفسه وتشوشت عليه عبادته وذكره واستشرف (١) الى ما في أيدي الناس فالادخار له أولى ، لأن المقصود لإصلاح القلوب لتتجرد لذكر الله ، ورب شخص يشغله عنه وجود المال ورب شخص يشغله عدمه ، والمحدور هو الشغل عدماً كان أو وجوداً ، فالدنيا في عينها غير محدورة لوجودها ولا عدمها ، ولذلك بعث صلى الله عليه وسلم الى أصناف الخلق وفيهم التجار والمحترفون - أي اهل الحرف والصنائع - فلم يأمر التاجر بترك تجارته ولا المحترف بترك حرفته ، ولا امر التارك لها بالإشتغال بهما ، بل دعا الكل الى الله وأرشدهم الى أن نجاتهم في انصراف قلوبهم عن الدنيا ، فصواب الضعيف ادخار قدر حاجته كما أن صواب القوي ترك الادخار ، وكذلك المعيل لا يخرج عن حد التوكل بادخار قوت سنة لعياله جبراً لضعفهم وتسكيناً لقلوبهم .

وقد ادخر صلى الله عليه وسلم لعياله قوت سنته ، وأما نهى ام أيمن عن ان تدخر شيئاً لغد ، ونهى بلال عن الإدخار في كسرة خبز ادخرها ليفطر عليها وقال « انفق بلال ولا تحش من ذي العرش إقلالاً » فلأن الادخار يضرّ بعض الناس دون بعض ، وكذلك ما روى أبو أمامة الباهلي ان بعض اصحاب الصفة توفي فما وجد له كفن ، فقال صلى الله عليه وسلم « فتشوا ثوبه » فوجدوا فيه دينارين في داخل أزاره فقال صلى الله عليه وسلم « كيتان » .

وقد كان غيره من المسلمين يموت ويخلف أموالاً كثيرة فلا يقال ذلك في حقه ، ووجه الجمع بين هذين الأمرين ان اظهار الزهد والفقر والتوكل مع تلك الدنانير تلييس .

(١) استشرف الى الشيء : تطلع اليه .

قلت : رأيت في ترجمة النجم الخبوشاني الأمار بالمعروف النهاء عن المنكر للملوك فن دونهم الذي يضرب به المثل في الزهد انه لما مات وجدوا له ألوف دنانير ، هذا مع مبالغة المترجمين له في الثناء عليه ، ومع ما في ترجمته من أنه كان يصوم ويفطر على خبز الشعير ويركب الحمار وآنية بيته كلها خزف ، فهذا الكلام مع نبوه عن هذا المقام سهل ذكره مذكروه العلماء في الجمع بين حديث الدينارين وعدم انكار الأقوال الكثيرة في ميت آخر . وان ذلك لما ان اظهار الزهد والباطن بخلافه تلبيس ، فاجب لحال الخبوشاني واعجب ولا تغتر .

(المقام الثاني في أن الزهد لاينافي كون المال في اليدين)

الزهد في اللغة الرغبة عن الشيء ، خصص بما يكون الرغبة فيه عن الدنيا . وفي الإصطلاح ترك المباح المحبوب المقدور عليه لأجل الله . وفي ضابطه قيود :

« الأول » - ترك المباح ، فتارك المحظورات لايسمى زاهداً .

« الثاني » - المحبوب ، فتارك مالا يؤبه اليه كالتراب والحجر لايسمى زاهداً .

« الثالث » - كونه لأجل الله ، فبذل المال وتركه على سبيل السخاء والفتوة واسمالة القلوب والطمع في الثناء لا يكون زهداً ، إذ الذكر والثناء وميل القلوب أهنأ من المال ، فهو استعجال حظ آخر للنفس .

« الرابع » - المقدور ، فن ترك مالا يقدر عليه كغير ابن أدهم من أمثالنا في دعوى الزهد في الملك لا يكون زاهداً . وفي أفراد المباح اشارة الى ان الزهد يتبعض كما ان التوبة تتبعض ، فن ترك بعض التمتععات من الشهوة والغضب والرياسة دون بعض كان زاهداً .

وأما القانع فهو المرجح لوجود المال على عدمه ترجيحاً لا يحمله على

الدأب فيه « فقولنا « المرجع » خرج به من لا يجب حصوله ولا يكره زواله وهو الراضي، وقولنا « ترجيحاً لا يحمله على الدأب فيه » خرج به من يتركه عجزاً ويسعى فيه ما وجد اليه سبيلاً وهو الحريص .

وهذه المرتبة - وهي مرتبة الحرص - وان كانت دنیا فان لها فضلاً لدخولها تحت العمومات الواردة في فضل الفقر ، وذلك جمع بين قوله صلى الله عليه وسلم « يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنيائهم بخمسمائة عام » وبين قوله صلى الله عليه وسلم في حديث آخر « بأربعين خريفاً » أي أربعين سنة ، بأن الاول تقدير تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب ، والثاني تقدير تقدم الفقير الحريص على الغني الراغب ، فكأن الفقير الحريص على درجتين من خمسة وعشرين درجة من الفقير الزاهد « إذ هذه نسبة الأربعين الى الخمسمائة .

وأما قوله صلى الله عليه وسلم « يامعشر الفقراء اعطوا الله الرضا من قلوبكم نظفروا بثواب فقركم وإلا فلا » فلا يقتضي ان الحريص لاثواب له على فقره ، لأن العمومات تقتضي ان له ثواباً ، فلعل المراد بعدم الرضا الكراهة لفعل الله من حبس الدنيا عنه ، ورب راغب في المال لا يخطر بقلبه انكار على الله ولا كراهة لفعله .

إذا عرفت تمايز هذه الحقائق بمسمياتها واسماؤها فاعلم ان وجود المال في السيدين لافي القلب ودخول الدنيا على العبد وهو خارج عنها لا يتنافي الزهد ، فان ترك المال و اظهار الخشونة سهل على من احب المدح « فكم من الرهابين من رد نفسه في كل يوم الى قدر يسير من الطعام ولازم ديراً لا باب له « وإنما أعلى المقامات ان يستوي عند القلب وجود المال وفقده « فان وجده لم يفرح ولم يتأذ ، وكذلك ان فقده .

وقد روي عن عائشة انها فرقت في يوم مائة الف درهم « فقالت

لها جاريتهما : هلا شريت لنا بدرهم لحماً نفطر عليه ؟ فقالت : لو ذكرتني لفعلت . وذلك لأن الكارهه للدنيا (١) مشغول بالدنيا ، كما ان الراغب فيها مشغول بها . والشغل بما سوى الله حجاب عن الله ، فالمشغول بحب نفسه مشغول عن الله والمشغول بيبغض نفسه مشغول عن الله ايضا ، بل كل ماسوى الله .

مثاله مثال الرقيب الحاضر في مجلس يجمع العاشق والمعشوق ، فان التفت قلب العاشق الى الرقيب وبغضه واستثقاله وكراهة حضوره فهو في حال اشتغال قلبه به منصرف عن التلذذ بمشاهدة معشوقه . فكما أن النظر الى غير المعشوق بحب شرك كذلك النظر الى غيره بيبغض شرك فيه ونقص . وأما هروب الأنبياء والأولياء والأكابر من الدنيا فذلك لأن الدنيا خداعة مدعاة الى الشهوات والراحة في بذلها أنس بغير الله . والأنس بغير الله بُعد عن الله ، فالأنبياء والأولياء يتركون الدنيا للتشريع والتعليم والخوف على أتباعهم من أن يتشبهوا بهم مع عدم قوتهم فيهلكوا . ومن دونهم ممن لا قوة له يترك ذلك احتياطاً وحزماً ، فان استواء الذهب والحجر في القلب عسير ومزلة قدم ، وهو حال الانبياء وأفراد الاولياء .

ويوضح لك ان المال في اليدين بدون القلب لا ينافي الزهد ، إن خزائن الأرض حملت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى ابي بكر وعمر فأخذوها ووضعوها في مواضعها وما هربوا منها . وكان لعمان عند خازنه يوم قتل ثلاثون الف الف درهم وخمسمائة الف درهم وخمسون ومائة الف دينار ، وترك الف بغير بالربذة . وترك صدقات كان يتصدق بها

(١) اى بكرهاتها . فهو دائماً يعمل نفسه في التنحي عنها والتخلص منها كما ان الراغب فيها مشغول بتحصيلها . فهو في كلتا الحالتين مشغول بها دفعاً وتحصيلاً .

بين اريس وخيبر ووادي القرى قيمة مائتي الف دينار ، وكان للزبير عند وفاته خمسون الف الف ومائتا الف .

قال عروة : كان للزبير بمصر خطط وبالأسكندرية خطط وبالبصرة دور . وكانت له غلات تقدم عليه من اعراض المدينة . وترك عبد الرحمن ابن عوف الف بغير وثلاثة آلاف شاة . قال ابن سيرين : كان فيما ترك ذهب قطع بالفؤوس حتى مجلت أيدي الرجال منه ، وترك اربع نسوة فأخرجت امرأة من ثمنها بئانين الفاً .

قال ابو الاسود عن عروة : اوصى عبد الرحمن بن عوف في السبيل بخمسين الف دينار . وروى موسى بن محمد بن ابراهيم التيمي عن أبيه قال : كان طلحة يغل بالعراق ما بين اربعمائة الف الى خمسمائة الف ، ويغل بالسراة عشرة آلاف دينار أو أقل أو أكثر ، وبالأعراض له غلات . وكان يرسل الى عائشة اذا جاءت غلته كل سنة بعشرة آلاف . وقضى عن صبيحة التيمي ثلاثين الف درهم .

وقال الواقدي : حدثني اسحق ابن يحيى عن موسى بن طلحة ان معاوية رضى الله عنه سأله كم ترك أبو محمد يعني طلحة من العين ؟ قال : ترك ألى ألف درهم ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار .

وقال ابراهيم بن محمد بن طلحة : كان قيمة ما ترك طلحة من العقار والأموال وما ترك من الناض ثلاثين ألف ألف درهم ، وترك من العين ألى ألف ومائتي ألف درهم ومائتي ألف دينار . والباقي عروض .

وقال علي بن رباح : قال عمرو بن العاص حدثت ان طلحة بن عبيد الله ترك مائة بهار في كل بهار ثلاث قناطير من ذهب . قال : وسمعت ان البهار جلد ثور ، والبهار لغة ثلاثمائة رطل . قال ذلك كله ابو عبد الله محمد بن سعد كاتب الواقدي في طبقاته الكبرى .

وايضاً كان لسعد بن ابي وقاص والبراء بن معرور السلمى والعباس ابن عبد المطلب عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وعبد الله بن عمر اموالا كثيرة . ويدل على ذلك ان العباس فدى نفسه وابن اخيه عقيلاً بثمانين أوقية ذهباً ويقال ألف دينار . وما روى عن عبد الله بن عمر انه كان اذا رأى من رقيقه امرأ يعجبه اعتقه فعرف رقيقه منه ذلك فشمروا للعبادة فأعتقهم، فقيل: له انهم يخذعونك. فقال: من خدعنا بالله انخدعنا له . وما روى ان سعد بن ابي وقاص قال : مرضت فأتاني رسول الله صلى الله عليه وسلم يعوذني فقلت : يا رسول الله مال كثير وليس يرثني إلا ابني أفأوصي بثلاث مالى ؟ قال : لا - الحديث .

فهذا كله مما يدل ان الدنيا ليست مكروهة لعينها والا لأمرهم صلى الله عليه وسلم بالإنسلاخ من اموالهم. واما المسألة المشهورة في التفضيل بين الغنى الشاكر والفقير الصابر ، فذهب ابن عطاء الله قدس الله روحه الى تفضيل الغنى ، وخالف في ذلك الجنيد وجمهور الصوفية . وما اورده عليه من ان الغنى وصف الحق والفقر وصف العبد وصفات الربوبية لا ينافيان فيها ، معارض بأن العلم والمعرفة وصف الرب والجهل والغفلة وصف العبد فليكونا أفضل له .

ثم لاشك ان الفقير القانع أفضل من الغنى الحريص . والغنى المنفق ماله في الخيرات أفضل من الفقير الحريص .

قال ابن دقيق العيد في شرح العمدة : الذي تقتضيه الأصول انها ان تساوى وحصل الرجحان بالعبادات المالية يكون الغنى أفضل ، ولاشك في ذلك وانما النظر فيما اذا تساوى في أداء الواجب فقط وانفرد كل واحد بمصلحة ما يوفيه ، فاذا كانت المصالح متقابلة ففي ذلك نظر يرجع الى تفسير الأفضلية . فان فسر الأفضل بزيادة الثواب فالقياس يقتضى ان المصالح

المتعدية افضل من القاصرة » وان كان الأفضل بمعنى الأشرف بالنسبة الى صفات النفس فالذي يحصل للنفس من التطهير للأخلاق والرياضة لسوء الطباع بسبب الفقر أشرف » فترجح الفقر . ولهذا المعنى ذهب الجمهور من الصوفية الى ترجيح الفقير الصابر » لأن مدار الطريق على تهذيب النفس ورياضتها وذلك مع الفقر أكثر منه مع الغنى ، فكان أفضل بمعنى الثرف- هكذا قاله ابن دقيق العيد في الكلام على قوله صلى الله عليه وسلم « ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء » لما شكى له ان الفقراء قالوا : ذهب أهل الدثور بالدرجات العلى والنعيم المقيم - الحديث .

فقد بان لك واتضح بالكلام في هذين المقامين ان التعلق بالأسباب لا ينافي التوكل » وان وجود المال في اليدين لا في القلب لا ينافي الزهد، والمقصود إلجام المفلوكين عن التعلق بالزهد أو التوكل في انزواء الدنيا عنهم جدلا مهما كانوا محتجين لازاهدين حقيقة فان الزاهد حقيقة لا كلام معه ، لأن الزهد كما لا ينافي المال لا يستلزمه ، وغايته ان الزهد على قسمين : قسم مع المال » وقسم لامع المال . فلا منافاة ولا استلزام له .

الفصل الرابع

في الآفات التي تنشأ من الفلاكة وتستلزمها الفلاكة وتقتضيها

وهي أكثر من ان تحصى او يحملها القلم :

(فنها) ضيقة العطن والنزق (١) ، وذلك ان طبيعة الفرح والسرور هو نقشي الروح الحيواني وتحلخله ، وينشأ من ذلك سعة الصدر وقبول النفس لما يرد عليها وانفعالها له ، ولذلك تتحين أصحاب الحوائج بحوائجهم

(١) هو كناية عن انقباض الصدر ، والنزق بالتحريك : الخفة والطيش

عند الغضب .

سرور من يسألونه اياها . وطبيعة الكمد والقبض هو تكاثف الروح الحيوانى وتجمعه ، وينشأ منه ضيقة العطن والنزق وسوء العشرة والانحراف والانكماش عن الخلق .

(ومنها) ان الفلاكة يلزمها القهر والإكراه « ومتى استولى القهر والغلبة على شخص حدثت فيه أخلاق رديئة من الكذب والتخيب وفساد الطوية والخبث والخديعة، ولذلك كانت اليهود موصوفين بالخبث والذل والخديعة لاستحكام القهر عليهم وغلبة الإكراه على عامة احوالهم ، ولذلك ايضاً ينهى عن ارهاق الحد على الولدان والعبيد ويؤمر بترويحهم ومدّ الطول لهم خشية عليهم من اكتساب هذه الأخلاق الذميمة .

ارسل هارون الرشيد الى خلف الأحمر لتأديب ولده الأمين « فقال له : إن امير المؤمنين قد دفع اليك مهجة نفسه وثمره فؤاده فكُن له حيث وضعك امير المؤمنين ، أقرئه القرآن وعرفه الأخبار وروه الأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وامنعه من الضحك إلا في اوقاته ، ولا تمرز بك ساعة الا وانت مغتنم فيها فائدة تفيده اياها من غير ان تحرق به فتميت ذهنه او تهمله فيستحلى الفراغ وبألفه ، وقومه ما استطعت بالتقرب والملاينة « فان أباهما فعليك بالشدّة والغلظة .

(ومنها) الحقّد ، وذلك انه إذا استحكت الفلاكة وعرف بها شخص اوسعته الناس اغاظة استهواناً به وعدم مبالاة بغضبه وأمناً من غائلته ومغبته « فاذا تواردت موجبات الغضب وازدحمت عليه من توقيفه على نقائصه والإغماض عن كمالاته وتقريعه بزلاتنه وتوبيخه على تقصيره وهتك استاره واذاعاة اسراره وجبهه بأقبح الكلام في وجهه وعدم اعتباره والمبالغة من عتبه ومعاكسته في مراده « او عدم اسعافه به وعجزه عن الوقوف في ذلك موقف نكير ، أو أن ينفس غيظه منه بنفثة مصدور او

ضربة موتور . واستبحرت اسباب الغيظ وزخرت امواج العجز عن اطفائه بالانتقام عاد ذلك الى الباطن وأجج فيه ناراً وتحول حقداً وضغينة وسخيمة ، وتعوقه موانع الفلاكة عن اعماله فيصير ألماً صرفاً ووسواساً سوداوياً ومعصية مجردة .

(ومنها) الحسد ، وتوجيه الفلاكة من وجوه :

« احدها » - انه اذا توالى مقتضيات الغيظ كما قدمنا وعجز المفلوك عن الانتقام تحول ذلك حقداً وضغناً كما مر ، والحقد يقتضى الإنتقام فان عجز أحب ان يتشفى منه بانتقام الزمان له منه ، وربما يحبل ذلك على كرامته عند الله . وربما يظهر أنه لا منزلة له عند الله حيث لم ينتقم منه . وبالجملة فالفلاكة يلزمها الاغاظة . والاغاظة يلزمها الحقد ، والحقد يلزمه ارادة الانتقام . والعجز عن ذلك يلزمه حب زوال تلك النعمة التي بها التفاوت اللازم منه الاغاظة . ولازم لازم الشيء لازم لذلك الشيء .

« وثانيها » - ان يثقل على المفلوك أن يرفع عليه غيره ، فاذا أصاب مساو له في صفات النفس مالا اوجاهاً وخاف ان يتكبر عليه وهو لا يطبق ان يتكبر عليه ولا تسمح نفسه باحتمال صلفه وتبهه وتفاخره عليه وان يستصغره ويستخدمه وعجز عن زوال الفلاكة عنه والالحوق به في تلك النعمة أحب زوالها عن غيره .

« وثالثها » - ما يحدث في نفوس المفلوكين من دعوى الاستحقاق لتلك

النعم . والذلك قال ابن مقلة :

واذا رأيت قتيّاً بأعلى رتبة في شامخ من عزه المترفع

قالت لي النفس العروف بقدرها ما كان أولاني بهذا الموضع

حتى ان من المفلوكين من تنتهى به دعوى الاستحقاق الى حد يرى

ان النعم التي بأيدي الناس استحقاقه ومغصوبة منه ، والمالك المستحق طالب

لزوال ماله من ايدى الغاصبين لا محالة .

(ومنها) الغيبة والطعن في اعراض الناس والغضب منهم « وذلك ان الغضب والحقد والحسد ثلاثها من البواعث العظيمة على الغيبة « اذا امتلأ المفلوك غضباً وحقدأ وحسداً وعجز عن الجري على مقتضاها جهاراً ومواجهة التبعأ الى الفكرة والغوص على مساوىء خصومه وإعمال الحيلة في الاطلاع على عوراتهم ، وضم اليها اكاذيب وتنميقاً ونشرها على وجه الغيبة مرة ارادة الترفع بنفسه بسلامته من تلك النقائص او لا تصافه بنقائضها الكمالية على سبيل التعريض « كما يقول فلان فاسق او شرير ارادة سلامته من ذلك « او فلان جاهل او ذهنه ركيك وكلامه ضعيف تعريضاً باتصافه بنقائص ذلك « ومرة ارادة صرف الناس عن الاسترسال في تعظيم خصومه وكفهم عن الإفراط في الثناء عليهم ومحبتهم بتوقيفهم على ما يوجب تنقيضهم وصرف القبول عنهم « ومرة بتمهيد عذر نفسه من اتصافه بالمساوىء والنقائص بمشاركة العظماء له في تلك المساوىء ، ومرة على سبيل اللذة بالطعن في الأعراض تشفياً بحسب المقدور ، حتى قال بعض الأعراب : لم يبق من لذات الدنيا الا الطعن في اعراض اللثام .

ثم يتعود لسانه هذه المعصبة العظيمة حتى تصير له خلقة وفكاهة ونقلًا ويساعده على ذلك امكانها وتسهيلها وعدم افتقارها الى أدوات وآلات ، وكونها عبارة عن النطق الذي هو انضغاط الهواء في المجرى على مقاطع الحروف « والهواء والتنفس طبيعي للحيوان بخلاف غيرها من المعاصي لتوقفه على أدوات كثيرة .

وايضاً فالانسان خلق فعلاً بالطبع كما ذكره الشيخ في الإشارات « ولا يتخلف عن مقتضى طبعه من الفاعلية إلا لصارف وصاد كما في الأفعال الشاقة التي لا يمكن مزاولتها الا بتجشم الكلف والمؤن « وكما في الصارف

العقلي أو الوهمي من الكلام المضر ، فهما وجد المقتضى وزال الصارف عن الفعل كما في الكلام عملت الطبيعة عملها ، ولذلك كان الامتناع من الكلام ولزوم السكوت عسيراً شديداً .

(ومنها) كون الفلاكة غطاءً وسيراً على محاسن المفلوك وكالاته النفسانية وأدواته ومعارفه ، حتى ان الفلاكة تسري الى نطقه ومصنوعاته ومقاصده ، فإما ان يغفل عن محاسن كلامه ومقاصده ولا يعبا بها ويعرض عنها ، وإما ان يصرف كلامه عن ظاهره بوجه من التأويل ، وإما ان لا يفهم مراده منه ، وإما ان يدعى عليه غير مراده ، وإما ان يدعى فساد قصده فيه . ولذلك تروج بعض الكتب بنسبتها الى رجل مرموق بعين الجلالة كما فعل في الورقات حيث نسبت الى إمام الحرمين ، وليست له شهادة عباراته الفائقة الرائقة في باقي كتبه ومخالفة الورقات لما في البرهان في التصحيح والحكم ، وكما فعل في الشر المكنون وفي المصنوع به على غير أهله حيث نسبها الى الغزالي كما قاله الأسنوى في الطبقات وليساله كما ذكره في الطبقات ولذلك ايضاً تجد البحث النفيس يلقيه الباحث بين الأفاضل فيبادرونه بالانكار والتزييف والمناقشة ويضايقونه فيه حتى يقول لهم هذا البحث قاله الامام فخر الدين الرازي او الزمخشري . مثلاً او من في معناهما ، فحينئذ يرجعون الى ذلك البحث بالتأويل والتثبت ويعترفون بحسنه ، وربما يزيدونه توجيهاً وتقريراً .

ولكون الفلاكة غطاءً وسيراً على المحاسن تجدد الشهرة والصيت والسمعة يقعن في غير موقعها غالباً ، فرب شخص مشهور بالعلم أو الصلاح وليس هناك ، ورب شخص قعدت عنه الشهرة وهو أحق بها ، وذلك لأن الفلاكة متى زالت عن شخص تزلف اليه بالثناء عليه ونشر المحاسن عنه وحمل كلامه وفعله من المحاسن والمقاصد الجميلة فوق طاقته وتناقلته

الألسنة تزلفأ اليه « لما يعلمون من ان النفوس مجبولة على حب الثناء »
ووقعت المحاباة والاغماض عن احواله المدخولة وافرغت في قوالب جميلة
بالتأويل والاعتذار وجاءت المغالطات بالتلبيس والتصنع « فيطير ذكره في
الآفاق وتسير به الركبان ويجيء الصيت والشهرة وليس هناك .

وعلى الجملة فالشهرة انما تقع في غير موقعها من جهة ما يطرق
الاخبار من التزلف بالثناء الكاذب او ما يطرق الأحوال من الخفاء وعدم
تطبيقها على الواقع لحفاؤها بالتلبيس والتصنع « فتنتشر على خلاف ماهي عليه
وانت خبير بأن التزلف بالثناء انما يكون للأغنياء او من في معانهم
وان الإغماض عن التلبيس والتصنع وعدم كشف الغطاء عنه انما يكون لهم
أيضاً « واعتبر العكس بالعكس .

(ومنها) ان الفلاكة مهما استولت على عالم او فاضل او نبيه لزمه
بسببها آلام عقلية ، ولا شك ان الألم العقلي أقوى من الألم الجسماني «
ولذلك يكون التعب القلبي أشد إنهاكاً للبدن من التعب الجسماني ، ولذلك
يتحمل عظيم المشاق البدنية خوفاً من العتب والتوبيخ والملامة والتقريع كما
ان اللذة العقلية أقوى من اللذة الجسمانية . والدليل على ذلك من ثلاثة اوجه :
« اولها » - ان اللذة عبارة عن إدراك الملائم « وكما كان الادراك
أشد والمدرك اشرف كانت اللذة أتم ، لكن الادراك العقلي أقوى من
الجسمي ، لأنه ينفذ في باطن الشيء فيميز بين الماهية واجزائها وعوارضها
وجنسها وفصلها ، وأما الحسي فلا شعور له إلا بظاهر المحسوس وسطوحه
ومدرك العقل أشرف وهو الله تعالى وصفاته وملائكته وكيفية وضع العالم
ومدرك الحس السطوح وعوارضه ، واذا كان كذلك وجب كون اللذة
العقلية أقوى من اللذة الجسمانية . « وثانيها » أنا نعلم بالضرورة ان احوال
الملائكة اطيب من احوال البهائم ، وليس للملائكة شيء من اللذات الحسية

فلولا ان اللذة العقلية أطيب والا لكان حال البهائم أطيب من حال الملائكة .
 « وثالثها » الحيوان قد يرجح غيره على نفسه في المطعوم والمشروب عند حاجته اليه ، ولولا أن لذة الإيثار أقوى من لذة المطعوم والمشروب والا لما كان ذلك « بل الشجاع قد يلقي نفسه في المعركة مع ظن الهلاك أو يقينه » وما ذلك إلا لأن لذة الحمد أقوى من لذة الحياة ، واذا ثبت ذلك في اللذة ثبت مثله في الألم العقلي والجسماني ، لان نسبة هذا الألم الى الألم الجسماني كنسبة اللذة العقلية الى اللذة الجسمانية ، وكلام الفلاسفة وابن سينا طافح بأن الألم العقلي أقوى من الألم الجسماني .

اذا تقرر ذلك كله فللمفلوكين من أهل العقل والفضل والنباهة آلام عقلية تلزمهم :

« أولاها » - تشوقهم وتشوقهم الى المكارم والمعالى ومدّ أعناقهم نحوها ولا شك أن الشوق الى المشوق مع عدمه وعدم التمكن من تحصيله وعدم الإشتغال بما يلهمى عنه عذاب مذاب ، ولذلك لا يبتهجون بالأعياد والمواسم بل تكون زيادة في كدهم « وستأتى اشعارهم في تشوقهم الى المعالى وتألهم على فقدها في الفصل الثاني عشر إنشاء الله تعالى .

« وثانيها » - تألمهم بذكر نقائصهم الواقعة منهم أحياناً بحكم البشرية ، لما ركب الله تعالى في البشر من القوة الشهوانية والغضبية والمتوهمة اللواتي هي أصول الفساد ، وهي المشار اليها في قوله تعالى : « الى ظل ذى ثلاث شعب » في أحد الأقوال ، ولما ان للقلب ميلا الى الأخلاق السبعة والبهيمية والشیطانية على ما هو مقرر في كتب الصوفية « ولما ركب ايضاً في الجسم من التسفل ، ولما جعل من ان الفساد أدخل تحت القدرة من الصلاح كالبناء والهدم « ولا شك ان اطلاق النفس وطبيعتها ترويح لها وتنفيس من ألم ضبطها ، وحينئذ فيكون الترويح والتنفيس

بالنسبة الى المفاليك ناقصاً مخدجاً (١) لما فيه من رقب التنقيص به ، ويكون ايضاً عسير الانتظام نادر الوقوع لذلك « ولقد أحسن من قال :
 إما ذنابي ولا تعباً بمنقصة او ذروة المجد واحذر أن تقع وسطا (٢)
 وأشد من ذلك ألماً واعظم مصيبة اضافة النقائص الموهومة او المكذوبة اليهم وهم منها برآء « ولقد عرى اهل الفضل من ذلك شذائده . كان الزنجشري ابو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي ساقط احدى الرجلين « وكان يمشي في خaub من خشب لسقوطها بالثلج في بعض أسفاره في بلاد خوارزم ، فكتب معه محضراً فيه شهادة خلق كثير بذلك لئلا يرمى بنقيصة السرقة .

وكان ابن فضلان ابو القاسم يحيى بن علي بن الفضل البغدادي الملقب جمال الدين الإمام في الأصول والخلاف والجدل الرئيس الوجيه ذاهب احدى اليدين ، لأنه لما خرج من نيسابور سقط عن دابته ففسدت يده وأدت الحال الى قطعها ، فعمل محضراً بذلك خوفاً من التهمة بالقبیح ومع ذلك فقد كان يجري بينه وبين الحجير البغدادي مناظرات فيشنع هو على الحجير بالفلسفة والحجير يشنع عليه بقطع يده .

والسبب في تخصيص أهل الفضل باذاعة نقائصهم وعدم اقبالهم اياها والتليس والافتراء عليهم مهما كانت محققة أو موهومة محتملة ان النفوس مجبولة على المساواة والمباهاة ولا تحب لغيرها تفوقاً عليها ، فمهما وجدت سبيلاً للتنقيص من كمال الكمل ولو تلبساً مقبولا سلكته تنقيصاً للكمال وطلباً

(١) هو من اخدجت الناقة : جاءت بولد ناقص وان كانت ايامه تامة «

ويقال رجل مخدج اليد : ناقصها .

(٢) الذنابي مثل حبارى: الذنب ، وذروة الشيء اعلاه ، اي كن ذنباً سافلاً

او ذروة عالياً راقياً .

للمساواة بحسب الإمكان « بخلاف الناقص في نفسه فانه لاجاجة الى تنقيصه
« وثالثها » - ألم الانفراد مع ان الانسان مدني بالطبع لا يمكنه أن
يستقل بنفسه منفرداً عن الغير بحيث لا يستعين بأحد في حاجاته وضروراته
بل لا قوام لأحواله الا بالتعاون ، حتى ان الرغيف من الخبز لا يصير رقيقاً
الا بالآلات واعمال تفتقر الى صناع كثيرين كثرة بالغة .

والمدينة في اصطلاح الحكماء هي الاجتماع « ولما ان الانسان مدني
بالطبع في احواله الكمالية والمصلحية فلا يمكنه ان يستقل بنفسه منفرداً
عن الغير بحيث لا يستعين بأحد في اموره الكمالية والمصلحية والوجدان ،
والتجربة اصدق شاهد في ذلك والمناسبة والاخالة تصحح القياس والالحاق
والمقاليك يلزمهم الانفراد لزوماً لا انفكاك لهم عنه . والسبب في ذلك ان
الناس بالاضافة الى المفلوك اربعة اقسام : مساو له في الفلاكة « اكثر منه
فلاكة ، اعلى منه بقليل ، اعلى منه مطلقاً . ووجه الحصر أن المأخوذ بالاضافة
الى المفلوك : إما مفلوك أو غير مفلوك ، والاول إما مساو او انزل «
والثاني إما اعلى بقليل او اعلى مطلقاً .

إذا تقرر ذلك فالقسمان الأولان لافائدة في الاجتماع بهما ، لأن حكمة
التمدن مفقودة فيهما ، وغاية الاجتماع بهما تضاعف الفلاكة وتكاثفها وتغليظ
الحجاب الحاجب عن المقاصد ، كانضمام ظلمة الى اخرى وكغسل العذرة
بالبول . والقسم الأخير يمنع من الاجتماع به أمور اعظمها ان العطاء
والتبلاء يحرصون على سد الذرائع في اطماع المفلوكين في جانبهم بتبعيدهم
والاعراض عنهم خشية من تثقيلهم بحوائجهم وان يكونوا كلا عليهم ،
وانهم يتأنفون المقاليك ويستقذرونهم ويستقلون ظلهم ويتوقعون من تقريبهم
مفاسد وضوحها يغني عن بسطها ، ويتوهمون في بعضهم حسداً وتعلماً كاذباً

صاحياً (١) من غير اخلاص ولا مناصحة . والقسم الثالث يمنع من الاجتماع بهم امور كثيرة أعظمها عدم تعلق الرجاء والخوف بالمفاليك الذي هو داعية الاجتماع غالباً ، وشغل هذا القسم بالمساوين لهم في النباهة بحيث لايفضون للاجتماع بالمفاليك غالباً وعدم حرص المفاليك على اسمائهم واستعطافهم لضعف الرجاء فيهم ، ولكن هذا القسم أقل مانعا من القسم الاخير ، ولذلك ربما نال بعض المفاليك حظاً من الاجتماع بهم .

(ومنها) ولوعهم بالاسفار ومخاطرتهم بنفوسهم فيها مع مافيه من العذاب المذاب ، بشهادة قوله صلى الله عليه وسلم « السفر قطعة من العذاب » ولقد صرح بتعليل السفر بالفلاكة من قال :

يقيم الرجال الأغنياء بأرضهم وترمى النوى بالمقترين المراميا والسبب في ذلك يفتقر بيانه الى مقدمة ، وهي : ان الظن اقوى من الشك . والعلم اقوى من الظن ، ورتب الظنون متفاوتة في نفسها جلاء وخفاء وأجلى لقوة مستند الظن وضعفه ، وكذلك رتب العلوم متفاوتة في المعلوماتية . فكم بين المشاهدات وبين كل قضية صدق العقل بها بواسطة الحس كعلمنا بحرارة النار وبرودة الثلج ، وبين الحدسيات وهي كل قضية يصدق العقل بها بواسطة الحدس كالعلم بحكمة الصانع عند رؤية العالم على غاية الإتقان من التفاوت وان كان كل من المشاهدات والحدسيات مفيداً للعلم ، ولذلك لم ينكر العلم المستفاد من الحس إلا السوفسطائية ، وكم بين العقلاء من الاختلاف في الحدسيات اختلافاً قوياً وضعيفاً . ولذلك ايضا فرقوا بين علم اليقين وعين اليقين . ومن هنا ينكشف لك مادة الجواب عن قول ابراهيم صلى الله عليه وسلم « بلى ولكن ليطمئن قلبي » .

ثم الانسان متشوف الى مصلحته ، فاذا تعارض عنده في تحصيل

(١) في القاموس صحي الثوب كرضي : اتسخ ودرن ... ومنه يفهم المراد

مصلحته طريقان احدهما مظنون والآخر مشكوك فيه او احدهما أجلى في
الظن من الآخر او احدهما اقوى في المعلوماتية من الآخر فالعمل بهما معاً
جمع للنقيضين وتركهما معاً رفع للنقيضين وكلاهما محال . والعمل بالمرجوح
وترك الراجع خلاف صريح العقل ، فيتعين العمل بالراجع .

إذا تقرر ذلك فالسبب في كثرة تنقلات المفلوكين في الأرض أنه
مضى استولت الفلاكة على شخص في بلد واضطرب في ارجائها وتلكع في
طرق معاشها وذاق طبائع اهلها وراز شهادتهم وعصيتهم وارتياحهم الى
المحمد وأريحتهم وامتنحن قوته في التسلق الى مطالبه وأبت تلك البلد عليه
الا نبوا ودفعوا وممانعة عن المطلوب ومل وجوهاً لاخير فيها ومج سمعه
كلاما لا يحصل له وقذفهم بقلبه فقذفوه بقلوبهم بل وبظواهرهم ، فحينئذ
يظن او يعلم ان تأتي المصلحة في ذلك البلد مستحيل او متعسر . والبلد
الثاني ظن الخير قائم به لاسيما فيمن يتوهم في نفسه استعداداً لإفاضة الخير
عليه ، فيحب حينئذ السفر الى البلد الثاني .

والأقيسة العقلية وان اقتضت استمرار الفلاكة في البلد الثاني من جهة
ان موجبات الفلاكة القائمة بالمفلوك مصاحبة له سفيراً وحضراً وكذلك
موجبات فلاكته القائمة بالناس موجودة فيهم في كل بلد . لكن الأدلة
متعارضة في البلد الثاني ، والعلم المستفاد بالتجربة في البلد الاول مفقود في
البلد الثاني ، والاحتمالات مقتضية للاضطراب ، وليس الخبر كالعيان ولا
الشر الحاصل المحسوس كالشر المترقب المعقول وان كانا معلومين ، ولذلك
من قصده شخص بسيف مصلتاً يريد قتله وهو على سطح عال يرمي بنفسه
منه الى الأرض وان كان ذلك احد الطريقتين في هلاكه . وربما صار السفر
للمفلوك طبعياً لكثرة ما يعاني من الشدائد والمشاق، كن وقع في ماء أو نار
فانه بطبعه يأخذ الى محيط النار وساحل الماء .

وإذا انضح عندك ماقررناه وقفت على الحكمة في تمنى المفلوكين
تغير الدول وتشوفهم الى ذلك ، فان الدولة الحاضرة كالبلد الأول والدولة
المتنمة كالبلد الثاني ، وقوة الرجاء وقيام احتمال الخير المتعلق بالدولة الثانية
حكمه حكم البلد الثاني ، وقد اشار الى ذلك من قال :

إذا لم يكن للمرء في دولة امرئ نصيب من الدنيا تمنى زوالها
(ومنها) تعلقهم بالأسباب المستحيلة كالنجوم والكيمياء والمطالب
والحرف الهوائيه الضعيفة الصدفية كصناعة الشهود اغير المعروف والدلالة
لغير المشهود ، والسبب في ذلك انه اذا أخفقت مساعي المقاليك وعجزوا
عن المعاش الطبيعي والتعلق بالأسباب المقيسة المطردة ودهشوا وتحيروا وعميت
عليهم الأنباء وتعلقت نفوسهم بالدنيا ولذاتها تمنوا الأمانى وقنعوا بمخادعة
الإملاق بالمواعيد الكاذبة واستنشقوا الغنى من حيث لانهب ربحه وأنوا
السعادة من غير ابوابها ، وأنا ابين وجه استحالة الأسباب الاول وهي
الكيمياء والنجوم والمطالب واستحالة افضاء التعلق بالسبب الآجر الى
المطلوب :

فأما النجوم فنقول : ليس البحث في تأثير شعاع الكواكب في
التسخين عند المسامة او التبريد عند الإنحراف عن المسامة ، ولا في وجود
الضياء في المواضع التي تطلع فيها الشمس والقمر وعدمه فيما غابا عنه ،
ولا فيما يجري مجري التأثير الطبيعي على حسب مانصه سبحانه وله الحمد ،
مثل ان النبات ينمى ويقوى ويشد ويتكامل وينضج ثمره بالشمس والقمر
وكما في امتداد القناء وطوله وغلظه بالقمر ، وسرعة نضج التين وادراكه
بمقابلة الشمس وبقائه فجاً بطيء الادراك بخفائه عن الشمس ، ومثل ان
البرد بسبب بعد الشمس عن سمت رؤوسنا وقوة الحر بسبب قرب الشمس
من سمت رؤوسنا ، وكذلك ليس البحث في أن الشمس اذا طلعت فان

فإن الحيوان ناطقه وبهيمة يخرج من اماكنه واكنته وتظهر القوة والحركة فيه وتزداد قوة الحيوان مع ازدياد صعود الشمس في الربع الشرقي وتنقص وتضعف قوة الحيوان وتفتقر مع ميل الشمس عن وسط السماء ، ولا في ارتباط فصول العوام الأربعة بحركات الشمس ، ولا في انفتاح الليثوف وورق الخطمي وتحركه بطلوع الشمس وضعفه إذا غابت عنه ، ولا في المدّ الحاصل في بحر فارس والهند اذا بلغ القمر مشرقاً من مشارق البحر الى ان يصير القمر الى وسط سماء ذلك الموضع ، ولا في الجزر الحاصل في البحرين المذكورين ، ولا في تأثير الشمس والقمر حرارة ورطوبة وبرودة ويبوسة وتوابعها في هذا العالم من الحيوان والنبات بواسطة الهواء وقبوله للسخونة والحرارة بانعكاس شعاع الشمس مثلاً عليه عند مقابلتها لجرم الأرض واختلاف حال الهواء بذلك واختلاف أحوال الأبخرة في تكاثفها وبردها ولطفها وحرها ، ولا في أن السودان لما كان مساكنهم خط الاستواء الى محاذة ممر رأس السرطان وكانت الشمس تمر على رؤوسهم في السنة إما مرة او مرتين تسودت ابدانهم وجعدت شعورهم وقلت رطوباتهم فساءت اخلاقهم وضعفت عقولهم ، ولا في اهل الهند واليمن وبعض اهل المغرب لما كانت مساكنهم اقرب الى محاذة ممر السرطان كان السواد فيهم اقل وطبائعهم واخلاقهم احسن واجسامهم انصح ، ولا في اهل العراق والشام وخراسان وفارس والصين لما كانت مساكنهم على ممر رأس السرطان الى محاذة بنات نعش الكبرى والشمس لاتسامت رؤوسهم ولا تبعد عنهم بعداً كثيراً وأن لذلك لم يعرض لهم حر شديد ولا برد شديد كانت ألوانهم متوسطة واجسامهم معتدلة واخلاقهم فاضلة ، ولا في أن هؤلاء يختلفون بحسب اختلاف ذلك : فمن كان من هؤلاء اميل الى ناحية الجنوب كان اتم في الذكاء والفهم ومن كان منهم يميل الى ناحية المشرق

فهم اقوى نفوساً واشد ذكورة . ومن كان يميل الى ناحية الغرب غلب عليهم اللين والرزانة ، ولا في أن الترك والصقالبة لما كانت مساكنهم محاذية لبنات نعش والشمس بعيدة عن مساكنهم كان البرد غالباً عليهم . لأنه ليس هناك من الحرارة ما ينشفها ، وكان لذلك ألوانهم بيضاء وشعورهم سبطة شقراء وابداًهم رخصة وطبائعهم مائلة الى البرودة واذهانهم جامدة ولا في ان الأخلاط التي في بدن الانسان تزيد مادام القمر آخذاً في الزيادة ويكون ظاهر البدن اكثر رطوبة وحسناً ، فاذا نقص ضوء القمر صارت هذه الاخلاط في غور البدن والعروق وازداد ظاهر البدن يبساً . ولا في ازدياد ألبان الحيوانات بتزايد القمر اول الشهر الى نصفه وتناقصها مع نقصانه . ولا في ادمغة الحيوان وامقال البيض التي تزيد اول الشهر وتنقص آخره . ولا في ان الانسان اذا نام او قعد في ضوء القمر حدث في بدنه الاسترخاء والكسل وهاج عليه الزكام والصداع . ولا في بلاء الكتان وفساد اللحم وتغير طعمه بانكشافه لضوء القمر ، ولا في كثرة الأسماك في البحر وسمنها اول الشهر وقتلها وضعفها آخره ، ولا في قبول الرياض والأشجار للنمو والنشو اذا غرست اول الشهر وعدم قبولها لذلك اذا غرست آخره .

انما البحث في أن النجوم تؤثر في جملة الحوادث السفلية من السعادة والشقاوة والذكاء والبلادة والحسن والقبح والخديعة والمكر والنذالة والشهامة والشجاعة والجن والأشكال والمقادير ونحوها ، وان ذلك كله بانصالات الكواكب وانفصالاتها ومسامتها ومباينتها ، فان هذا مما لا برهان عليه لا يخبر من لا يجوز الكذب عليه ولا بضرورة العقل ولا بنظره . وغايتسه حدس وتخمين وظنون كاذبة وتزوق وتفرض وحيلة وخديعة . حتى ان من لا يتقيد بالشرعية كابن سينا والفارابي بالغوا في الرد على الأحكاميين

والنجوميين واطال في ذلك ابن سينا في آخر الشفاء « وحتى ان ابا
معشر وهو من أئمتهم اعترف بأنه تخمين ، فانه قال معتذراً : كل الأعراض
الغائبة توهم لا يكون شيء منها يقيناً وانما يكون توهم اقوى من توهم .
وانظر ما كان اقوى تعلق بنى برمك بالنجوم حتى في ساعات اكلمهم
وركوبهم وعامة افعالهم وكيف كانت نكبتهم الشنيعة ، وانظر حال علي
ابن مقلة الوزير وتعظيمه لعلم احكام النجوم ودخوله داره على طالع سعيد
فنكب فيها اشد نكبة وقطعت يده ولسانه .

والدليل على بطلان ذلك انا نشاهد عالماً كثيراً يقتلون في ساعة
واحدة في حرب وخلقاً يغرقون في ساعة واحدة مع القطع باختلاف
طوالعهم واقتضائها عندهم احوالا مختلفة ، ولو كان للطوالع تأثير في هذا
لامتنع عند اختلافها الاشتراك في ذلك .

ولا ينفعهم الجواب بأن طالع الوقت قد يكون اقوى من طالع
الأصل « فيكون الحكم له . لانا نقول : هذا بعينه يبطل الجزم بطالع
المولود ويحيل القول بتأثيره ، فلعل طوالع الأحوال المتجددة اقوى من
طالع الاصل فيرتفع الوثوق بطالع الاصل ، اذ لا أمان لاقتضاء الطوالع
بعد ضدّ ما اقتضاه « وحينئذ فلا يفيد اعتباره شيئاً .

وايضاً فانه لو كان طبيعياً وذاتياً لما اختلف ، والتالي باطل فالمقدم
مثله . أما الملازمة فظاهرة ، وأما بطلان التالي فان المنجمين قلما يجمعون
على شيء ويكون كذلك . فن ذلك اتفاق حذاقهم سنة سبع وثلاثين عام
صفيين في مخرج علي رضي الله عنه من الكوفة الى محاربة اهل الشام على
انه يقتل ويقهر جيشه ، فظهر كذبهم وانتصر جيشه على اهل الشام ولم
يقدروا على التخلص منهم إلا بالحيلة التي وضعوها من نشر المصاحف على
الرماح والدعاء الى ما فيها .

ومن ذلك اتفاقهم عند ماتم بناء بغداد سنة ست واربعين ومائة على ان طالعا يقتضى أنه لا يموت فيها خليفة « وشاع ذلك حتى هنا الشعراء به المنصور حيث قال بعض شعرائه :

يهنيك منها بلدة تقضي لنا ان المات بها عليك حرام
لما قضت احكام طالع وقتها ان لا يرى فيها يموت امام
وأكد هذا الهذيان في نفوس العوام موت المنصور بطريق مكة ثم المهدي بما سبذان ثم الهادي بعنيساباد ثم الرشيد بطوس « فلما قتل بها الأمين بشارع باب الأنبار انخرم هذا الاصل حتى رجع القائل الاول فقال :
كذب المنجم في مقالته التي نطقت على بغداد بالهذيان
قتل الأمين بها لعمرى يقتضى تكذيبهم في سائر الحسابان
ثم مات ببغداد جماعة من الخلفاء مثل الواثق والمتوكل والمعتضد والمكثفي والناصر وغير هؤلاء .

ومن ذلك اتفاقهم في سنة ثلاث وعشرين ومائتين في قصة عمورية على ان المعتصم إن خرج لفتحها كانت عليه الدائرة وان النصر لعدوه « فخرج ففتح عمورية وما والاها من كل حصن وقلعة ، وفي ذلك الفتح قام ابو تمام الطائي منشداً :

السيف أصدق انباءً من الكتب في حدة الحد بين الجد واللعب
بيض الصفائح لاسود الصفائح في متون جلاء الشك والريب
والعلم في شهب الارماح لامعة بين الحميسين لافي السبعة الشهب
ابن الرواية ام ابن النجوم وما صاغوه من زخرف فيها ومن كذب
تخرصا واحاديثاً ملفقة ليست بنبع (١) اذا عدت ولا غرب
وهي نحو من سبعين بيتا اجيز على كل بيت منها بألف درهم .

(١) النبع شجر تعمل منه القسي والسهام ، والغرب بالتحريك شجر أيضاً

ومن ذلك اتفاقهم وفيهم زعيمهم ابو الحسن العاصمي على ان المكتفى بالله ان خرج لقتال القرامطة لم يرجع وتزول دولته وان طالع مولده يقتضى ذلك ، وأخافوا وزيره القاسم بن عبيد الله من الخروج معه فخرج اليهم المكتفى وأخذهم جميعاً ، ولما عاد وزيره القاسم أمر باحضار رئيس المنجمين وصفعه صفعاً عظيماً .

ومن ذلك اتفاقهم سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة عندما أراد القائدجوهر بناء مدينة القاهرة المعزية وقد كان سبق مولاه الملقب بالمعز الى الدخول الى الديار المصرية لما امره ببنائها وان يكون نجوم طالعها في غاية الاستقامة ويكون بطالع الكوكب القاهر وهو زحل او المريخ ولذلك سميت القاهرة فجمع القائد جوهر المنجمين فحققوا الرصد وأمر البنائين ان لا يضعوا الأساس حتى يقال لهم ضعوه وان يكونوا على نهاية من التيقظ والإسراع فوضعت على ذلك الاتفاق واتفقوا على ان الدولة الفاطمية لا تخرج الدولة عنهم ، فلما استولى عليها صلاح الدين يوسف بن أيوب وكان المصريون قائمين بدعوة العاضد عبد الله بن يوسف توهم الجهال ان ما قاله المنجمون حق ، فلما رد صلاح الدين الدعوة الى بني العباس ظهر كلهم وكانت المدة بين وضع الأساس وانقراض الدولة نحواً من مائة وثلاثة وتسعين عاماً والاعتذار عنهم بسبق البنائين الأرصاد بعيد لان تبديل البناء وتغييره مع الاحتياط للدولة مع سهولة التغيير مما لا يتسامح به .

ومن ذلك اتفاقهم سنة خمس وتسعين وثلاثمائة في أيام الحاكم على انها السنة التي تنقضى فيها بمصر دولة العبيديين ، وذلك عند خروج الوليد ابن هشام المعروف بأبي ركة الأموى ، وحكم الطالع له بأنه هو القاطع لدولة العبيديين وانه لا بد أن يستولى على الديار المصرية ويأخذ الحاكم بذلك واكبرهم المعروف بالفكرى منجم الحاكم ، فكان ابو ركة قد ملك بركة

واعمالها وكان من تدبير الحاكم ان دعا خواصهم وأمرهم ان يكتبوا أبا
ركوة ويطمعوه باختياره على الحاكم ففعلوا « فزحف ابو ركوة بعساكره
حتى نزل بوسيم على ثلاثة فراسخ من مصر فخرجت اليه العساكر الحاكمة
فهزمته « فتحقق انها خديعة فهرب وقتل خلق كثير من عسكره وطلب
فأخذ اسيراً ودخل به الى القاهرة على جمل مشهوراً ، ثم امر الحاكم بقتله
سنة ٣٩٧ وأمر الحاكم بالفكرى فقتل .

والسبب في استمالة الفكرى للحاكم أن الفكرى أصاب معه في قضيتين
« احدهما » ان الحاكم عزم على ارسال اسطول الى مدينة صور لمحاربتهم
فسأله الفكرى ان يكون تدبيره إليه ليخرجه في طالع يختاره وتكون العهدة
ان لم يظفر عليه ، واتفق ظهور الاسطول . « الثانية » انه ذكر له أن
بساحل بركة موريس مسجداً وأن تحته كنزاً ، وسأله ان يتولى هو هدمه
فان ظهر الكنز وإلا بناه هو من ماله ، فاتفق اصابة الكنز .

ولما حكم عليه الفكرى بتغيير دولته وقضى المنجمون بمثل قضائه وقع
في نفس الحاكم أن يغير دولته تغييراً معنوياً ، فعمد الى كل متولٍ في
دولته ولاية فعزله منها « وقتل وزيره الحسن بن عماد وصار يأمر في يومه
بخلاف ما يأمر به في أمسّه ، فأمر بسب الصحابة رضى الله عنهم على
رؤوس المناير والمساجد « ثم امر بقطع سبهم وعقوبة من سبهم « وأمر
بقطع شجرة الزرجون (١) من الأرض واوجب القتل على من شرب الخمر
ثم أمر بغرس هذه الشجرة وإباح شرب الخمر ، واهمل الناس حتى نهب
الجانب الغربي من القاهرة ، وقتلت فيه جماعة ثم ضبط الأمر حتى امر أن
لا تغلق الحوانيت ليلاً ولا نهاراً ، وامر منادياً ينادي : من عدم له ما
يساوي درهماً اخذه من بيت المال درهمين بعد ان يحلف على عدمه او

(١) الزرجون محرقة : الخمر والكرم او قضبانها « وصيغ امر .

بعضه بشهادة رجلين ، حتى تحيل الناس في ستر حوائثهم بالجرید لئلا تدخل الكلاب .

ثم لما قتل الفكري لم يزل اثر التنجيم في نفسه لتشوف النفس الى التطلع الى الحوادث قبل وقوعها ، فجمع المنجمين جمعاً ثانياً بعد أن جمعهم اولاً وعملوا له الرصد الحاکمي الذي خالف فيه الرصد المأموني . فالزموه فيما ألزموه برکوب الحمار وأن يتعاهد الجبل الملقط في اکثر الأيام وينفرد وحده يخاطب زحل . وحكموا بأنه ما دام كذلك كان سالم النفس فلزم ما اشاروا عليه به ، فخرج بحماره الى ذلك الجبل على عادته وانفرد بنفسه لکوکبه . وقد استعد قوم بسکاکين فقطعوه هناك وأعدموا جثته فلم يعلم له خبر . فمن هنا تقول اتباعه الملاحدة انه غائب منتظر .

ومن ذلك اتفاقهم سنة ٤٨٢ على خروج ریح سوداء تكون في سائر الأقطار تهلك الناس إلا من اتخذ لنفسه مغارة في الجبال، بسبب ان الكواكب كانت اجتمعت في برج الميزان وهو برج هوائي ، كما اجتمعت في برج الحوت زمن نوح عليه الصلاة والسلام وهو برج مائي فحصل الطوفان فاتخذ الرعاع المغاير استدفاعاً لما اندرهم به ، فلما جاء الوقت الموعود قل هبوب الرياح حتى أهم الناس ذلك لما هم عليه من الكرب وظهر كذبهم ومن ذلك اتفاقهم في الدولة الصلاحية على أن الإسكندرية لا يموت فيها وال . فلما مات بها الملك المعظم شمس الدولة توران شاه ابن ايوب سنة ٤٧٤ ثم واليا فخر الدين قراجا بن عبد الله سنة ٤٨٩ ثم واليا سعد الدين ابن سودكين بن عبد الله سنة ٦٠٤ انخرمت هذه القاعده .

ومما اتفق عليه المنجمون أن الإنسان اذا أراد ان الله تعالى يستجيب دعاءه جعل الرأس في وسط السماء مع المشتري ، او بنظر منه مقبول والقمر متصل به . او منصرف عنه متصل بصاحب الطالع ، او صاحب الطالع

متصل بالمشتري ناظر الى الرأس نظر مودة . فهناك لا يشكون أن الاجابة
 حاصلة . قالوا : وكانت ملوك اليونان يلزمون ذلك فيحمدون عقباه ،
 والعاقل يعلم ان الله تعالى لا يتأثر بحركات النجوم ولا توجب النجوم عليه شيئاً
 وأما الكيمياء فلا بحث في إمكانها على يد ولي من قبيل الكراهات
 وخرق العادات . ولا في الوصول الى تصحيح صبغها ظاهراً على وجه
 التليس والغش كما يفعله الفساق ، إنما البحث في تصيير النحاس ذهباً
 حقيقة على طريقة صناعية مطردة ، فهذا مما لا اعتقد صحته .
 وقد صنف الشيخ تقي الدين بن تيمية رسالة في إنكارها ، وكذلك
 ابن قيم الجوزية كما حكاه هو عن نفسه في كتابه المسمى (مفتاح دار
 السعادة) .

واضطرب كلام الفارابي في إمكانها فأثبتها مرة ونفاها اخرى والشيخ
 ابو علي بن سينا سلم امكان أن يصبغ النحاس بصبغ الفضة والفضة بصبغ
 الذهب ، وان يزال عن الرصاص اكثر ما فيه من النقص . قال : وأما
 أن يكون الفصل المنوع يسلب او يكسب فلم يظهر لي امكانه ، إذ هذه
 الأمور المحسوسة يتشبه ان لا تكون الفصول التي بها تصير هذه الاجسام
 انواعاً . بل هي أعراض ولوازمها وفصولها مجهولة . واذا كان الشيء
 مجهولاً كيف يمكن قصد ايجاده او افناؤه .

وللفلاسفة في امتناعها مطلقاً حجج كثيرة : فن اقواها ان الطبيعة
 انما تعمل هذه الأجسام من عناصر مجهولة عندنا ، ولتلك العناصر مقادير
 معينة مجهولة عندنا ، ولكيفيات تلك العناصر مراتب معاومة - أي في نفسها -
 وهي مجهولة عندنا ، ولتمام الفعل والإنفعال زمان معين هو مجهول عندنا ،
 ومع الجهل بكل ذلك كيف يمكننا عمل هذه الأجسام .

(ومنها) لو كان الذهب الصناعي مثلاً للذهب الطبيعي لكان ما

بالصناعة مثلاً لما بالطبيعة لكن التالي باطل ، أما أولاً فلأننا لم نجد شيئاً
وأما ثانياً فلأنه لو جاز أن يوجد بالصناعة لما حصل بالطبيعة ولما ثبت
امتناع التالي ثبت امتناع المقدم .

(ومنها) أن لهذه الأجساد أماكن طبيعية وهي معادنها هي لها بمنزلة
الأرحام للحيوان ، فمن جواز تولدها من غير تلك المعادن كان كمن جاز
تولد الحيوان من غير الأرحام .

(ومنها) أن هذه الأجساد متباينة بفصولها النوعية . وتلك الفصول
مجهولة لنا ، فلا يمكننا إيجادها ولا إعدامها ، وبتقدير أن تكون الفصول
معلومة لنا لا يمكننا إزالتها وتحصيلها . لأنه لو جاز أن يجعل نوع نوعاً
لجاز أن يجعل الفرس حماراً وبالعكس .

(ومنها) أن الجوهر الصايغ إما أن يكون أصبر على النار من
المصبوغ أو يكون المصبوغ أصبر أو متساويين ، فإن كان الصايغ أصبر
وجب أن يفنى المصبوغ قبل الصايغ ، وإن كان المصبوغ أصبر وجب أن يفنى الصايغ
ويبقى المصبوغ على حاله الأول عرياناً عن الصيغ ، وإن استويا فكلاً استويا
في المصاهرة على النار كلنا من نوع واحد ، فليس أحدهما بالصايغية وآخر
بالمصبوغية أولى من العكس .

(ومنها) تكوين الذهب الطبيعي إنما يحصل في سنين كثيرة بانضاج
وطبخ من حرارة الأرض على وجه مخصوص بمواد مخصوصة . ومراعاة
الإنسان النار في عمل الذهب على هذا النظام مما لا يفي به علم البشر . ثم
إذا كان تكوينه بالقدر القديمة على الوجه الطبيعي إنما يحصل في سنين
فكيف يتكون بالقدر الحادة في مدة يسيرة .

قال الطبيعيون : أن الزئبق إذا كمل نضجه في الأرض جذبته إليه
كبريت المعدن فأجته وأخفاه في جوفه لئلا يسيل سيلان الرطوبات . فإذا

اختلطاً واتحدا وذابت الحرارة انعقدا عند ذلك ضروباً من المعادن التي يسمونها الفلزات ، وهي السبعة الآحاد الذائبة الصابرة على النار المنطرفة ، فان كان الزئبق صافياً والكبريت نقياً واختلطت اجزأؤهما على النسبة وكانت حرارة المعدن معتدلة لم يعرض لها عارض من البرد واليبس ولا من الملوحة والحموضة انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الإبريز ، وهذا لا يتكون إلا من الأحجار الرخوة والبراري الرملية ، وبذلك يتضح عندك ان قوة الإنسان قاصرة عن إيجاد مثل ذلك مادة وكيفية .

وبزيد ذلك وضوحا ان المذكور في كتب الكيمياء انما هو رموز « فلو كان لها حقيقة لصرحوا بها ، فقد صرح العلماء بما هو أنفس من ذلك وأجلّ قدرأ مما كان له حقيقة ، ولا أقول كحل المشكلات . والجمع بين الاحاديث الصحيحة والنكات القرآنية الشريفة لئلا يكون تخليطاً في البحث » فان البحث انما هو في الأمور الدنيوية ، بل ككتب ابن وحشية وغيره في الطلسمات الصحيحة والفلاحة النافعة وأنواع من السحر هي في بابها كفلق الصبح وفي نفاستها كالكيمياء او فوقها ، فلا يصح التعليل بأنهم انما كتموها تمويها وزرفا (١) وعجزاً عن تصوير مالا حقيقة له او توهاً كاذباً وتخميناً طمعياً » والله أعلم .

واما المطالب فلا بحث في امكان ان يجد الشخص دفيناً جاهلياً او اسلامياً على الاتفاق والصدف ، انما البحث في أن تحت الأرض مساكن وعمارات مبنية وفيها كنوز واموال عظيمة وعليها موانع وطلسمات ، ولتلك الموانع طرق نزول بها ، وعلى تلك المطالب علامات وأمارات يتوصل بها الى امكتتها ويستدل عليها بها ، فهذا من مخارق المحتالين وأمانى المفلوكن

(١) زرف في الكلام : زاد فيه ، والزرافة مثل كاسة الكذاب - ا.هـ.ومنه

يعلم مراد المؤلف .

ولا دليل لهم فيما يروجون كذبهم به من أن في القرون السالفة من كان يعتقد العود الى الدنيا فيدخر ماله لذلك لما سنيينه .

والدليل على ان المطالب لا حقيقة لها وانما هي من المطامع الفارغة والمخارق والخديعة أن ادخار الاموال العظيمة على هذا الوجه المخصوص إما ان يكون لغرض أولا لغرض ، والغرض إما دنيوى او اخروى « والأقسام الثلاثة باطلة وما ادى الى الباطل فهو باطل ، فالقول بوجود المطالب باطل .

بيانه : انه لا جائز ان يكون ادخار المال في الأرض لا لغرض بأن يوضع تحت الارض عبثاً لتأكله الارض ويذهب سدى ، فإن ذلك خلاف صريح العقل لأن الذهب والفضة هما قيم الأشياء وجوهر الثمنية واسباب المطالب « ولا جائز أن يكون لغرض أخروى ، لأن شريعة الاسلام ليس فيها ما يدل على مطلوبة الإدخار والكنز ونيل الدرجات في الآخرة بسببه بل هي ناهية عنه وآمرة بصرفه في وجوه القربات والخيرات . واصحاب الملل غيرها منهم من ينكر المعاد الجسماني على القطع ، ومنهم من تردد فيه « وهؤلاء لا يجوز ان يدخروا المال لأمر اخروى ، لما ان اخرويا من غير اعتقاد الآخرة محال ، وذلك كعبدة النجوم والصابئة والنصارى على ما قاله الإصفهاني في شرح الطوالع في الكلام على المعاد الجسماني ، وان كان فيه نظر . وأما من يقول بالادوار والتناسخ كعبدة الأوثان فالكلام في عدم ادخارهم كالكلام على القسم الثالث . واما القسم الثالث - وهو ان يكون الادخار لامر دنيوى يعود على المدخر لاعتقاد عوده الى الدنيا - فهو ايضاً باطل ، لانه لو كان كذلك لبالغوا في اخفائه وسد طريق العلم به « لكننا قد فرضنا له علامات وأمارات يعرف بها ، هذا خلف .

واما عدم افشاء حرفة الشهادة الى المقصود فذلك لأن الحرف

والصنائع على قسمين : قسم يلزم من العلم به واجادته الحصول على ثمرته وقسم لا يلزم بل لا بد من ضميعة أخرى ومنه حرفة الشهادة وسائر الحرف الهوائية الغير المعيشية ، وينبغي ان يسمى معاشاً غير طبيعي . وهذه لا وثوق بإفصائها الى المقصود .

وبيانه فيما نحن بصددده وهو الشهادة ان حقيقة حرفة الشهادة ملكة يقتدر بها على التعبير عن مقاصد المشهود له وعليه بلفظ صحيح متعارف مستوف لمقاصدها بشروط شرعية وعلى افراغ مقاصدها في قالب شرعي ان كانت غير شرعية ، وغايته تحويل عبارة المشهود له وعليه العامة الى عبارة يرتضيها العلماء وتحويل تصويرها الفاسد الى صورة شرعية .

ثم لا يلزم من تحصيل هذه الملكة واجادتها الحصول على ثمرتها والرواج فيها ، بخلاف القسم الاول من الحداثة ونحوها ، فان من علمها وأجادها حصل على ثمرتها .

وحكم سائر الحرف الهوائية كالدلالة والنقابة في عدم افصائها بالعارف بها الى مقصودها حكم الشهادة ، ولك أن تجعل ذلك حداً رسمياً للحرف الهوائية ، فيقال في حدها : حرفة لا يلزم من العلم بها واجادتها الحصول على ثمرتها .

والحاصل ان لحرفة الشهادة موانع من حصول ثمرتها والمقصود منها ، ولها مفساد ونقائص عاجلة ومضار أخروية آجلة .
فأما الموانع فأمر :

(منها) ان حرفة الشهادة من قبيل الإحتراف بالعلم . والعلم كما سيجيء تحقيقه في الفصل الخامس أقبل شيء للخفاء والجحد والجهل بقدره من صاحبه . وأقبل شيء للاضافة الى غير أهله بالخط والجاه والتلبس وسكوت معور عن معور ، واذا كان كذلك فقد يدور الرواج في الشهادة

مع الهيئة والزي الظاهر واللباس الفاخر ، ويخفى مكان الإنصاف بحرفة
الشهادة على التفسير السابق « فيفوت الرواج بفوات الهيئة واللباس ، وهناك
ينشد :

أرى ثياباً ولكن حشوها بقر بلا قرون وذاعيب على البقر
(ومنها) أن مبنى حرفة الشهادة على العوام ، وهم مربوطون بأوهامهم
واقفون مع مألوف عاداتهم ولا تميز لهم بتفهم كتابة وكتابة والتقليد
وظيفتهم وذائق لهم « فلا يستعملون في وثائقهم ومكاتيبهم مجهولاً لهم
لتوهمهم فيه إفساد مكاتيبهم ، ويلزم من عدم استعمال المجهول استمراره
على خموله ومجهوليته أبد الآبدين ودهر الدهارين .

(ومنها) ان مبنى للرواج على الشهرة ، والشهرة إما بقدمية او
بتشهير مقبول القول ، فلأما القدمية فليس المراد بها طول الإقامة في مكان
بل كثرة الكتابة التي للشاهد في ايدي الناس المحركة لدواعيهم في استعماله
التي يستلزم بعضها بعضاً ، والدخيل خال عن ذلك . وقدما ان الشخص
المجهول لا يستعمل « والمكث المجرد عن الكتابة لا يفيد شيئاً ، حتى لو
أقام الدخيل أبد الآبدين في مكان لا يستكتب فيه لم يكن بينه في الجهالة
والخفاء والإهمال والجمود فرق البتة . وأما تشهير مقبول للقول فأعز من بيض
الأنوق ومن تصحيح (١) الإكسير ، وما احق هذا بقول القاضي الجرجاني:
اذ لم يكن في الأرض حر يعينني ولم يك لي كسب فن أين أرزق

(ومنها) ان الحرفة هوائية صرفة ، وصرفها عن الدخيل والأجنبي
الذي لا زبون له بالمواطأة والحيلة والإعتذار والشعوذة والدك من إدخال
الأشياء تحت الإمكان لاسمائها واهلها بطرق اللؤم اهدى من القطا « مع ما لهم

(١) الإكسير : الكيمياء . وقد أقام المؤلف البرهان على عدم صحتها فتنبه

من القسوة والقحة وغلظ الأكباد احسن الله خلاصنا من أيديهم .
وأما المفاسد والنقائص العاجلة فلأن الشهادة في هذا الزمان تستلزم
النذالة والسفالة والدناءة وسقوط الهمة وموت النفس والشح والقحة وتؤدي
الى التباغض والتماقت والتقاطع والتدابير والتحاسد ، يتقاسمون الفلس والفلسين
ويتغاضبون على الحبة والحبتين ويراضون بالدرهم والدرهمين ويسرقون
ويختلسون . قال عمر بن الوردى من ارجوزة طويلة في ذلك :

يغيب الأشغال من ابيه ويسرق الأجرة من اخيه
ويحلفون بالطلاق والعناق على ما كذبهم فيه أظهر من الشمس فضلاً
عما يحتمل الكذب ، ويعدون ذلك استرضاءً وعقلاً ، ويتهافتون بسرعة
القيام للاشغال ويعلمونه حذقاً وكيساً ، ويوسعون الدخيل حرماناً وشعبذة
ويعلمونه دهاءً وكيساً ، وقد قلت في تهافتهم ومبادرتهم القيام :
بليت به جهولاً جاهلياً ثقيل الروح مذموماً بغيضاً
ولم يك أكثر الإخوان علماً ولكن كان أسرهم نهوضاً
وأما المضار الاخرية فن وجوه :

« اولها » - حضور الأنكحة مع عدم الإستظهار في شروطها من
افضاء العدة والأولياء والكفاءة وغيرها . وعلى الجملة فالاقدام على عقد
من غير معرفة حكمه حرام » ثم بتقدير وجود الشرائط فمعهم من انفسهم
المفسد الأعظم وهو فوات العدالة ، لما ان كل واحد يعرف من نفسه مالا
يعرف من غيره ، والعدالة عند الشافعية عبارة عن عدم مباشرة الكبائر
والإصرار على الصغائر مع المروءة ، واين من يجمع هذه الثلاثة مع خطر
النكاح وكثرة ما يترتب عليه من الأحكام من التوالد والتوارث وانتشار
النسب الى عدد كثير ، وما يترتب على ذلك المنتشر من الأحكام ووجوب
مالا يجب الا بالنكاح وحل مالا يحل الا به ، الى غير ذلك مما لا يحصى كثرة

« وثانيها » - ان شركة الأبدان القائل فيها قائلان : قائل بعدم جوازها البتة كالشافعي « وقائل بجوازها كالحنبلي والحنفي « وایس لنا قائل بوجوبها . وان اثنين ينعقد بينهما شركة الابدان بغير اختيارهما ، ومبنى شركة الشهود غالباً على الإكراه ، فقلما يقع بين الشهود شركة ابدان صحيحة بالتراضي « بل كل منهم لا يريد الآخر ولا الكتابة معه ، ومنعه من ذلك موانع هي إكراه او في معنى الإكراه ، ويكتب احدهما مائة سطر والآخر يكتب اسمه ويتقاسمان على السواء ولا شركة بينهما قائمة « فيصير الكسب كله حراماً ، مع ان أكل الحرام مما يظلم القلوب ومنعها من دخول الحكمة فيها .

« وثالثها » - انه يجب على كل أحد علم ظاهر صناعته كما ذكره الشافعية في كتب الفقه أول كتاب الجهاد ، فيجب على الصيرفي مثلاً معرفة ان بيع درهم بدرهمين مثلاً حرام وغير ظاهر صنعته كباقي مسائل الربا التي لا يكثر دورها لا يجب عليه تعلمه ، واذا وقع له شيء منه سأل عنه العلماء : وقياسه ان كل شاهد يجب عليه ان يعلم شروط الرهن والبيع والكفالة والأقارب ، لأن هذه الأشياء كثيرة الدور ، وبقي مسائل هذه الأبواب يسأل عنها المفتي اذا وقع له ، فحينئذ من ترك من الشهود معرفة هذه الأشياء كان عاصياً ، ويتكرر عصيانه كل يوم ويترتب على ذلك مالا يخفى وايضاً كثيراً ما يكتب الشهود في الشهادة على من لا يعرفونه وقد عرفه شهوده وهو كاذب ، لأن المعرفة لا تحصل بالنظرة ولا بالمرّة : ويتكرر هذا الكذب بتكرر الشهادة على المجاهيل ، ويترتب على ذلك مالا يخفى .

« ورابعها » - تضييع الحقوق بالجهل ، قرب من يكتب شيئاً يزيد فيه كلمة أو ينقص كلمة أو يصور صورة يترتب عليها مفسد شرعية وهو بجهله لا يعلمها « ولا يصح الاعتذار عن ذلك بأن الكلمة الزائدة أو الناقصة

هكذا تحملها ، لأن ذلك بتسبيه وتوريطة المشهود له ، وعليه في ذلك بتقليدها إياه ظناً منها أنه أهل للتقليد .

« وخامسها » - التدليس باستراء المشهود عليه بكلمات الفقهاء التي تقصر عن إدراك غوائلها ودسائسها أفهام العوام من غير أن يعرف العوام ما وراء ذلك من الغور ، مع القطع بأنه لو شرح له ما في ذلك من الفساد لما أقدم عليه . ولا يصح أيضاً الاعتذار عن ذلك بأنه هكذا تحمل وهكذا استرعا ، لأن هذا مما لا ينفع عند العليم الخبير .

« وسادسها » - أنهم يكتبون في كتب الأوقاف كلاماً طويلاً تلقوه عن تقديمهم من غير أن يعرفوا معناه فضلاً عن الواقف المشهود عليه « بدليل أن العلماء فضلاً عن المورقين تدور رؤوسهم في ثلثي الحال في فهم المراد منه ، والواقف لم يتلفظ به ولا بمعظمه ، ولو قرئ عليه لم يفسد لاستحالة إرادة معنى شيء بلون فهمه .

على أن الإنشآت لا بد فيها من اللفظ من فهم المعنى « بدليل أن الأعجمي لو لقن الطلاق بلا فهم فأوقعه وأراد معناه عند العارف بمعناه لم يقع . وعلى الجملة فشهادتهم على الواقف بما نسب إليه فيه وهو لم يفهمه مشكلة جداً ، بل وينشأ من عباراتهم الفاسدة الناشئة عن الجهل حرمان من لعل الواقف لم يرد حرمانه لو روجع فيه ودخول من لم يرد دخوله . وعلى الجملة ففي هذا الموضع نظر ظاهر فليتأمل .

« وسابعها » - تصریح العلماء من الشافعية والحنفية بأنه لا يشهد على خطئه ما لم يتذكر الواقعة ، فأما القضايا التي يكون فيها مدخل أو يكون هو المورق وله في عبارته وكتابته ما يذكره بالقضية فلا كلام فيها « ولكن ثم من القضايا ما يستحيل التذكر فيه عادة ، كالشهادة على الحكام في ظهور السجلات مع طول المدة وما في معنى ذلك « فليستفت الشاهد

قلبه في ذلك فإنه من مزال الأقدام .

« وثامنها » - الإكتفاء في الشهادة على الحكام في السجلات الطويلة والمحاضر وصور المجالس الطوال بقول الحاكم له « نعم » جواباً لقول الشاهد له « اشهد عليكم بما فيه » من غير أن يقرأه عليه بل ولا يعرف الشاهد ما فيه لا إجمالاً ولا تفصيلاً ، وقد قال فقهاء الشافعية في كتاب القاضي للقاضي انه لو لم يقرأ على الشاهدين وقال الحاكم لهما أشهدكما علي انه كتابي أو أن ما فيه خطي لم يكتف بذلك .

« وتاسعها » - رفع الشهود نسب من لا يعرفون نسبه مع ان ذلك شهادة بنسبه ضمناً ، كما قاله السبكي في جمع الجوامع في الكلام على أن مورد الصدق والكذب إنما هو النسبة التي تضمنها الخبر لا واحد من طرفيها « ولو سلم ان ذلك ليس شهادة بالنسب لا اصلاً ولا ضمناً فقد قال الامام كما نقله عنه في الروضة والرافعي انه لو لم يعرف المشهود عليه الا باسمه لم يتعرض في الشهادة لاسم ابيه .

هذا ما رأيت ان اذكره مما قوى عندي مما حضرني في هذا المقام من موانع حصول المقصود من حرفة الشهادة ومفاسدها ، ووراء ذلك غور لا يمكن التصريح به ، ورأيت ان الإمساك عنه اولى ، وما أحق ذلك بقول القائل :

في النفس اشيء لا أسطيع اذكرها لو قلتها قامت الدنيا على ساق
والله المستول في الخلاص منها واليه اضرع وعليه اتوكل .

الفصل الخامس

(في ان الفلاكة والإهمال ألصق بأهل العلم وألزم لهم من غيرهم
وبيان السبب في ذلك)

وانما كانت الفلاكة ألصق بهم غالباً من غيرهم لامور :
(منها) ان الإمارة عنهم بمعزل ، والتجارة مبنية على السفسفة
والماحلة (١) والآمال التي لا يقوم دليل على وقوعها ، والفلاحة والصناعة
يلزمهما المهانة والتلوث برذائل الحيل الدنيوية واهل العلم لهم أنفة واستنكاف
عن ذلك ، فيقعّدون عن الإكتساب متعلّين بالأمانى الكاذبة ، فيقعّدون في
الفاقة والإملاق .

(ومنها) انهم يحسّنون ظنونهم في الناس على مقتضى ما يتوهّمونه في
أنفسهم من استحقاقها لذلك ، ويبنون على ذلك ربيعاً ويحاولون منيعاً ،
والناس لا سيما أهل عصرنا لا يقيمون لعلومهم ومعارفهم وزناً فيبنون
ظنونهم على شفا جرف هار ، وتأتي الحوادث ببنائهم من القواعد فتجثته
ويعودون بآمال خاسرة وظنون كاذبة .

(ومنها) انهم لا اعتيادهم القواعد الكلية والخوض في الأنظار الدقيقة
يطردون معظم الأشياء كلياً حرماناً وحصولاً ، ويقيسون الأشياء على اشباهها
على طريق قياسهم الفقهي ، ويلحقون بعض الوقائع ببعض على سبيل إلحاق
النظير بالنظير والقياس التمثيلي . والقضايا وان تناسبت أو تساوت من وجه فقد
تختلف من وجه آخر او من وجوه آخر تخفى على غير المهرة في احكام
الدنيا ودقائقها ، او لخصوص في المادة او لوجود مانع او فوات شرط
او لكون تلك القاعدة المأخوذ منها حكم ذلك الفرع ليست كلية في نفسها
بل اكثريّة وذلك الفرع من غير قسم الاكثر ، وهم عن ذلك كله غافلون
والقواعد العلمية التي يعرفونها تقضى عليهم بتصحيح الأقيسة والوثوق
بها ، فيطردون معظم الأشياء كلياً حرماناً وحصولاً تأليفاً وتنفيراً تقريباً

(١) ماحله ماحلة ومحالا : قاواه حتى يتبين أيهما أشد . . والغرض ان
التجارة مبنية على الماكسة .

وتبعيداً اهملها ومراعاة . فيخبطون لذلك خبطاً عظيماً ويخطئون السياسة اصلاً ورأساً . والكيس من العامة والهمج لا يعرف الكليات ولا الأقيسة والعمل بها ولا إلحاق الأشياء بنظائرها ولا قياس العكس والخلف والملازمات . فينظر في الجزئي الذي هو بصدده نظراً خاصاً غير مشوش بما يفسده ويتفق فيه مانعاً وعائقاً . ويجسره على ذلك صحة الجزم وعدم التردد وما ينشأ من كثرة الاحتمالات من الفتور والتواني وضعف العزيمة ، فتنبجح مساعيهم ويصيبون في ظنونهم غالباً .

(ومنها) أنهم لبعد غورهم وغوصهم يفرضون محتملات بعيدة ويجزمون بوقوعها وثوقاً منهم بظنونهم وافتئاناً بأنفسهم . وما من شيء الا ويطرقه الاحتمال المثبط عن امضائه واستقامته ، فيتخلفون لذلك عن مظان الخير والتعرض لتنقيسات الدهر وغشيان أهل الجاه ، فيقعون في الفلاكة والإهال (ومنها) وهو مختص بأصحاب علوم الأوائل من الحكمة والفلسفة والطبيعة والمنطق والجدل والطب وكلام الأقدمين والتصوف الممزوج بالفلسفة والمتبحرين في التشكيكات والشبه ، وعلى الجملة فن تضلع في هذه العلوم وحدها ولم يكن له خدمة لما في الكتاب والسنة من الأحكام والمعارف ولا تضلع في الفقه ولا نظر نظراً تاماً في كلام العلماء الكبار المتشرعين فانه يخرج بهاء الشريعة وجلالها ومهابتها وتعظيم ما فيها من قلبه ، فيسترسل في اللذات محرمة كانت او جائزة رذيلة خسيصة كانت او غير منفرة ، ويستثقل الاتيان بالمأمورات فيتركها طلباً للراحة والدعة ، وأرزاق العلماء مبنية على التماس بركتهم والإستنجاح بأدعيتهم وترفيعهم عن رذيلة الإحتراف والإكتساب الجائزين ، فتنى لم يرفعوا أنفسهم عن الرذائل المحرمة ولم يكن لدعائهم عمل صالح يرفعه ولا على شمائلهم شواهد البركة انكف الناس عن اسعافهم بمرادهم وأخذوا في طعنهم وتنقيصهم وربما رموهم بالزندقة والإلحاد ، فتستحكم الفلاكة فيهم والفلاكة كالبرص في

الجسد تنتشر فيه وتسرى وتزايد ما لم تجد دواءً حاسماً مانعاً له من السريان
 (ومنها) وهو مختص بأصحاب علوم الأوائل ايضاً انهم يرون ان لا
 كمال الا التحلي بالعارف والإطلاع على النكات والحقائق والوقوف على
 الأسرار والدقائق ، وان الكمالات الخارجية من المال والجاه خيالات باطلة
 لا كمال فيها ، ويمكن أخذ ذلك والإستدلال عليه بقول عز الدين الحسن
 ابن محمد الاربلي الضرير الفيلسوف :

كمل حقيقتك التي لم تكمل والجسم دعه في الحضيض الأسفل
 أكمل الفاني وترك باقياً هملا وأنت بأمره لم تحفل
 الجسم للنفس النفيسة آلة ما لم تحصله بها لم يحصل
 يفنى وتبقى بعده في غبطة محموددة او شقوة لا تنجلي
 أعطيت جسمك خادماً فخدمته ونسيت عهدك في الزمان الأول
 ملكت رقك مع كمالك ناقصاً أتملك المفضول رق الأفضل
 وبقول أبي الفتح البستي والغزالي رحمه الله كثير اللهج به في كتبه :
 ياخادم الجسم كم تسعى لخدمته وتطلب الريح مما فيه خسران
 عليك بالنفس فاستكمل سعادتها فأنت بالنفس لا بالجسم انسان
 وبقول الفارابي محمد بن محمد بن طرخان الفارابي المتوفي سنة ٣٣٦ :

أخى خل حيز ذي باطل وكن للحقائق في حيز
 فما الدار دار مقام لنا وما المرء في الارض بالمعجز
 ينافس هذا لهذا على أقل من الكلم الموجز
 وهل نحن الا خطوط وقعن على نقطة وقع مستوفز
 محيط السموات اولى بنا فاذا التنافس في المركز
 واذا كان الكمال الخارجي متلاشياً في أنظارهم على ما تقرر فيهم لا
 محالة لا يعطون له بالا ، وهو لعسره لا يتم مع الفكرة في تثميره فكيف

مع اهماله وعدم الاعتناء به وإلقائه وراء الظهر .

(ومنها) ان العلوم خرجت عن كونها حرفاً وصناعة من الصناعات بعد مصيرها من قبل ، على ما سيجىء تحقيقه والاستدلال عليه في الفصل السادس بعد هذا الفصل ، واذا كان كذلك فكيف العمل على شريعة منسوخة والوصول بسلوك سبيل قد سدّ والاستنشاء بمصباح قد طفىء .

(ومنها) ان رواج العلماء انما هو لعلمهم كما ان رواج أرباب الحرف انما هو لحرفهم ، ولكن العلم بطيء الحصول وليست كل الطبائع تقبله ، والجزء الغالب عليه الوهب من الله لا الكسب ، فطائفة من العمر تنقضي في تحصيل متنه وطائفة من العمر ثانية تنقضي في تصوره واخذه عن الشيوخ وطائفة ثالثة في تحقيقه . ثم بعد ذلك كله فصفة العلم ليست من الصفات المحسوسة الظاهرة كالحسن والقبح ، ولا مما يدخله الكمية والمقدار المحسوس ليعرف التفاضل فيه بالذراع والشبر وقياس احد المطلوبين على الآخر ، ولا الدال على صفة العلم وهو البيان والنطق ظاهراً مكشوفاً لكل احد ، كالشجاعة التي يعرف بها القوى من الضعيف بالإفتراس والإلقاء على الأرض ، وكالاجادة في المصنوعات المرتبة المشاهدة ، بل صفة العلم من الصفات النفسانية والكمالات الحاصلة بقوة النفس الناطقة والقوى الباطنة فهي قابلة للمجدد والإنكار والمدافعة والتغطية عليها عند أهلها ، وقابلة ايضاً لأن يدخل فيها غير أهلها بالتلبيس والتصنع والتمويه والجاه .

وبعين على خفتائها وجهل الناس بمكانها من صاحبها وقبولها للتصنع والتمويه ان العلم مستدع لفاهمة وحافظة ، وقلّ أن يجتمعا في شخص ، وذلك لما ان القوة الحافظة من مقدم الدماغ والقوة الفاهمة مما يلي مؤخر الدماغ في وسطه ، وبقدر كمال احدهما بموادها تنقص الأخرى لتقابل المكانين وان شئت قلت : ان البطن المؤخر من الدماغ محل الاسترجاع

والتذكر ، والبطن المقدم محل التخيل « . ويقدر كمال احدهما بموادها تنقص الأخرى لتقابل المكانين . او لأن الفهم يستدعى مزيد رطوبة في الدماغ والحفظ يستدعى مزيد يبوسة ، والجمع بينهما محال كما قلله الإمام فخر الدين الرازى في كتابه المصنف في مناقب الشافعي ناقلاً له عن الحكماء .

وان من العلماء من له قلم وكتابة وليس له بيان ولا جدل ، لأن مزاجه يتغير بالممارسة والمدافعة غضباً أو حياءً ويضيق قلبه انفعالا عن ذلك فيحصل الحبسة في لسانه بانقباض الروح الى باطن القلب عند ضيقه « او لعدم دربته (١) ومهارته بالبحث ، اولعيه وحبسته ، أو لان في العلم والكتابة استعانة على تشييع القوة النفسانية وضبطها عن التشتت ، وهذا مستمد مما ذكره الحكماء في كتبهم من ان نفوس الكهان لما ضعف استعدادها تشبثت بأمر جزئية تكون مشيعة لها ومانعة من تشتتها ، كالسجع ورؤية الماء وسنوح مائع .

وممن من له بيان وجدل ولا قلم ولا كتابة له ، إما لفصاحته مع عدم وقوفه على حقائق العلوم ، وإما لفساد تراكيبه اهمالا واحتراراً وان كان واقفاً على حقائقها . والقلم يضبط العيوب ويكون شاهداً عليه بخلاف العبارة ، لإمكان المكابرة والإعتذار فيها وامكان تغييرها عند المضايقة ، واما لدربته ومهارته في البحث وحسن انتقاله فيه وتغطيته على جهله وقلة مبالاته .

وان من العلماء من يزيد علمه على عقله فلا يحسن الغطاء على مجهولاته ولا الإعتذار عنها « مع ان مجهولات الإنسان اكثر من معلوماته بل لانسبة لمعلوماته الى مجهولاته .

(١) الدربة بالضم هي الضراوة والاعتياد على الشيء « والحبسة بالضم :

تعذر الكلام عند ارادته ، والعي : العجز عن النطق .

ومنهم من يزيد عقله على علمه فيضع الأشياء في حاقّ (١) مواضعها ويضيف إليها رونقاً وبهاءً وتهويلاً وتمويهاً .

وان من العلماء من له صوت لاهماله والبكاء صغيراً لفقر اهله او لتسليط البكاء عليه في المهد والمخرج رطبة لينة فيفتح العياط لهواته وتتسع مجاري صوته وتتصلب اوداجه .

ومنهم من لا صوت له لعدم ذلك ، ومن لا صوت له مغلوب عاجز عن المباحثة ، حتى ان بعض الناس علمه صوته وفخره نغمه ، وما أحق هذا المقام بقول القائل :

فقلت لمحمد لما التقينا تنكب (٢) لا يقطرك الزحام

وان من العلماء من له علم بلا جاه ولا وجاهة ، فلا يمكنه المقاومة ويتلعثم لسانه ويتغير للإجلال ، ويدافعه الوهم ويقول فلا يلتفت اليه او يرد عليه رداً جاهياً تقبله العامة . والله در القائل :

اذا التقى الخيل في معسكرها فكيف حال البعوض في الوسط

والقائل :

حياة بلا مال حياة ذميمة وعلم بلا جاه كلام مضيع

ومنهم من له جاه وحاله في ذلك ظاهر لا يحتاج الى الكلام عليه . واذا تقرر لك ذلك كله علمت أن العلم اقبل شيء للخفاء والجمود والتلبيس والتصنع ، وكيف الرواج بحرفة مجحودة او خفية او يشارك فيها بالتلبيس والتمويه .

(ومنها) ان ما في أيدي الناس إنما هو ثمرة أموالهم وتكسباتهم

(١) في القاموس وحق الجوع (اي بتشديد القاف) صادقه ، ورجل

حق الرجل وحق الشجاع وحقهما كامل فيهما .

(٢) اي اعدل عن طريقك لئلا تصرعك مزاحمتي .

بأعمالهم « حتى لو فرضنا شخصاً خالياً من المال والتكسب لم يكن إلا شحاذاً مكدياً » وعلى قدر احتياج الناس الى نوع ذلك المال ونوع ذلك التكسب يكون نفاقه بينهم « وبقدر نفاقه (١) تعظم ثروة صاحبه وغناه، فلذلك لا تعظم ثروة اصحاب منصب القضاء والفتوى والتدريس غالباً وذلك لعدم احتياج جمهور الناس الى ما بأيديهم احتياجاً لازماً لا مندوحة عنه ، لما ان الأمور المفتقرة الى القضاء تنفصل بغير قضاء تارة لرجوع المبطل عن عناده لوازع دين او عار أو خوف مرقب او نحوها ، وتنفصل بالسياسة وبوجوه الناس تارة أخرى ، ولما ان العلوم مباينة لطبائع البعض ومهجورة عند البعض ومستثقلة على البعض .

الفصل السادس

(في مصير العلوم كمالات نفسانية وطاعة من الطاعات)

(ليس إلا بعد كونها صناعة من جملة الصناعات وحرفة من الحرف)
 هذه الدعوة مركبة من ثلاثة امور : « الامر الاول » ان العلوم كانت حرفة من الحرف وصناعة من الصنائع . « الامر الثاني » ان العلوم الآن خرجت عن كونها صناعة وزال منها معنى الإحتراف والصنعة . « الامر الثالث » كونها كمالات وطاعات .

وبيان ذلك يفتقر الى مقدمتين :

(المقدمة الأولى) ان هذه الشريعة ناسخة لجميع الشرائع وأحكامها باقية بقاء الدهر . ثم ان الاحكام كلها متلقاة من الله تعالى ولا مدخل للعقل في إيجاب ولا تحريم ولا غيرها « ولذلك قيل في حد الحكم الشرعي

(١) النفاق بالفتح : رواج الشيء ، وبالكسر المداهنة والخداع « ومراد

المؤلف الاول كما هو واضح .

خطاب الله المتعلق بأفعال المكلفين بالإقتضاء أو التخيير ، ف قيل « خطاب الله » لأن السنة والإجماع والقياس ترجع اليه بالأخرة . والكتاب والسنة والحكم الشرعي مفتقر إلى العلوم بأسرها . وبيانه انه بالنظر إلى المفرد الذي يستدل به وصحته في حالة إفراده يفتقر إلى علم الصرف ، وان النظر في صحة التركيب يفتقر إلى علم النحو ، وفي تطبيق اللفظ على مدلوله يفتقر إلى علم اللغة « وفي إظهاره وإضماره والتفاتة وتقديمه وتأخيرته ونحوها مما يرجع إلى مطابقة اللفظ لمقتضى الحال إلى علم المعاني ، وفي حقيقته ومجازة وكنايته واستعارته ونحوها مما يرجع إلى إيراد العلمين إلى علم البديع » وبالنظر في خاصه وعامه ومطلقه ومقيده ومجمله ونحو ذلك إلى المعنى الواحد في طرق مختلفة في وضوح الدلالة إلى علم البيان ، وبالنظر إلى توابع هذين طائفة من علم اصول الفقه ، وفي مواقع القرآن إلى أسباب النزول « وفي استيضاح معانيه إلى علم التفسير ، وفي نزوله على حروف متعددة إلى علم القراءات ، وفي الاستدلال به وترتيب الأدلة إلى علم المنطق والجدل وآداب البحث ، وفي الأحكام المستفادة منه وبواسطته إلى الفقه ، وفي استنباط الفقه إلى اصول الفقه ، وان النظر في السنة يستلزم علم رواية السنة وحفظها وعلم الحديث والناسخ والمنسوخ وأسماء الرواة وكناهم وألقابهم ومشتبه أنسابهم وجرحهم وتعديلهم ووفاتهم والاختصار والقصص ، وإن النظر في الشارع يفتقر إلى علم الكلام .

ثم ان العلوم بعضها مربوط ببعض ومتعلق به إما على سبيل الاستلزام أو على سبيل الاستمداد « وهذه العلوم المذكورة تستلزم جملة من علوم الحكماء والأوائل ولو بواسطة أو وسائط » كاستلزام الفقه بواسطة الفرائض والإقرارات المجهولة علم الحساب وهو الارتعاطي وعلم الجبر والمقابلة « وبواسطة اختلاف أحكام الوصية وما في معناها بالمرض الخوف وغيره

واباحة التيمم بالمرض ونحوه الى علم الطب ، وكاستلزام علم الكلام للطبيعه والرياضة والمنطق ، وكاستلزام تعيين معرفة القبلة على كل واحد في رأي الرافعي أو على مرید السفر في رأي النووي وهو من الفقه معرفة طائفة من الهيئة ، وكذلك معرفة دخول الوقت ، واستلزام الاستشهاد بالشعر في النحو والتفسير علم العروض ، وعلى هذا القياس قس تجد العلوم مرتبطة بعضها ببعض بالاستلزام أو الاستمداد .

(المقدمة الثانية) ان الحفاظ للقرآن بكماله في عصره صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل وأبو زيد سعيد بن عمر الأنصاري وأبو الدرداء عويمر وزيد بن ثابت ، وفي قول وعثمان بن عفان وتميم الدارى وعبادة بن الصامت وأبو أيوب الأنصاري . وأصحاب الافتاء في عصره صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وعبد الرحمن بن عوف وأبي بن كعب وعبد الله ابن مسعود ومعاذ بن جبل وعمار بن ياسر وحذيفة وزيد بن ثابت وسلمان وأبو الدرداء وأبو موسى الأشعري .

ثم انتهت اصول العلم الى عبد الله بن مسعود وزيد بن ثابت وعبد الله ابن عباس ، فأخذ عن ابن مسعود ستة علقمة والاسود وعبيدة والحريث ابن قيس ومسروق وعمرو بن شرحبيل ، وأخذ عن زيد بن ثابت أحد عشر رجلا ممن كان يتبع رأيه ويقتدى بقوله قيصة بن ذؤيب وخارجة ابن زيد وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة وعروة بن الزبير وأبو سلمة بن عبد الرحمن وأبو بكر بن عبد الرحمن بن الحريث والقاسم بن محمد وسالم ابن عبد الله وسعيد بن المسيب وأبان بن عثمان وسليمان بن يسار ، وأخذ عن ابن عباس ستة سعيد بن جبیر وعطاء بن أبي رباح وعكرمة ومجاهد وجابر بن زيد وطاووس - هكذا رواه أبو بكر الخطيب بإسناده عن علي المديني ، وروى الحاكم أبو عبد الله عن أبي العباس الأصم عن العباس

الدوري قال : انتهى علم الصحابة الى ستة عمر وعلي وابن مسعود وأبي ابن كعب ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت - انتهى .

وانتهت اصول الرواية الى ستة أبي هريرة وأنس وجابر بن عبد الله وعبد الله بن عمر وأبي سعيد الخدري وعائشة « وانتهت أصول الأخبار والقصص الى ستة عبد الله بن سلام وكعب الأخبار ووهب بن منبه وطاووس اليماني ومحمد بن اسحق ومحمد بن عمر الواقدي « وانتهت صناعة التفسير الى ستة عبد الله بن عباس وسعيد بن جبير ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي - هكذا ذكر هذا كله جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي في كتابه المسمى تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير .

ثم صار الامر من بعده صلى الله عليه وسلم الى أبي بكر الصديق واسمه عبد الله بن عثمان ، بويع له في اليوم الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم في سقيفة بني ساعدة ، ثم بويع له البيعة العامة يوم الثلاثاء من غد ذلك اليوم من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة ، وتوفي لثمان بقين من جمادي الآخرة سنة ثلاث عشرة ، فكانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال .

ثم استخلف عمر بن الخطاب يوم وفاة أبي بكر بنصه عليه « ثم قتل لأربع بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وكانت ولايته عشرين سنة وستة أشهر وأربعة أيام .

ثم استخلف عثمان بن عفان أول يوم من المحرم سنة أربع وعشرين « وقتل يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين « وكانت ولايته إحدى عشرة سنة وأحد عشر شهراً وأياماً .

ثم استخلف علي بن أبي طالب ، وقتل في رمضان سنة أربعين في يوم الجمعة « وكانت خلافته أربع سنين وتسعة أشهر وأياماً .

ثم بايع الناس الحسن بن علي يوم موته « فوليا سبعة اشهر واحد عشر يوماً ويقال اربعة اشهر « ثم كره سفك الدماء فتحلى عن الأمر لمعاوية وانخلع وبايعه في جمادي الأولى سنة احدى وأربعين ، فانتقل الأمر الى بني أمية وخلص لهم ثنتين وثمانين سنة ألف شهر ، وعدتهم اربعة عشر رجلاً أولهم معاوية وخلافته سبع عشرة سنة وثلاثة اشهر وآخرهم مروان بن محمد ابن مروان بن الحكم ومدة ولايته نحو من ثمان سنين .

وبعد معاوية يزيد بن معاوية ، وكانت ولايته ثلاث سنين وشهرين ثم بويح لابنه معاوية بن يزيد « فكث اربعين ليلة ثم مات « وقيل خلع نفسه لصعوبة الأمر عليه .

ثم بويح لعبد الله بن الزبير بمكة لسبع خلون من رجب سنة اربع وستين « ثم قام مروان بن الحكم بالشام بعد بيعة ابن الزبير بأشهر فبايعه جماعة من أهل الشام ، وذلك في المنتصف من ذي القعدة سنة اربع وستين ثم مات في رمضان سنة ٦٥ فكانت ولايته تسعة اشهر وثمانية وعشرين يوماً فقام مقامه عبد الملك ابنه وجهز العساكر مع الحجاج بن يوسف لقتال ابن الزبير « وقتل ابن الزبير في المسجد الحرام بمكة يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، وكانت ولايته تسعة أعوام وشهرين ونصفاً .

ثم ولي الوليد بن عبد الملك وتوفي سنة ٩٦ فكانت ولايته تسع سنين وخمسة اشهر ، ثم استخلف اخوه سليمان بن عبد الملك وتوفي سنة ٩٩ فكانت خلافته ثلاث سنين إلا اربعة اشهر ، ثم استخلف عمر بن عبد العزيز وكانت خلافته سنتين وخمسة اشهر وخمسة ايام ، ثم استخلف يزيد بن عبد الملك وكانت خلافته اربع سنين وشهراً ، ثم استخلف اخاه هشام بن عبد الملك وكانت ولايته تسعة عشر عاماً وسبعة أشهر وعشرة ايام « ثم استخلف

الوليد بن يزيد بن عبد الملك وكانت خلافته سنة وشهرين ، ثم استخلف
يزيد بن الوليد بن عبد الملك ، ثم بويج ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الملك ،
ثم مروان بن محمد بن مروان بن الحكم وقتل سنة ١٣٢ هجرية .

ثم انتقل الامر الى بني العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله
عليه وسلم ، فتولى ابو العباس السفاح واسمه عبد الله بن محمد بن علي بن
عبد الله بن العباس في ربيع الأول وقيل الآخر سنة ١٣٢ وتوفي في ذى
الحجة سنة ١٣٦ ، فكانت خلافته اربع سنين وعشرة أشهر .

ثم تولى بعده أخوه المنصور أبو جعفر عبد الله بن محمد ، وكان
أكبر سنّاً منه وحج فتوفي لسبع خلون من ذى الحجة سنة ١٥٨ ، فكانت
ولايته اثنين وعشرين سنة إلا شهراً .

ثم ولى المهدي بن محمد بن عبد الله بمكة وتوفي لثمان بقين من المحرم
سنة ١٦٩ ، وكانت خلافته عشر سنين وتسعة واربعين يوماً .

ثم ولى ابنه الهادي موسى بن محمد ، وكانت خلافته اربعة عشر
شهراً واحدى وعشرين يوماً .

ثم ولى بعده أخوه الرشيد أبو جعفر هارون بن محمد ، فكانت
خلافته ثلاثاً وعشرين سنة وشهراً وستة عشر يوماً .

ثم ولى بعده ابنه الأمين أبو عبد الله محمد بن هارون وقتل في المحرم
سنة ١٩٨ ، وكانت خلافته اربع سنين وستة أشهر واربعة وعشرين يوماً .

ثم ولى أخوه المأمون عبد الله بن هارون في المحرم ومات ببلاد الروم
لثمان خلون من رجب سنة ٢١٨ ، فكانت خلافته عشرين سنة وخمسة أشهر
وثلاثة عشر يوماً .

ثم تتابع العباسيون واحداً واحداً الى ان ختموا بالمستعصم ابي احمد
عبد الله بن المنتصر بالله ابي جعفر منصور ، وكانت عدة خلفاء بني العباس

سبعة وثلاثين خليفة وجملة أيامهم خمسمائة سنة وأربع وعشرون سنة ، ولم تكن
أيدي بني العباس حاكمة على جميع البلاد كما كانت بنو أمية قاهرة لجميع
البلاد والأقطار والأمصار . فقد خرج عن بني العباس بلاد المغرب .
وانما ذكرت هذه المقدمة بطولها لتعرف ترتيب الدول ، فان تغير
الأحوال انما هو بتغيير الملوك وتتجدد العوائد بحسب احوال الملوك وسيوضح
لك ذلك بإذن الله تعالى .

اذا تقرر ذلك فاعلم ان العلوم الاسلامية لم تكن مدونة ولكن اقتضتها
الشريعة اقتضاء واستلزمها لزوماً وأفاضتها افاضة كما تقرر في المقدمة الاولى
وتلقت الصحابة اصولها من حضرته صلى الله عليه وسلم ومشاهدتهم الوحي
وتفقههم بأسباب النزول وما أفاضته عليهم أنوار النبوة ، ثم تآبروا على الحق
وتساءلوا وتناظروا واجتهدوا وتراجعوا عند اختلافهم الى من عنده مزيد
علم بالمتخلف فيه ، وتواصوا وتعاونوا على امضاء الشريعة وتشيعها وإلزام
الناس بها وإكرام حملتها وملوك الناس علماءهم والعلماء الكبار قليلون كما مر
في المقدمة الثانية ، على ما هو العادة في الأمور المبتدأة كيف تكون في
مبدئها وأولها قليلة ، وما ظنك بالشئ المحتاج اليه مع قلته . ويلزم من
ذلك كله وفور الداعية في تحصيل العلم ومزيد الإعتماد به والرغبة فيه .
ولذلك كانت الفضائل والكمالات والعلوم تأخذ في الإزدياد والنمو لنفاق
اصحابها ولبقاء أنوار النبوة غضة طرية بين الناس ، وكلما ازدادت الشريعة
تمهيداً ونشراً ازدادت الصحابة وحاشاهم من تعلق همهم بالدنيا سيادة
ويسراً . فلقد كثر المال في خلافة عثمان بن عفان كثرة بالغة لم يكن قبلها
في خلافة من تقدمه حتى جاء نصيب الفارس في غزوة افريقية ثلاثة آلاف
دينار أو عشرين ألف دينار ، فأطلقها كلها عثمان رضي الله عنه في يوم
واحد لآل الحكم ويقال لآل مروان .

ثم صارت الخلافة من الخلفاء الأربعة والحسن رضى الله عنهم الى
 الأمويين فالعباسيين على ما تقدم في المقدمة الثانية ، وهم ما بين صحابي وتابعي
 ومدل بنسبته الى النبي صلى الله عليه وسلم والشريعة التي العلوم خدمتها
 شريعة قريتهم وصاحبهم وسيادتهم وفخرهم ، واستيلاؤهم على الممالك به
 صلى الله عليه وسلم وبشريعته المستلزمة للعلوم على ما مر في المقدمة الاولى
 فكيف لا تأخذ العلوم في الانتشار والملوك والأمراء والاعيان والقضاة والوزراء
 هم أهل العلم والفضل والعقل او الممدحين الكمل ، وشهرتهم وذكر اسمائهم
 في غالب خطب كتب الاقدمين تغني عن عددهم بالاسماء ، فقل ان يخلو
 كتاب من كتب العلماء الاقدمين خصوصاً في العلوم العقلية والادبية إلا
 ويذكر فيه ان الباعث على تدوينه وزير أو قاض أو أمير أو من في معنائهم
 ويلزم من ذلك قوة داعية التعلم وتوفر الإرادة له ، لما ان المجانسة واتحاد
 المقاصد والتعاون على مقصد واحد واستمداد العلماء بعضهم من بعض وزيادة
 العلم ورسوخه بالبحث فيه والمذاكرة له كل ذلك مقتض للألفة والمحبة
 والاختلاط والعناية ، وألفة الملوك والاعيان ومحبتهم والاختلاط بهم يقتضى
 تأليفهم ومن يحبونه الى مقاصده ومآربه ، ولذلك بنيت المدارس بألوف
 الدنانير لجنس العلماء أو لواحد منهم بالقصد الاول ولجنسهم بالقصد الثاني
 واتسع الحال بالعلماء انفسهم حتى بنواهم لبنى نوعهم مدارس كثيرة وكتب
 التاريخ طافحة بهذا .

ولذلك ايضاً بذلت الألوف في الإرشاد الى تصحيح كلمة او مساعدة
 على مقصد علمي ، كحكاية النضر بن شميل مع المأمون وانه امر له بخمسين
 ألف درهم يقبضها من الفضل بن سهل على ان ارشده الى ان السداد
 الذي بمعنى البلغة وسد الثلمة بكسر السين لا بفتحها ، وان الفضل زاده من
 عند نفسه لذلك ثلاثين ألف درهم فتم له ثمانون ألف درهم . وكحكاية

أبي عثمان المازني واحضار الواثق اياه من البصرة ليسأله عن نصب رجل
أو رفعه في قول العرجي :

أظلم أن مصابكم رجلاً أهدى السلام تحية ظلم
وأمره على توجيهه إياه بألف دينار . وكحكاية أحمد بن دعلج
أبو محمد السجزي (١) الفقيه المعدل المحدث الرئيس صاحب الأموال الجزيلة
التي أنفق أكثرها في العلم وأهله المتوفى عن ثلاثمائة ألف دينار سنة ٣٥١ ،
حيث بعث بمسنده الى ابن عقدة لينظر فيه وجعل في الأجزاء بين كل
ورقتين ديناراً . وكحكاية عبد الله بن طاهر حيث رتب للقاسم بن سلام
أبي عبيد في كل شهر عشرة آلاف درهم لما وضع كتابه في غريب الحديث
وقال له : ان عقلاً يعين صاحبه على عمل هذا الكتاب حقيق ان لا يحوج
لطلب المعاش . وكحكاية علي بن محمد بن الفرات من انه كان ينفق على
خمسة آلاف من العلماء والعباد ويجرى عليهم نفقات كل شهر ، وكغير
ذلك من أخبار المدح والكلمات العلمية مما يغني تواتره المعنوى عن الإطالة به .
ولذلك أيضاً كان التقريب والتبديد والضعفة والشرف على حسب الاستعداد
والاستحقاق ، وذلك كله يستلزم كون العلوم والكمالات صنعة من الصنائع
وحرفة من الحرف ، لما ان الناس كانوا يرون احتياجهم الى العلماء فوق
احتياجهم الى الحاكة والباعة والصناع وباقي الحرف أضعافاً مضاعفة .
وكان العلماء يسترزقون بعلومهم ومعارفهم ويتخذونها ذرائع ووسائل
الى مقاصدهم فوق استرزاق الحاكة والخابطة أضعافاً مضاعفة ، فلذلك اتسع
نطاق العلم ودونت الدواوين وصنفت الكتب وهذبت ورتبت وبسطت
واختصرت واستبحر العلم استبحاراً وذهرت أمواجه وأخذ الى أبعد مسافة
من أقطار الارض شرقاً وغرباً ، حتى ان علوم الشريعة كلها من التفسير

(١) نسبة الى سبستان على غير قياس .

والنحو والاصول والمعاني والحديث أكثر أصحابها العجم على بعد قطرهم « مع ان صاحب الشريعة عربي وكتابه عربي والمتلقون عنه وهم الصحابة عرب . ولذلك سبب اذكره استطراداً ، وهو ان الشريعة لما استلزمت العلم على ما مر وكان العلماء هم المملوك والاعيان وكان نفاق العلماء والإحتياج اليهم فوق نفاق الخياط والحداد والحائك والإحتياج اليه واسترزاق العلماء بعلمهم فوق استرزاق هؤلاء بحرفتهم صار العلم حرفة من الحرف على ما تقدم « وقاعدة الحرف ان موجوديتها وكثرتها ومهارة اهلها بدور مع التمدن والحضارة « فكلمة ازداد القطر تمدناً وحضارة ازدادت الحرف لإحكاماً ومهارة « فلذلك لا تجد في القرى من المصنوعات ما يوجد في المدن ولا في صغير المدن ما يوجد في كبيرها ، لما ان رواج الحرف ونفاقها هو سر موجوديتها وإحكامها ، لأن الناس لا يضعون سلعهم حيث لا تقبل أو لا تنفق ، وكبر المدينة وكثرة اهلها يستلزم النفاق لاحتياج الناس واختلاف اغراضهم وهمهم احتياجاً على البدل والتناوب الى المصنوعات ، واستلزام ذلك لحكم البدلية والنوبة عدم الشعور والخلو واقتضائه للنفاق ، لأن توزيع المجموع على المجموع مع الكثرة على البدل والنوبة مستلزم لذلك لا محالة . ومملكة فارس والعجم كانت أكثر تمدناً وحضارة ، فلذلك انتشرت العلوم فيها واحكمت لإحكاماً بليغاً الى حد لا يوجد في غيرها لكثرة ناسها وعظم مملكتها . هذا كله في تبين ان العلوم كانت صناعة من الصنائع وحرفة من الحرف .

(وأما الامر الثاني) وهو ان العلوم الآن خرجت عن كونها صناعة من الصنائع وحرفة من الحرف فذلك ان الحرف والدول لها شباب وهرم ولها عمر طبيعي كأعمار الحيوانات والأمور المعنوية تتراجع وتتناقص عند التناهي كالامور الحسية ، وكنا قد قدمنا أن العلوم اقتضتها الشريعة اقتضاء

وان الصدر الأول تشايعوا على إظهار الشريعة ولو ازمها وتوابعها فراج العلم والعلماء لذلك . ولا شك ان الدول بعد الخلفاء الأربعة وان كانت فوق عصرنا هذا في الانتظام والسادات اضعاافاً مضاعفة لكنها دون عصره صلى الله عليه وسلم . ويدل لذلك قوله صلى الله عليه وسلم : « خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم ثم يحيى قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته » وقوله صلى الله عليه وسلم في رواية علي بن الجعد عن حماد عن سعيد بن جهمان (١) عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون ملكا » .

وخرج البيهقي في دلائل النبوة عن أبي عبيدة بن الجراح ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ان الله عز وجل بدأ هذا الأمر نبوة ورحمة وكانت خلافة ورحمة وكانت ملكا عضوياً وكانت عتوآ وجبرية وفساداً في الامة يستحلون الفروج والحمور والحريز وينصرون على ذلك ويرزقون ابدآ حتى يلقوا الله عز وجل » وخرجه ابو بكر بن ابي عاصم في كتاب السنة بنحوه مختصراً .

ولسر هذه الاحاديث تجدد في الدول بعده صلى الله عليه وسلم ما لم يكن في عصره صلى الله عليه وسلم واستعجم الملك ، وتجددت فيه أحوال فارس والعجم من الملابس الفاخرة والمسكنات الانيقة والحجاب ومضاعفة الحجاب ومن الوزراء والجاويزية والجوندارية واصناف امراء ووظائف واسماء لم تكن في عصره صلى الله عليه وسلم ، وحدث تخطي الحدود والتعازير وتنشيع القتل وايقاعه بغير موجب شرعي . وزالت احوال البداوة من خوف المذمة وشدة الحياء والكرم والتبذل في المأكول والملبس والمركب ومن اتخاذ التواضع خلقاً ، وحدثت الحوادث وكثرت الخوارج والمتغلبون

(١) جهمان كعثمان : محدث من التابعين .

على العباسيين الذين يدلون بنسبهم اليه صلى الله عليه وسلم « ونزلت سيادتهم بشريعتهم المستلزمة للعلوم كما تقدم » فخرجت حصّة من مملكة الشرق من أيدي العباسيين في دولة بني بويه على يد يحكم وغيره ، ثم زالت أيديهم عن العراق كله « وخرج الحكم عنهم فيه اصلا سنة وشهوراً في ايام ارسلان البساسيري في حدود الخمسين والاربعمائة ، ثم عاد الى ان اخرجهم عنهم مطلقاً واستأصلهم هلاكو بن طولی خان بن جنكيز خان .

وكان الصدر الاول يدبرون افعالهم على محض الشريعة « ثم جاء من بعدهم فأدخلوا فيها بالاستدلال والتمحل جملة من السياسة « ثم فعلوا أموراً سياسية وهونها على الناس بالإعتذار ، ثم اتسع نطاق السياسة وأذار الملوك احوالهم على عقولهم وحدث جنكيز . خان الياساق الذي وضعه وجعل الناس يتحاكمون اليه ويطلع الى جبل ويزعم انه يوحى اليه به « واكثره مخالف لشرائع الله وكتبه وانما هو شيء اقترحه من عند نفسه بعد السهانة وأوحاه اليه شيطانه ، وكان يكتب اسباقه في مجلدين بخط غليظ ويحمل على بعير ويبالغ في تعظيمه ، وكثرت الحوادث السياسية والامور العقلية المخالفة للشريعة واستغناء الحكام بعقولهم مما يقتضى طبي بساط العلم ويفضى الى عدم الاحتياج اليه ، فان النفوس حكوّية من شأنها المحاكاة في الشر « ومهما صدر شيء وزال بقي منه أثر في النفوس « وزواله الظاهر لا يستلزم زواله من النفوس وزوال الاستدلال به وروايته على سبيل الاستحلاء والاستحسان . وهذا كله يستلزم طبي بساط العلم وعدم الحاجة اليه « لما ان العلوم من لوازم الشريعة وتوابعها كما قرناه واعدناه غير مرة « واذا ضعف العمل بالملزوم وتسوّهل فيه فأولى ان يضعف العمل باللازم ويتساهل فيه ، ولذلك لم يبق من العلم سوى رسومه ومعاينه كالمدراس القديمة وسوى ما يوجبه ناموس الاسلام من الاعتراف بحقه ظاهراً .

فقد اتضح عندك خروج العلوم عن كونها مظنة الإستحقاق ومطية الإستزاق . وكيف لا وقد صارت الوظائف الدينية تباع كما يباع الفرس والحمار . وهو الذي يسمونه نزولاً واعراضاً ويوصى بها كما يوصى بالفرس والدار . وهو الذي يسمونه نزولاً أيضاً وتورث كما تورث الأموال يأخذها الصغار والأطفال .

وانت اذا رجعت علمت ان كثرة الحوادث الخارجة عن الشريعة تحدث في النفوس محاكاة وأثراً واستدلالاً ، وان الناس على دين مليكهم وهم بزمانهم أشبه منهم بآبائهم . وان الملوك أسواق يحمل اليها ما ينفق فيها ، وان الصنائع تدور مع النفاق وجوداً وعدماء ، وان وثوق المحترف من الباعة والحاككة والخلاطة بإفضاء حرفهم الى ثمرتها اكثر من وثوق العلماء بإفضاء علمهم الى ثمرته الدنيوية ، وأن اهمال الصناعة والإستغناء عنها بغيرها يوجب اضمحلالها زوالها ، وما نسب لذلك مما تجده وتشاهده من اهمال المنطق والحكمة بالشام واستعماله بالروم والعجم تحققت ان العلوم خرجت عن كونها صناعة من الصنائع وحرقة من الحرف . اللهم الا ان يحييها الله تعالى وينشرها ويبشها في أيام الملك المؤيد وينشرها ، فهو الذي عمر المدارس بمصر والشام بمعروفه وبره وبآرائه الموفقة وساطع أمره وقهره واحياء معالم العلم شرعه وشعره ، ابقى الله دولته بقاء الفرقدين وملكه ما بين المشرقين .

(وأما الامر الثالث) وهو كون العلوم كمالات وطاعات فهو ان الإنسان إنما ينفصل عن الحيوان بالنطق ، وليس المراد به الصوت المنضغط في المجرى على مقاطع الحروف وإلا لكان الاخرس غير انسان ، ولا الكلمات المنتظمة والا لكانت البيغاء والغراب انساناً ، وانما المراد به النفس الناطقة وهي التي لها الفكر والروية ومحبة العلم والمعرفة ، وهي التي تملك الطبائع

القياسية وغير القياسية وتكون فلسفية وحكمية وتبحث عن العلوم النظرية، ولها الاستدلال بظواهر الأمور على بواطنها ومعرفة ترتيب الموجودات في الوجود، وهذه القوة كمالها وحياتها بالعلم والبيان، فتميز الانسان بما هو انسان بالعلم والبيان والا فغير الانسان من الدواب والسباع أكثر أكلاً منه وأقوى بطشاً وأكثر جماعاً وأولاداً وأطول عمراً، وإنما يتميز عن الدواب والحيوان بعلمه وبيانه فإذا عدم العلم بقي معه القدر المشترك بينه وبين سائر الدواب وهي الحيوانية المحضة فلا يبقى فيه فضل عليهم بل قد يبقى شراً منهم كما قال تعالى : « ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون » فهؤلاء هم الجهال « ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم » وقال تعالى : « ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاءً ونداءً » سواء كان المعنى مثل داعي الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع من الدواب، أو مثل الذين كفروا حين ينادون كمثل دواب الذي ينعق، فهؤلاء لم يحصل لهم حقيقة الإنسانية التي يتميز بها صاحبها عن سائر الحيوان.

وأيضاً فالجهل من أعظم الأدواء والأمراض، وقد سماه الله مرضاً في قوله تعالى في حق المنافقين : « في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً » وقوله : « وليقول الذين في قلوبهم مرض والكافرون » وفي قوله : « ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض » فإن المراد بمرض القلب فيها مرض الجهل والشبهة، وكذلك أمراض القلب جميعها من الشهوة وغيرها كالرياء والعجب والحسد والفخر كلها ناشئة عن الجهل « فإنها مركبة من الشهوة والشبهة، فإن الكبير مثلاً مركب من تخيل عظيمته وفضله وارادة تعظيم الخلق له ومحمدتهم إياه، ودواء هذه الأمراض كلها العلم، ولذلك أكثر الغزالي رحمه الله في المهلكات من ذكر دواء العلم في كل مرض مرض من أمراض القلوب، ولهذا سمى الله تعالى كتابه شفاء لما في الصدور

ولذلك أيضاً ترى داء الجهل متلفاً للاموال غالباً ، فرب شخص يتحيل عليه بحيلة شرعية يجعلها طريقاً الى اخذ ماله . ولولا جهله بالشرعية لما تمت عليه .

وأيضاً ما روي عن ابن عمر يرفعه « افضل العباداة الفقه » وقال عمر رضي الله عنه « موت ألف عابد أهون من موت عالم بصير بحلاله وحرامه » وما رواه الخطيب في كتاب الفقيه والمتفقه عن ابن عمر يرفعه « مجلس فقه خير من عبادة ستين سنة » وما رواه أيضاً من حديث عبد الرحمن بن عوف يرفعه « يسير الفقه خير من كثير العباداة » قال ابن قيم الجوزية في مفتاح دار السعادة : وفي رفعها نظر . وما رواه أيضاً من حديث انس يرفعه « فقيه عند الله أفضل من ألف عابد » وهو في الترمذي من حديث روح بن جناح عن مجاهد عن ابن عباس مرفوعاً . قال ابن القيم : وفي ثبوتها مرفوعين نظر . والظاهر ان هذا من كلام الصحابة فن دونهم ، وما رواه المخلص عن ابن صاعد حدثنا القاسم بن الفضل بن مربع حدثنا حجاج بن نصير حدثنا هلال بن عبد الرحمن الجعفي عن عطاء بن أبي ميمونة عن أبي هريرة وإبي ذر قالوا : « باب من العلم نتعلمه أحب إلينا من ألف ركعة تطوعاً وباب من العلم نعلمه عمل به أو لم يعمل أحب إلينا من مائة ركعة تطوعاً » وما رواه الخطيب أيضاً عن أبي الدرداء انه قال : « مذاكرة العلم ساعة خير من قيام ليلة » .

وما رواه ابو داود والترمذي من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من سلك طريقاً يبتغي فيه علماً سلك الله به طريقاً الى الجنة ، وان الملائكة تضع أجنحتها رضا لطالب العلم » وإن العالم يستغفر له من في السماوات ومن في الأرض حتي الحيتان في الماء . وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر

الكواكب ، إن العلماء ورثة الأنبياء وإن الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً
لأنهم ورثوا العلم ، فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر .

أما وضع الملائكة أجنحتها فتواضعاً وتوقيراً وإكراماً لما تحمله من
ميراث النبوة ، لأنه طالب لما فيه حياة العالم ونجاته ففيه شبه من الملائكة
وبينه وبينهم مناسبة ، لأن الملائكة يحرسون على منافع البشر يعينونهم على
أعدائهم الشياطين ويستغفرون لمسيئهم .

قال الطبراني : سمعت أبا يحيى زكريا بن يحيى الساجي قال : كنا
نمشي في بعض الأزقة الى باب بعض المحدثين بالبصرة فأسرعنا المشي وكان
معنا رجل تاجر منهم في دينه فقال : ارفعوا أرجلكم عن اجنحة الملائكة
لا تكسروها كالمستهزء ، فما زال من موضعه حتى حفيت رجلاه وسقط
وأما استغفار من في السموات ومن في الارض له فإنه لما كان ساعياً
في نجاة العباد جوزى من جنس عمله وجعل ما في السموات والارض ساعياً
في نجاته . وقيل سبب هذا الاستغفار أن العالم يعلم الخلق مراعاة هذه
الحيوانات ويعرفهم كيفية تناولها واستخدامها وذبحها فاستحق ان يستغفر
له البهائم .

وقوله : « فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب »
مطابق لحال القمر والكواكب ، فإن القمر يضيء الآفاق ويمتد نوره في
أقطار العالم ، وأما الكوكب فنوره لا يجاوز نفسه وما قرب منه ، وهذا
حال العابد .

ووجه اختيار القمر على الشمس وإن كان الشمس أكثر نوراً واضاءة
أن القمر لما كان نوره مستفاداً من الشمس كان تشبيه العالم الذي نوره
مستفاد من شمس الرسالة بالقمر اولى من تشبيهه بالشمس .
وأيضاً فنور القمر يتفاوت بتفاوت الليالي نقصاناً وتاماً ، والشمس

نورها في كل الأيام على السواء » والعلماء يتفاوتون في العلم تفاوتاً كثيراً ، فتشبههم بالقمر أنسب لحالهم .

وأما تشبيه العلماء بالنجوم في قوله صلى الله عليه وسلم « اصحابي كالنجوم » فمن وجه آخر وله حكمة أخرى « فان النجوم يقتدى بها في ظلمات البر والبحر وتكون رجوماً للشياطين » والعلماء كذلك يقتدى بهم في ظلمات الجهل والكفر وترجم بهم الشياطين الذين يوحون الى أوليائهم زخرف القول غروراً .

الفصل السابع

(في السبب في غلبة الفلاكة والإهمال والإملاق على نوع الانسان وبيان ذلك)
اعلم ان المفلوكية والإهمال والإملاق غالب على جنس البشر ، والسبب في ان غالب البشر يرمقون العيش رَمِيقاً (١) ويدافعون اخفاق المساعي مدافعة ويتسكعون في طرق الإملاق أو فوقه بقليل تسكعاً أن السيادة والمجد والثروة والغنى وأشباهها إما مكتسبة وإما موروثة ، فأما المكتسبة فما سوى الامارة من المعاش الطبيعي اما تجارة أو فلاحية أو صناعة ، فالتجارة مفتقرة الى مادة متسعة ورأس مال كبير يدار في وجوه الأرباح والتشهير ويوزع على أنواع المتاجر لينجبر كساد بعضها بنفاق الآخر وليستعان بالنفاق على ادخار الكاسد ارتقاباً لحالة الأسواق واستدرااراً للنفاق ولكيلا يباع الكاسد في حال كساده وذهاب ربحه وفساده « وأيدى الناس خالية عن الأموال المقنعة القابلة لمثل ذلك غالباً .

(١) الترميق : العمل بعمله ولا يحسنه يتبلغ به « وهو مرمق العيش ومرمقه كمعظم ومحمر ضيقه . وقوله « ويتسكعون » أى يذهبون متعبرين لا يدرون أين يأخذون .

وأيضاً فهي محتاجة الى بصيرة تامة ودراية وافية وتجربة كاملة ليؤمن بها غش الباعة وخلايتهم وترويج السماسرة كواسدهم ، ومفتقرة ايضاً الى فراسة صادقة وحس صحيح ليضع كل سلعة في حاق موضعها زبوناً وسوماً وترخيصاً واغلاقاً وحولاً وتأجيلاً وادخاراً وتعجيلاً ، ونفوس الناس غالباً ظلمانية نخلوها عن العلوم العقلية والأعمال الرياضية ، فهي بعيدة عن البصيرة .

وأيضاً فالأيدي الغاصبة الخاطفة مستولية على التجار لمقهوريتهم مع الدولة وحامية الملك وخاصته المخادعين بالإستدانة والارباح الكاذبة والمواعيد الباطلة والرهون الغير المملوكة والإلتجاء الى الاعسارات والحيل الشرعية والاستعانة بشهود الزور ووكلاء السوء ، وربما تكرر ذلك على التاجر الماهر فعاقبه واقعه عن أمثاله حتى على رأس ماله .

وأما الفلاحة فعوارضها السماوية أكثر من ان تعدّ من البرد والهواء المفرطين وانقطاع المطر وكثرته في غير وقته ونزول كبار الحصى والبرد وثقيل الثلج وشدة الحر ومجى الجراد المنتشر ، وكذلك العوارض الأرضية من سوء النبت وسباخة الأرض وخبث طينها ووضع الأشياء متأخرة عن أوانها وعدم استكمالها بحرثها وشروطها ونبات الأشياء المضرّة خلال الاشياء المطلوبة ، ومن الجرد والفار والبربوع ، ومن رخص البقول والخضراوات وما في معناها مما لا يقبل الإدخار مع غلاء بذرها ، ومن عدم نصيحة المعاونين فيها وخبائثهم واختلاسهم وتقويت الأعمال الكمالية المصلحية وتسليط الظلمة عليهم واستعبادهم وتوسيع شروط مقاسمتهم وفرض الفرائض والتفنن في وجوه الجبايات وانواع الظلامات والجائهم الى بيع زراعاتهم في حال كسادها وعدم رواجها مع ما يختص به أهل البدو من رداءة العيش وخشونته والبعد عن أحوال الحضارة من الرفاهية والترف وموجودية المطالب

والتحلي بالعلوم « ثم مع ذلك كله ما هم عليه من دخول المهانة في قلوبهم وظهورها في أحوالهم وعلى شمائلهم ، وناهيك قوله صلى الله عليه وسلم : « ما دخلت السكة دار قوم إلا دخلها الذل » .

وأما الصناعات فلقللة الماهر الحاذق فيها . وعلى الجملة فالصنائع شاغلة لأصحابها عن الدعة والراحة والرفاهية ويطرقتها الكساد كثير أو نفاقها لا جدوى له ولا يحظى صاحبه بطائل ، واصحاب الصنائع باذلون رقبهم وعبوديتهم بأقل قليل للفقير والغني والمسلم والذمي « فهم بمراحل عن الشهامة وعلو الهمة والأنفة .

ثم جهات المعاش الثلاثة مفتقرة الى التعاون والتناصح « وقد انقطعا من كافة البشر أو عامتهم لاتساع موجبات التباغض والتماقت لكثرة مقتضيات التحاسد والحيلولة كل واحد الآخر عن مراده الناشئة من الكبر والعجب والعداوة وخوف الازدحام على مطلوب واحد ، ولفوات بعض المقاصد بكثرة الشركاء وحب المباهاة والإنفراد بالمجد وخبث النفس وفساد جوهرها ونقص انسانياتها .

وايضاً يقال على وجوه المعاش الثلاث انه كلما تجدد للانسان دخل جدد له صرفاً ، إما للمباهاة والترفع على امثاله أو افراطاً في الشهوات وانهماكاً في اللذات « او خوفاً من سوء القالة والأحدوثة بتنقيص ما يقتضيه حاله « او بإكراه مبغض لتلك النعمة عليه ، أو لان الحالات المتجددة في دخله يلزمها تجدد امور في صرفه فلا يزل الشخص مفلوكاً مهملاً غير قادر على المكارم .

وايضاً فوجوه المجد والسيادة الكسبية لا تصير دفعة وانما تكون بالتدرج والترقي ومكابدة تنميتها ومعالجة زوال موانعها مع كثرة الصادقين عنها والعوارض العائقة لها أمر عسير بطيء السير « فيقتضي الإنسان شطر

عمره أو معظمه في فلاكة وإدبار .

هذا حكم المعاش الطبيعي ، وأما غير الطبيعي كالإسترزاق بالكيماء
والتنجم والدلالة وقلم الشهادة لغير المعروف وسائر الأرزاق الهوائية الخطفية
الصدفية فهي ارسخ قدماً في الفلاكة والادبار ، لأنها بمنزلة اللقطة والعنور
على دفائن الأرض ، لعدم انتظامها ووفاء محصولها لحمولها ، فأصحابه - لا
سيما غير المشهور منهم - أئمة الفلاكة وهولاء وينابيعها ومأواها « أعاذنا
الله من ذلك ومن الإختلاط بأهله آمين .

وأما الامارة فلا ينكر أن مبادئها مشتملة على نصيب وافر من الفلاكة
والإدبار « وبيانه : ان الإمرة لا تتم الا بالعصبية والتغلب والشوكة ، وفي
قع المعاند والجاحد وتأليف القلوب المتفرقة وتمهيد المسالك والقيام بحقوق
لا تحصى وكثرة معاناة شدائد ومكابدة مكائد ومشاق وتعريض النفس للهلاك
وكبراء الجند مستعبدون مع مليكهم مشغولون به عن أنفسهم مقدمون لمراده
على مرادهم « ولو سلم ان السلطنة خالية من الفلاكة فهي من القسم النادر
والدعوى ان الفلاكة غالبية على نوع الإنسان لانها لازمة لكل نوع الانسان
هذا كله من المكتسب ، أما الموروث فيطرقة أنواع من الفلاكة :
(منها) امتداد أيدي الولاة والحكام اليه .

(ومنها) مذلة اليتيم وخضوعه وفقده نصيحة أبيه .

(ومنها) سهولة صرف ماله عليه لعدم تحمله مشاق جمعه وتجشمه نصب
الحبائل في تحصيله ، فيسرع فيه بالسرف والتبذير والسفه لعدم حنكته وبصره
بعواقب الامور « ويعود يتكفف الناس .

(ومنها) عجزه لعدم مهارته ودربته عن الوفاء بمقاصد ماله والقيام
بشروط تنميته وتثميره ، فيذوب قليلا قليلا الى ان يضمحل ويتلاشى ولا يحصل
منه الا على الملامة والتعير والندم .

(ومنها) إنكار المنكرين كونه في رتبة مورثه ومستحقاً لما كان
يعاون به مورثه ويساعد عليه ، فلا يؤمنون على دعائه ولا يساعفونه على
قصده . ولا يسرون معه سيرة مورثه ، فيقع من ذلك في العناء العظيم والداء
العقيم . وبهذا التقرير يعلم ان الفلاكة غالبية على نوع الإنسان وارثاً كان
أو كاسباً ، والله أعلم .

الفصل الثامن

(في أن الفلاكة المالية تستلزم الفلاكة الحالية)

هذا الذي قدمناه في الفصل قبله لما كان لا ينتهض دليلاً إلا على
غلبة الفلاكة المالية على نوع الإنسان احتجنا ان نذكر في هذا الفصل أن
ذلك مستلزم للفلاكة الحالية ، وأعني بالفلاكة الحالية تعذر المقاصد وانعدامها
بحيث تصير الفلاكة حالاً ووصفاً ذاتياً للشخص في افعاله وأقواله دفعاً
وتحصيلاً حكماً وتعليلاً .

والدليل على ذلك ان تقول : هذا مفلوك مالاً وكل مفلوك مالا فهو مفلوك
حالاً ينتج هذا مفلوك حالاً ، وكلية الكبرى بديهى أوحسى والصغرى مسلمة
بالفرض او محسوسة . أو تقول دارت الفلاكة الحالية مع الفلاكة المالية وجوداً
وعدماً والدوران آية كون المدار علة في الدائر والمعلول لا يفارق علته فهو
إما مقارن أو متعقب على اختلاف المذهبين . وهذا وان كان بديعاً وهو
الإستدلال بالدوران على العلية وبالعلية على مقارنة المعلول اياها فليس بعيداً
من القواعد ، أو يستدل بالدوران على الملازمة . وبالجمله فالدعوى تكاد
تكون بديهية ، والحس والاستقراء يصدق ذلك .

ويوضح ذلك ان المال عبارة عن ملك الأعيان والمنافع ، والجاء
عبارة عن ملك القلوب واستسخار أصحابها في الأغراض والأعمال لما فيها الذي

الجاه من اعتقاد الكمال والالتفات اليه « والمفلوك لا جاه له ومال » وكل من لا جاه له ولا مال له فهو مسلوب القدرة ، لما ان الجاه والمال من أعظم أسباب القدرة أو هما أسباب القدرة ، ومن لا قدرة له فهو عاجز عن الوصول الى مطلوباته ، لما ان مقدوراً بلا قدرة محال ، ولذلك لا يحصل مقصود المفلوك نادراً الا بقدرة غيره من ذوي المال والجاه .

ولذلك أيضاً لو فرض شخص لا مال له ولا حرفة لم يكن إلا شحاذاً مكدياً ، لأن ما في ايدي الناس انما هو ثمرة اموالهم ومنافعهم . وأيضاً من لا قدرة له لا يتعلق الرجاء والخوف به « ومشايعة الناس الشخص ومساعدتهم اياه على مراده دفعاً وتحصيلاً وتسليمهم له حكماً وتعليلاً لا بد لها من داعية وغرض ليترجح احد الجائزين من الفعل والترك على الآخر بمرجح ، وأعظم الاغراض والدواعي تعلق الرجاء والخوف بالشخص ، لما أن الانسان يقدر هجوم الحاجات وطروق الآفات وسوء الظن بالعواقب كامن في النفوس ، لاسيما في البلد الذي لا يكمل عدله ولا يتراحم أهله » ولذلك لا تمل الإستزادة من الدنيا . قال صلى الله عليه وسلم : « لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لها ثالثاً » وقال صلى الله عليه وسلم : « منهومان لا يشبعان منهوم العلم ومنهوم المال » .

وذلك لأن هذه المخاوف لا موقف لها ولا لها قدر مخصوص ، فمن تعلق رجاءه أو خوفه بشخص كانت مساعدته له لأمر يتعلق بنفسه بالأخرة وكان دافعاً لألم خوفه وساعياً في تحقيق رجائه ، والشخص أنصح ما يكون لنفسه لأن نصحه لها طبيعي ، فلذلك تساعف الناس الأغنياء بمراداتهم وتزلف الخلق اليهم بمطالبهم « ويسعفونهم بمنافعهم تسليفاً وادخاراً لخوف مترقب أو رجاء متوهم وان لم ينالوا من مالهم ذرة ولا من جاههم مثقال خردلة ، واذن كانت المفاليك عن الرجاء والخوف بمنزل .

وأيضاً فالدنيا محل الإزدحام والتوارد على محل واحد بخلاف الآخرة ولذلك لا حسد في الآخرة لانساعها ووفائها بالكل بلا ازدحام . فما من مقصد يرومه المفلوك إلا وله فيه مزاحم ومدافع يمانعه عنه ، وتقديمه على غيره ترجيح للمرجوح على الراجح وهو خلاف صريح العقل . ويلزم من ذلك تعذر المقاصد على المفاليك واخفاق مساعيهم فيها .

وأيضاً فالأغنياء وذوو الجاه يتقارضون المقاصد تقارضاً ويقترضونها اقتراضاً ، والتقارض يستدعى القدرة على الوفاء بالنوبة بحكم المقارضة لأنه أمر على التعاقب والنوبة والقرض لا يوضع عند المعسرين ، والمفاليك ليسوا من أهل المقارضة ولا الاقتراض ، على ان استلزام الفلاكة المالية للفلاكة الحالية كفلق الصبح عند المنصفين ، ولعل جمحده مكابرة والقاعدة ان المكابرة لا يطلب لها دليل . والله أعلم .

الفصل التاسع

« في ان التملق والخضوع وبسط أعذار الناس والمبالغة في الإعتذار اليهم وإظهار حبهم ومناصحتهم من أحسن أحوال المفلوكين وأليق الصفات بهم وأفضاها الى مقاصدهم وبيان الدليل على ذلك » .

اعلم أن الناس لا يبدلون منافعهم وأموالهم سدى بغير غرض ولا علة لأن المتعالى عن وجوب تعليل أفعاله بالأغراض والمصالح انما هو الله تعالى وان خالفت المعتزلة في ذلك . فلا بد للاحسن أعم من أن يكون نفعا او مالا قولاً او فعلاً من غرض وحظ هو عند الباذل أوفى بما بذله وتحصيله عنده أحب اليه من ذلك المبذول ، فكما ان الشخص لا يلتقي ماله في البحر إذ لا غرض له فيه كذلك لا يضع ماله في يد انسان ولا غرض له فيه وذلك الغرض إما آجل وهو جزيل الثواب في الآخرة قال صلى الله عليه وسلم

« ايما امرئ اشتهى شهوة فرد شهوته وآثر على نفسه غفر الله له » ،
 وإما عاجل في الدنيا وهو إما ترقب المكافأة بإحسان مثله نوعاً او جنساً ،
 او المنة والترفع « أو الثناء والصيت والإشهار بالسخاء والكرم ، أو جذب
 القلوب الى طاعته ومحبته واستسخارهم ، أو ازالة مذمة البخل وخبشه
 والنفرة الحاصلة للبخلاء واستقبحهم عنه ، أو ازاحة حب الدنيا الذي هو
 رأس كل خطيئة عن قلبه » أو ازاحة رقة الجنسية ورحمة النوعية عن قلبه
 ودفع الألم الحاصل له من الرقة بسبب سوء حال من يحسن اليه « أو دفع
 ألم خوف حاضر أو مترقب . والاستقراء يدل على الحصر .

ثم ان بعض هذه الأغراض أقوى من بعض وبعضها أديم وأشد
 بيباناً من بعض « فالاحسان بالوارد الأخرى قليل الثبوت والاستمرار الا
 من وفقه الله تعالى .

وأيضاً فأعمال الخير تتعارض وينوب بعضها عن بعض ، والاعمال
 البدنية أسهل على النفوس في تحصيل مطلوب الآخرة من الأعمال المالية «
 وبتقدير ثبوتها فإنما يثبت جنسها ، وأما انحصارها في مفلوك بعينه فأقل ثبوتاً
 بل لو قيل بعدم ثبوتها في مفلوك بعينه البتة لم يكن بعيداً ، فلا يفيد المفلوك
 التعويل عليها .

واما حب المنة والترفع فليس شاملاً لعامة الخلق ولا لمعظمهم « لأن
 النفوس المستشرقة للمكارم والمعالى تأباه وتنفر عنه ، وانما ذلك غالباً ممن
 يصدر عنه الإحسان تكرماً وتطبعاً وتكافئاً لا طبعاً ، فهو من فساد جوهر
 الانسانية .

وقولنا « لا يكون غالباً » لأن الكلام فيمن يصدر منه الاحسان لا
 في مطلق الانسان « فلا يجمل بالمفلوك جعله رأس ماله « لأنه حينئذ يكون
 قد رضي بأقل الناس عدداً وأفسدهم جوهرأ .

وأما حب الثناء والصيت والإشتهار بالسخاء والكرم فذلك يقتضي وضع المكارم في الناس على البدل والنوبة وتعميم العطاء للنظير والأعلى والأدنى « ويكتفي من الواحد بالشخص بالمرة والمرتين والثلاثة » لأن الغرض إقامة الحجة وبسط المعذرة ، فلا يحسن أيضاً بمفلوك التعلق بمحسن هذا غرضه « لأنه ماذا عسى أن يحصل من المرة والمرتين » ولأن العطاء العام قد لا يصادفه ، لأن الاستدلال بالأعم على الأخص ممتنع .

وأما جذب القلوب الى الطاعة والمحبة والإستسثار فهو أيضاً مما لا يوصل مفلوكاً الى غاية ولا الى مطلب يؤبه له ، وقصاراه أن يوصله الى مبادئ الخير ، لان الغرض اقامة الحجة عليه واستعباده ، وذلك يحصل بأدنى مرتبة يمكن استعباد مثله بها .

وأما ازالة مذمة البخل ووضره ونفرتة فلا يختص بإضافة الاحسان على المفاليك ، بل قد يحصل بتنعيم النفس وإظهار بزتها وزينتها وبالبسط على العيال وضيافة النظير او المساوى في المنزلة .

وأما ازالة رقة الجنسية فتستدعي حالاً غير مرضية تستنزل بها الرحمة زيادة على الفلاكة ، اذ الفلاكة الدائمة تعتاد وتؤلف فيضعف كونها طريقاً للرحمة ، وتلك الحال الزائدة تربو على الإحسان مرارها اضعافاً مضاعفة . ثم ان رقة الجنسية من أمور الآخرة ، وفيه من البحث ما تقدم « ولذلك كانت ازالة حب الدنيا عن القلب من أمور الآخرة » وفيه من البحث ما تقدم .

واذن تقرر ان الناس لا يبذلون منافعهم وأموالهم بغير غرض ، بل لابد لهم من غرض إما عاجل أو آجل ، والمفلوك تمنعه الفلاكة عن المكافأة على الاحسان بإحسان مثله ، وتمنعه أيضاً من الإخافة ، والامور التي مرجعها الآخرة لا تبقى ويكتفي ببعض اعمال الخير البدنية عنها وغيرها

لا يخلص مفلوكا بعينه ولا يوصله الى غاية يؤبه لها .

ثم ان ماسوى رقة الجنسية أمور راجعة الى الباذل وحده ، فلا بد في المفلوك من تحريك بواعث الناس بأمر يرجع نفعه اليهم ويكون وصفاً للمفلوك نفسه ويدخل تحت قدرته دائماً ، لتبقى داعية الإنسان متحركة دائماً لاتسكن لقدرة على تحريكها كل وقت ، فيخضوعه وتملقه تظهر سيادتهم وعزهم ويؤمن كبر المفلوك عليهم وتبه وصلفه باسعافهم بمراده ، وببسط أعذارهم يأمنون حقه فيعاودون الإحسان اليه وان سلقوه اساءة وأذى . لأن الاساءة طبيعية للبشر للقوة الغضبية ، ولما ان في القلب ميلا للاخلاق السبعية . ولأن في النفوس محاكاة في الشر . ولأن دخول الشر تحت القدرة اكثر من دخول الخير كالصدقة والعداوة والبناء والهدم . والمفلوك مظنة للاساءة اليه لوجود المقتضى وانتفاء المانع . فلا بد أن تعمل الطبيعة فيه عملها ، ولا دواء لهذا الداء الا بسط الاعذار . قال ابو الحوائر الواسطي :

دع الناس طراً واصرف الودعهم اذا كنت في أخلاقهم لاتسامح
فشيئان معدومان في الأرض درهم حلال وخل في الحقيقة ناصح
وقال بشار بن برد :

إذا أنت لم تشرب مراراً على القذى ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه
وبالمبالغة في الاعتذار اليهم يتجاوز عن تقصيره وقصوره وعجزه
اللوازم للفلاكة . لان للاغنياء شوافع من غناهم عن ذنوبهم قد تغنيهم عن
الاعتذار بخلاف المفاليك ، وبإظهار حبههم ومناصحتهم يجدون فيه روحاً
ونفعاً راجعاً اليهم . فيكون إسعافهم له بمراده من لوازم سيادتهم راجع
بالأخرة اليهم .

ولكون هذه الأمور اكثر افضاءً بالمفاليك الى مقاصدهم تجد الأسافل

ترتفع على الأعالى كثيراً ، لأن نفوس الأدياء لا تأنف من الخضوع والتعلق بخلاف الأعالى » ولما تخلو دولة من ذلك .

والسبب فيه ان الدولة إذا انقرضت وجاءت دولة أخرى فأصحاب الدولة الأولى يكونون في نهاية سعادتهم » ففيهم شتم وأنفة ومطالبة لصاحب الدولة الجديدة بحقوق لم يعطوه عليها ثمناً بل هي مما أوجبها خدومتهم في الدولة الأولى » والوقت سيف والحكم للوقت ، ولصاحب الدولة الجديدة نصحاء ومتملقون وإن سفلت بهم المرتبة » وسياسة الملك تقتضي تقديم من في تقديمه نظامه واهيته ، لاجرم ترتفع الأسافل على الأعالى كثيراً .

اللهم لاخير إلاخيرك ولا طير إلا طيرك ، ياخالق الأسباب والمسببات والدواعي والبواعث والعزمات لا تجعل الدنيا أكبرهمنا ولا مبلغ علمنا » وأشهدنا عظيم رحمتك حتى لانرجو أحداً سواك ، وتجل علينا ببالغ قدرتك حتى لانخاف أحداً غيرك .

اللهم انك تعلم ان الخضوع لغيرك والتعلق لسواك فوق صبري وقاطع لظهري لا يبلغه وسعي ويضيق عنه ذرعى » فاعنني بك عما سواك يارب العالمين . آمين آمين .

الفصل العاشر

(في تراجم العلماء الذين تقلصت عنهم دنياهم ولم يحظوا منها بطائل)

وأقدم قبل الشروع في ذلك مقدمة :

قال القاضي عياض في أخريات الشفاء ماملخصه : ان من استشهد بأحوال الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة لنفسه او على التشبه بهم عند هزيمة نالته أو غضاضة لحقته ليس

على طريق التأسي والتحقيق بل على مقصد الترفيع لنفسه أو الهزل أو إعلاء
في وصف « كقول القائل « ان كذبت فقد كذب الانبياء » أو « صبرت
فقد صبر أولو العزم » وكقول القائل :

فرّ من الخلد فاستجار بنا فصبر الله قلب رضوان

فحقه ان دريء عنه القتل الأدب والسجن وقوة تعزيره بحسب شناعة
مقاله ومألوف عادته وقرينة كلامه أو خلاف ذلك ، لأن كلامه وإن لم
يتضمن سباً ولا غضاً فما وقر النبوة ولا اعطاها حقها .

وقال ايضا في ايراده حكاية ماملخصه : ان حكاية الأقوال الغير
السديدة تدور بين الوجوب والإستحباب والمنع ، فقد اجمع السلف والخلف
من أئمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدّين في كتبهم ومجالسهم
ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم ، وحكى الله مقالات المفسّرين في
كتابه على وجه الإنكار والوعيد عليها ، وكذلك الحكاية على وجه الشهادة
والتعريف بقائله والانكار والاعلام بقوله والتنفير عنه والتجريح له « فهذا
دائر بين الوجوب والندب . وأما حكاية سبه صلى الله عليه وسلم والإزراء
بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار ومضاحك المجان ونوادر السخفاء فكل
ذلك ممنوع وبعضه أشد في المنع ، فما كان عن غير قصد او غير عادة
يكن من البشاعة حيث هو ولم يظهر استحسانه زجر ونهى عن العود اليه
وان قوم ببعض الأدب فهو مستوجب له ، وان اتهم انه اختلقه أو كانت
تلك عادة له او أظهر استحسانه لذلك أو كان مولعاً بالتحفظ لمثله قتل
ثم قال : وقد اسقطوا من أحاديث المغازي والسير ما هذا سبيله ، وتركوا
روايته إلا أشياء يسيرة ذكروها غير مستبشرة ليروا نقمة الله من قائلها
وأخذ المفتري عليه بذنبه - انتهى ملخصا .

فخرج من كلامه إن ذكر الأحوال المدخولة حكاية كان أو استهاداً

والإنكار والتعريف والرد وتبيين مآله في ذلك الفعل من الحكمة في الحكاية وإنما قدمت هذه المقدمة لأننا سنذكر تراجم العلماء الذين زوى الله عنهم الدنيا في مساق الفلاكة ، فقد يقول من شمّ طرفاً من الفقه : إن ذكر العلماء في سياق الفلاكة غض من قدر العلم وتهاون بجرمته . والجواب عن هذا التوهم : أما أولاً فما قاله القاضي على ماقررناه في كلامه ، على ان ماقاله القاضي عياض رحمه الله من التفصيل إنما هو في الله تعالى وملائكته وأنبيائه . وأما ثانياً فلا نسلم مجيء مثل هذا التفصيل في الحكاية عن العلماء ولوسلم فلا نسلم مجيئه في التراجم « لأن أوصاف الكمال وأوصاف غير الكمال كل واحد منهما يشعر وصفه ونسبته الى الشخص بانتقال لآخر عنه ورفع » فلو اقتصر في التراجم على احدهما لكان تلبيساً وتدليساً واغراءً ومملاً على الجهل ، وهذا ان لم يعين أو يرجح ذكر الترجمة بطرفها فلا أقل من ان يقتضي عدم المنع من ذكرها بطرفها .

وقد يقال : لاجابة بنا الى هذا البحث ، لأن لفظ الفلاكة والمفلوك مجتنب في هذا الفصل إلا نادراً ، وإنما نذكر فيه تراجم العلماء ناقلين لها من المصنفات المعتمدة من غير إطلاق لفلاكة أو مفلوك على احد ، والعهد في المنقول على المؤرخين ، والعذر في اتباعهم في نقله انه لم يزل العلماء والمؤرخون يذكرون ذلك املاءً وتصنيفاً شائعاً ذائعاً من غير تكبر ، فكان اجماعاً من السلف على جوازه . وقد تقدم كلام القاضي في جواز الحكاية على جهة التعريف او التنفير ، وتقدم ايضا ماقلناه على سبيل البحث من أن في ذكره أمناً من التدليس والتجهيل .

وأما الاعتذار عن ايراد الفلاكة والمفلوك على الدور فهو أنا نقول : الفلاكة وإن اشعرت بتنقيص إلا أنا نذكرها في هذا الفصل معراة عن معنى التنقيص « والكلمات كثيراً ما تكون حاملة لمعنيين فتعزى من احدها

مجازاً ، وهذا في الكشف في مواضع : « فمته » ماذكر في سورة الاعراف
ان واو الحال هي واو العطف استعيرت لجرد الوصل . وعلى الجملة فاستعمال
الكل في الجزء مجاز شائع .

او نقول : المراد بالفلاكة المذكورة في هذا الفصل وقوع ماالأولى
خلافه . واللغة اصطلاحية على قول ، والألفاظ التي يدور عليها معنى في
تصنيف كالحبن والطي في العروض اصطلاحية اتفاقاً ، فقد سقط بهذا
التقرير اعتراض من يدلع لسانه كالكلب مجادلا بغير علم ولا هدى ولا
كتاب منير .

اللهم عياداً بك ممن قصر في العلم والدين باعه وطال في الجهل وأذى
عبادك ذراعه ، فقد اتخذ بطر الحق وغصص الناس سلماً الى مايجبه ويرضاه
ولا يعرف من المعروف ولا ينكر من المنكر إلا مايشتهي ويأباه ، وليأذى
بك ممن جعل الملامة بضاعته والعدل نصيبه ، يجعل عداوته وأذاه حذاراً
واشفافاً وتنفيذه وتخليده اسعافاً وإرفاقاً ، متى برز على الجهال بأصغريه
ظن أنه قد زاحم العلماء بركبته .

إذا تقرر ذلك فاعلم ان الفلاكة على ضربين :

(أحدهما) فلاكة مالية ، ونعني بها كون الشخص غير محظوظ في

أمور الدنيا المالية على ماقرناه في الفصل الاول ، أو وقوع ما الأولى
خلافه في الأمور المالية على ماقرناه في هذا الفصل .

(والثاني) فلاكة معنوية ، ونعني بها الأوصاف المخالفة لحاسن الطبيعة

أولحاسن الشريعة من الأفعال المحرمة أوالأفعال المكروهة والأخلاق القبيحة
المذمومة .

وإذا عرفت انقسام الفلاكة الى هذين القسمين مالية ومعنوية اتضح

لك مناسبة التراجم الآتية في هذا الفصل لمقصود الفصل ، وهذا حين الشروع

وانا ننقل فيها الفاظ المترجمين بحروفها من غير تصرف فيها لتكون العهدة عليهم في ذلك . والله المستعان .

(القاضي عبد الوهاب)

ابن علي بن نصر المالكي ، كان بقية الناس ، ولسان اصحاب القياس ونبت به بغداد على عادة البلاد بذوي فضلها وعلى حكم الأيام في مخبأ فعلها . فخرج وخلع أهلها وودع ماءها وظلها . فلما فصل عنها شيعه من أكابرها وأصحاب محابرها جملة موفورة وطائفة كثيرة . فقال لهم : لو وجدت بين ظهرانكم رغبين في كل غداة ماعدلت ببلدكم بلوغ أمنية وفي ذلك يقول :

سلام على بغداد في كل موطن	وحق لها مني سلام مضاعف
فو الله ما فارقتها عن قلبي لها	واني بشطي جانيها لعارف
ولكنها ضاقت علي بأسرها	ولم تكن الأرزاق فيها تساعف
وكانت كخل كنت أهوى دنوه	وأخلاقه تنأى به وتخالف

ثم توجه الى مصر فحمل لواءها وملاء أرضها وسماها وتناهت اليه الغرائب وانثالت عليه الرغائب ، فمات في اول ماوصلها من اكلة اشتهاها فأكلها . زعموا انه قال وهو يتقلب ونفسه تتصعد : لا اله الا الله لما عشنا متنا . توفي سنة ٤٢٢ .

(ابن مالك)

ابو عبد الله محمد بن عبد الله بن مالك الطائي الأندلسي الجياني الملقب جمال الدين . صاحب التصانيف المبسوطة والمختصرة والنظم والنثر ، شيخ النحاة في عصره والإمام في اللغة ، كان كثير الأشغال والإشتغال ، حتى انه

حفظ في اليوم الذي مات فيه خمسة شواهد . قال شارح التنبيه الشيخ ابو جعفر رفيق الأعمى نزيل حلب في ترجمته اول الشرح : خرج من الدنيا ولم يتعلق بأعراضها ولا قرطس سهمه في أغراضها . قلت : لقد أحسن الشيخ ابو جعفر رحمه الله العبارة عن الفلاكة « فان قوله » خرج من الدنيا « الى آخره هو والفلاكة عبارتان عن معنى واحد . توفي رحمه الله سنة ٦٧٢ .

(النضر بن شميل)

الشاعر التميمي المازني النحوي البصري ، عالم بفنون من العلم ، صاحب غريب الحديث والشعر ، وهو من اصحاب الخليل . خرج النضر يريد خراسان لما ضاقت عليه البصرة بالمعيشة ، فشيعة من أهل البصرة نحو ثلاثة آلاف رجل ما فيهم إلا محدث أو لغوي أو عروضي أو اخباري « فقال : يا أهل البصرة يعز علي فراقكم ولو وجدت كيلجة باقلى ما فارقتكم « فلم يكن فيهم احد يتكلف ذلك . ودخل على المأمون في ثوب مرقوع فقال له : يانضر ما هذا التقشف ؟ فقال : شيخ ضعيف وحر شديد فأبرد بهذه الخلقان . قال : لاولكنك قشف . ثم تجاذبا الأحاديث الى ان ادى بهما الحديث الى السداد بمعنى البلغة وسد الثلثة « فأورده المأمون بفتح السين فرده النضر عليه وبين له ان المفتوح إنما هو القصد لا البلغة ، فأمر له عند انصرافه بخمسين الف درهم يقبضها من الفضل بن سهل ، فصرفها له ثمانين الف درهم عند وقوفه على سبب الصرف . وتوفي بمرور سنة ٢٠٤

(الاخفش الصغير)

هو علي بن سليمان النحوي « كان اماماً في اللغة والأدب « وهو

غير الأخفش الكبير لأنه أبو الخطاب عبد الحميد ، والأخفش الأوسط لانه سعيد بن مسعدة أبو سعيد . كان الأخفش الصغير يلزم المقام عند أبي علي بن مقلة وأبو علي يراعيه ويبره . فشكا اليه في بعض الأيام ما هو فيه من شدة الفاقة وزيادة الإضاقاة ، وسأله أن يعلم الوزير أبا الحسن علي بن عيسى ويسأله له اقرار رزق من جملة من يرتزق من امثاله ، ففعل فانتهره الوزير انتهاراً شديداً . وكان ذلك في مجلس حافل فشق علي ابن مقلة ذلك . ثم وقف الأخفش على صورة الحال فاعتم لها وانتهت به الحال الى أن أكل السلجم النيء ، فقبل انه قبض على فؤاده فمات منه فجأة سنة ٣١٥

(التلعفري)

محمد بن يوسف بن مسعود الأديب البارع شهاب الدين أبو عبد الله التلعفري الشاعر المشهور ، اشتهر ذكره وشاع شعره ، وكان خليعاً معاشراً وامتحن بالقمار وكلما أعطاه الملك الأشرف شيئاً يقامر به فطرده الى حلب فمدح بها صاحبها العزيز فأحسن اليه وقرر له رسوماً ، فسلك معه مسلك الأشرف فنأدى في حلب أن من قامر مع الشهاب قطعنا يده . فامتنع الناس من اللعب معه فضاقت عليه الأرض وترك الخدمة وجاء الى دمشق ولم يزل يستجدي بها ويقامر حتى بقى في أنون (١) من الفقر . ثم نادى في الآخر صاحب حماه وبها مات سنة خمس وسبعين وسبائة .

(الترمذي)

محمد بن أحمد بن نصر أبو جعفر الترمذي الشافعي ، لم يكن للشافعية

(١) الأتون بفتح الهمزة وتشديد التاء المضمومة وقد تخفف : اخذود الخباز

والجصاص ونحوهما .

في وقته رأس منه ولا اورع ، وكان من التقل على حال عظيم ، أخبر
انه تقوت في سبعة عشر يوماً بخمس حبات أو قال ثلاث حبات ، قيل له
كيف عملت ؟ قال : لم يكن عندي غيرها فاشتريت بها لفتاً ، فكنت
أكل منه كل يوم واحدة . توفي سنة خمس وتسعين ومائتين وقد اختلط
في آخر عمره .

(يحيى بن علي)

ابن محمد بن الحسن بن بسطام أبو زكريا الخطيب التبريزي الشيباني
امام اللغة والنحو ، تخرج عليه خلق كثير ، شرح الحماسة والمتنبي والمعلقات
وغير ذلك . وكانت حصلت له نسخة من التهذيب في اللغة للزهري في
عدة مجلدات لطاف وأراد تحقيق ما فيها وأخذها عن عالم باللغة « فدل على
أبي العلاء المعري فجعل الكتاب في مخلاة وحملها على كتفه من تبريز الى
المعرة ولم يكن له ما يستأجر به مركوباً « فنفذ العرق من ظهره اليها فأثر
فيها البلل وهي ببعض الوقوف ببغداد ، وإذا رآها من لا يعرف صورة
الحال فيها ظن انها غريقة وليس بها سوى عرق الخطيب . ومن شعره :
فمن يسأم من الأسفار يوماً فاني قد سئمت من المقام
أقمنا بالعراق على رجال لثام ينتمون الى لثام
توفي فجأة في جمادي الآخرة سنة اثنتين وخمسمائة .

(الابیوردي)

أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الابیوردي ، اشتغل في الفقه على أبي
حامد وبرع فيه . قال الخطيب في تاريخه : كان شاعراً فصيحاً حسن
الإعتقاد متجملاً في فاقة ، يقال : انه مكث سنتين لا يقدر على جبة يلبسها

في الشتاء ويقول لأصحابه : بي علة تمنعني لبس المحشو . توفي في جمادي الآخرة سنة خمس وعشرين وأربعمائة . قلت : ما احسن قوله « بي علة تمنعني لبس المحشو » فانه من الإيهام والتورية ، والعلة هي علة الفلاكة شفانا الله منها

(الشتريني)

عبد الله بن صارة أو سارة الشاعر المشهور ، كان شاعراً ناثراً ناظماً ماهراً إلا انه كان قليل الحظ ، ومن الحرمان لم يسعه مكان ولا اشتمل على سلطان ، كان يبيع المحقرات وبعد جهد ارتقى الى كتابة بعض الولاة فلما كان من خلع الملوك ما كان أتى الى اشبيلية أسود حالاً من الليل وأكثر انفراداً من سهيل ، وتبلغ من الوراقاة فانتحلها في كساد سوقها وخلو طريقها ، وفيها يقول :

أما الوراقاة فهي أنكر حرفة أوراقها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بحالة ابرة نكسو العراة وجسمها عريان
توفي سنة ٥١٧ .

(العز)

حسين بن محمد الشاعر الضرير الاربلي ، تلميذ أفضل الدين الحلنجي « كان الشاعر المذكور بصيراً بالعربية رأساً في العقليات كلها إلا انه كان فيلسوفاً رافضياً تاركاً للصلاة رث الهيئة زرى الشكل قبيح المنظر ، يصدر منه ما يشعر بفساد العقيدة والانحلال « وابتلى مع العمى بطلوعات وقروح ، وكان قدراً لا يتوقى النجاسات « يهين الأكابر إذا حضر مجلسهم ولا يعتني بهم « ومع ذلك كان له هبة وحرمة . توفي سنة ٦٦٠

(يحيى او محمد او عمر)

ابن حبش الملقب شهاب الدين السهروردي أبو الفتوح المعروف بالشهاب المقتول . كان أوحده زمانه في الفلسفة والحكمة مفرط الذكاء حسن العبارة . وله تصانيف منها : الهياكل ، والتلويحات . والرقم القدسي في تفسير القرآن على رأى الأوائيل ، واللمحات في المنطق . ورد الى حلب واجتمع بالملك الظاهر غازي فأعجبه كلامه فقال اليه . فكتب أهل حلب الى السلطان صلاح الدين أدرك ولدك وإلا تلف . فكتب السلطان الى الظاهر بإبعاده عنه . ثم كتب اليه بقتله . كان دنىء الهمة زري الحلقة دنس الثياب وسخ البدن لا يغسل له ثوباً ولا جسماً ولا يداً من زهومة ولا يقص ظفراً ولا شعراً . وكان القمل يتناثر على وجهه ويسعى على ثيابه . توفي سنة ست وثمانين وخمسمائة .

(الحافظ عبد الغني)

ابن عبد الواحد أبو محمد المقدسي ، أنزله الشيخ عبد القادر هو ورفيقه الشيخ موفق الدين بمدرسته وما كان يمكن احداً من النزول فيها لما تفرس فيهما من الخير والصلاح ، كان امام وقته في الحديث رواية ودراية . وصنف الكتب الحسان منها نهاية المراد في كلام خير العباد نحواً من مئتي جزء . ومحمته كثيرة :

(منها) انه لما دخل أصفهان وقف على كتاب أبي نعيم الحافظ في معرفة الصحابة ، فأخذ عليه في مائة وتسعين موضعاً ، فطلبوه من الخجندی ليقتلوه فاختنى وخرج من أصفهان في أزار .

(ومنها) انه لما عاد الى أصفهان دخل الموصل فقرأ كتاب

الجرح والتعديل للعقبلي وذكر فيه أبا حنيفة وجرحه ، فثار عليه أصحاب أبي حنيفة وحبسوه « ولولا البرهان بن البرقي الواعظ خلصه لقتلوه .
(ومنها) لما قدم دمشق من الموصل كان يقرأ الحديث بعد صلاة الجمعة بحلقة الحنابلة ويجتمع الناس اليه وحصل له قبول ، فكان سريع الدمعة « فحسده الدماشقة ودخلوا عليه بطريق الناصح الحنبلي فحسبوا له أن يعظ بعد الصلاة تحت النسر « فشوش على الحافظ فصار الحافظ يقعد بعد العصر « فذكر عقيدته على الكرسي فاتفق محيي الدين بن زكي الدين والخطيب الدولعي وجماعة من الدماشقة وصعدوا الى القلعة وواليها صارم الدين برغش فقالوا : هذا قد أضل الناس ويقول بالتشبيه ، فعقدوا له مجلساً وأحضره وناظرهم فأخذوا عليه مواضع وارتفعت الأصوات « فقال صارم الدين : كل هؤلاء على ضلالة وأنت على الحق ؟ قال : نعم . فأمر الأسارى فنزلوا الى جامع دمشق فكسروا منبر الحافظ وما كان في حلقة الحنابلة من الدرازينات ومنعواهم من الصلاة ففاتتهم صلاة الظهر « ثم سافر الحافظ الى مصر ونزل عند الطحانين وصار يقرأ الحديث ، وكان الملك العزيز في الصيد فأفقى فقهاء مصر بإباحة دمه وبعثوا بالفتوى الى العزيز ، فقال : اذا رجعنا أخرجناه ، فاتفق انه وقع عن فرسه واشتغل بنفسه ومات « وجاء الأفضل الى مصر ولما دخل العادل مصر ومعه وزيره ابن شكر نقل اليه ما نقل الى العزيز ، فعرف بزهد وفضله فأكرمه عند الدخول اليه وأقام الحافظ في مسجد المصنع يذكر الحديث « فكتب أهل مصر الى ابن شكر يقولون : قد أفسد عقائد الناس ويذكر التجسيم على رؤوس الاشهاد « فكتب الى والى مصر بنفيه الى المغرب ، فحدث الشيخ تاج الدين الكندي ان الوزير طلبه ليكتب بنفيه وكان الحافظ قد توفي « فقال للكاتب : اكتب بنفيه الى المغرب ولم يكن علم بموته : فقلت :

ما يحتاجون تنفونه هو قد نفاكم . فقال ابن شكر : وكيف ؟ قلت : الساعة
أخبرني شخص بموته . فوجم ابن شكر ساعة كأنه ندم . وكانت وفاته
في الثالث والعشرين من ربيع الأول سنة ست مائة .

(محمد بن عبد الرزاق)

ابن رزق بن أبي بكر العدل العالم شمس الدين بن محمد المحدث
الرسعني الحنبلي . كان من أعيان الشهود تحت الساعات . ومن شعره :
ولو أن انساناً يبلغ لوعتي ووجدى وأشجاني الى ذلك الرشاً
لأسكنته عيني ولم أرضها له ولولا لبيب القلب أسكنته الحشا
سافر الى مصر في شهادة ثم عاد على حمار فسرق حماره وما عليه
في الطريق . فرجع الى القاهرة شاكياً فلم يحصل له مقصود ، فخرج متوجهاً
الى دمشق فأتى ليسقى فرسه بالشريعة ففرق ولم يظهر له خبر . توفي
سنة ٦٨٩ .

(الخليل)

ابن أحمد بن عمرو الفراهيدي الأزدي ، كان اماماً في علم النحو ،
وهو الذي استنبط العروض وعنه أخذ سيدييه وغيره . كان متقللاً من
الدنيا صبوراً على العيش الخشن الضيق ، وكان يقول لا يجاوز هي ما وراء
باني ، كان له راتب على سليمان بن حبيب بن المهلب بن أبي صفرة
الأزدي ، وكان والي فارس والأهواز ، فكتب اليه يستدعيه فكتب
الخليل جوابه :

ابلق سليمان أني عنه في سعة وفي غنى غير أني لست ذا مال
سحا بنفسي اني لا أرى أحداً يموت هزلاً ولا يبق على حال

الرزق عن قدر لا الضعف ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه ومثل ذاك الغنى في النفس لا المال
فقطع عنه سليمان الراتب ، فأنشد بيتين في ذلك فأعاد راتبه . قال
تلميذه النضر بن شميل : أقام الخليل في خص من أخصاص البصرة لا يقدر
على فلسين وأصحابه يكتسبون بعلمه الأموال « كان اذا قدم عليه سيويوه
يقول : مرحباً بزائر لا يمل » . توفي سنة ١٧٠ .

(أبو الطيب الطبري)

طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر أبو الطيب الطبري شيخ الشافعية «
أخذ عن أبي حامد الإسفراييني وأبي الحسن الماسرجسي ، وصنف في الأصول
والجدل وغير ذلك . كان له ولأخيه عمامة وقيص إذا لبسها هذا جلس
الآخر في البيت ، وقد قال في ذلك القاضي أبو الطيب :
قوم اذا غسلوا ثياب جامهم لبسوا البيوت الى فراغ الغاسل
بلغ مائة وستين سنة صحيح العقل والفهم والأعضاء بقي ويقضي وبشغل
توفي سنة ٤٥٠

(أبو عثمان)

ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ ، أخذ عنه مالك بن أنس رضي الله
عنه . قال بكر بن عبد الله الصنعاني : أتينا مالك بن أنس فجعل يحدثنا
عن ربعة الرأي فكنا نستزيده في حديث ربعة فقال لنا ذات يوم : ماتصنعون
بربيعة ها هو نائم في ذلك الطاق . فأتينا ربعة فأنهناها وقلنا له : أنت
ربيعة ؟ قال : نعم . قلنا : أنت الذي يحدث عنك مالك بن أنس ؟ قال :
نعم . قلنا : كيف حظي مالك بك وأنت لم تحظ بنفسك ؟ قال : أما علمتم

أن مثقالاً من دولة خير من حمل علم . توفي سنة ١٣٦ .

(المازني)

أبو عثمان بكر بن محمد بن عثمان المازني البصري ، كان إمام عصره في النحو والأدب . وكان في غاية الورع ، ومما رواه المبرد أن بعض أهل الذمة قصده ليقراً عليه كتاب سيبويه وبذل له مائة دينار في تدريسه . فامتنع أبو عثمان من ذلك ، فقال له المبرد : «أتردّ هذه المنفعة مع فافتك وشدة اضافتك ؟ فقال : إن هذا الكتاب يشتمل على ثلاثمائة وكذا وكذا آية من كتاب الله ولست أرى ان أمكن ذمياً منها غيرة على كتاب الله تعالى ، فاتفق أن غنت جارية بحضور الائق بقول العرجي :

أظلم ان مصابكم رجلا

واختلف من بالحضرة في رفع رجل ونصبه ، فأشخصه الائق لإعراب البيت . فلما أعربه أمر له بألف دينار . توفي سنة ٦٤٩ .

وموضع الاستشهاد قول المبرد «أتردّ هذه المنفعة مع فافتك وشدة اضافتك » . ولا يقال كان زاهداً بدليل قول المترجمين له « انه كان شديد الورع » لأن الورع لا يستلزم الزهد بدليل قبوله الألف الموهوب له . لأن الفاقة الدائمة يلزمها حوائج مجتمعة ومصارف مؤخرة لا تني بها الألف ولا ما فوقها ، والدنانير انما هي دنائير بغداد وهي دراهم في الحقيقة .

(السيرافي)

أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المرزبان السيرافي النحوي . شرح كتاب سيبويه وصنف عدة تصانيف ، كان زهاً عفيفاً حسن الأخلاق . وكان معزلياً ولم يظهر منه شيء ، وكان لا يأكل إلا من كسب يده

ينسخ ويأكل . توفي سنة ٣٦٨ .

(نجم الدين)

ابن أخى قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان ، كان فقيهاً فاضلاً وولى القضاء ببعض البلاد الشامية ، وكان مهوساً بالحكمة ويقول عن نفسه : أنا حكيم الزمان ، فانقطع رزقه بهذا السبب ومقت ونسبوه الى انحلال العقيدة ، فسافر الى الديار المصرية وقعد مع الشهود حتى مات سنة ٧٦٢ .

(الأنماطي)

إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن الحافظ البارع تقي الدين أبو الطاهر ابن الأنماطي المصرى الشافعى ، كان إماماً ثقة حافظاً مبرزاً فصيحاً واسع الرواية ناظماً ناثراً بعيد الشبه معدوم النظير إلا انه كان كثير الدعابة مع المرء . مات سنة ٦١٩ .

(بدر الدين بن مالك)

هو محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك ، كان نحوياً عارفاً بعلم البيان والعروض والأصول والمنطق ذكياً إلا انه ينسب الى لعب ومعاشرة من لا تليق معاشرته . توفي سنة ٦٨٦ .

(العفيف التلمساني)

سليمان بن علي بن عبد الله الأديب البارع ، كان حسن العشرة كريم الأخلاق ذاوجهة وخدم في عدة جهات من المكس ، كان يتهم بالخمر

والفسق والقيادة كما قاله في الجزء السابع من دول الاسلام مختصر تاريخ الاسلام لعلي بن خلف بن كامل الغزي الشافعي . قال الشيخ قطب الدين : رأيت جماعة ينسبونه الى رقة الدين والميل الى مذهب النصيرية . وحكى تلميذه البرهان بن الفاشوشة قال : رأيت ابنه في مكان بين ركبدارية وذا يكبس رجليه وذا يبوسه ، فتأملت لذلك وانقبضت ودخلت الى الشيخ وأنا كذلك فقال : مالك ؟ فأخبرته بالحال الذي وجدت عليه ابنه محمداً ، فقال : أفرأيت في تلك الحالة منقبضاً حزيناً . فقلت : سبحان الله كيف يكون ذلك بل كان أسر ما يكون ، فهوّن الشيخ علي وقال : لا تحزن أنت اذا كان هو مسروراً ، فعرفت قدر الشيخ وسعيه . قال الذهبي : هذا هو الشيخ الذي لا يستحي الله من عذابه . توفي سنة ٦٩٠ .

(الحريري)

علي بن أبي الحسن بن منصور أبو الحسن وأبو محمد مقدم الطائفة الحريرية صاحب الزاوية ، كان له مكاشفات وكرامات . وكان عنده من القيام بواجب الشريعة - كما قاله الشيخ شهاب الدين أبو شامة - ما لم يقم به أحد من المتشرعين ظاهراً وباطناً ، ومن اقامة شرائع الحقيقة ما لم يكن عند احد في عصره من المحافظة على محبة الله وذكره والدعاء اليه والمعرفة به . واكثر الناس يغلطون في أمره الظاهر وفي أمره الباطن . صحب الشيخ أبا علي المغربي خادم الشيخ رسلان ، كان يلبس الطويل والقصير والمدور والمفرح والأبيض والأسود والعامة والمئزر والقلنسوة وثوب المرأة والمطرز والملون ، ولما حبس سألته أصحابه ان يسأل ويتشفع فلم يفعل . فلما أقام في الحبس أربع سنين زاد سؤاها فأمروهم ان يكتبوا قصة فيها : من الخلق الضعيف الى الرأي الشريف ممن هو ذنب كله الى من هو عفو كله .

سبب هذه المكاتب الضعف عن المعانة « اصغر خدم الفقراء علي الحريري »
 فقير ولكن من صلاح ومن تقى وشيخ ولكن في الفسوق امام
 فسعوا في القصة وأرادوا أن تصل الى السلطان ، فما قرأ أحد من
 الدولة القصة إلا ورمى بها ، فبلغه ذلك فاحتد وقال : ما قلت لكم ألم
 أنهكم عن السعي . وأقام بالحبس ست سنين وسبعة اشهر ، كان يعاشر
 الأحداث ويصحهم ويقيمون عنده ، ولم يكن عنده مراقبة ولا مبالاة بل
 يدخل مع الصبيان الأحداث ويعتمد معهم ما يسمونه تخريباً ، وكان له قبول
 عظيم لاسيما عند الأحداث ، فانه كان إذا وقع نظره على احد من الأحداث
 مال اليه بحيث لا ينتفع اهله به . توفي سنة ٦٤٥ .

(القطب الشيرازي)

قطب الدين محمود بن مسعود بن مصلح الشيرازي « كان امام
 عصره في المعقولات وفي غاية الذكاء ، وله التلاميذ الكثيرة والتصانيف
 المشهورة منها شرح المختصر لابن الحاجب ، كان كريماً متطوِّحاً إلا انه
 كان متهاوناً بالدين محباً للخمر ويجلس في حلق المساخرة كما قاله الأسنوى
 في طبقاته ، ومع ذلك كان معظماً عند ملوك التتار فمن دونهم « وهو تلميذ
 النصير الطوسي . توفي سنة ٧١٠ .

(ابن دريد)

محمد بن الحسن بن دريد بن عتاهية الأزدي اللغوي البصري امام
 عصره في اللغة والادب والشعر الفائق ، كان يشرب الخمر إلى ان جاوز
 تسعين سنة . قال ابن شاهين : كنا ندخل على ابن دريد فنستحي مما نرى
 من العيdan المعلقة والشراب مصفى موضوعاً . توفي سنة ٣٢١ .

(يحيى بن اكرم)

ابن محمد التميمي المروزي أحد اعلام الدنيا ، روى عنه الإمام احمد ابن حنبل وغيره ، وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه احد عنده من الناس جميعاً ، وكانت كتب يحيى في الفقه أجل كتب وتركها الناس لطولها ، وكاف له كتب في الأصول ايضاً ، وكان من ادهى الناس واخبرهم بالأمور كان اذا رأى فقيها سألته عن الحديث او محدثاً سألته عن النحو أو نحوياً سألته عن الكلام فيخجله ويقطعه . كان ابن زيدان الكاتب يكتب بين يدي يحيى بن اكرم وكان غلاماً متناهي الجمال ، فقرص القاضي خذله فخنجل الغلام واستحيا وطرح القلم من يده ، فقال له : خذ القلم واكتب فأملاه :

أيا قمرأ خمسته فتغضبا	وأصبح لي من تيهه متجنباً
إذا كنت للتخميمش والعص كارهأ	فكن ابدأ ياسيدي متقبلاً
ولا تظهر الأصداغ للناس فتنة	وتجعل منها فوق خديك عقرباً
فتقتل مسكيناً وتفتن ناسكاً	وترك قاضي المسلمين معذباً

ولما تواتر النقل عن يحيى الى المأمون في هذا المعنى أراد امتحانه ، فأغرى به مملوكاً في غاية الجمال وذهب الى الخلاء ثم تجسس عليه فسمعه يقول له : لولا انتم لكنا مؤمنين ، فدخل المأمون وهو ينشد بيتي ابن حكيمة راشد بن اسحاق الكاتب :

وكنا نرجي ان نرى العدل ظاهراً فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
متى تصلح الدنيا ويصلح أهلها وقاضي قضاة المسلمين يلوط
ذكر ذلك كله ابن خلكان في تاريخه ، وذكره الحصري في كتابه
الذي سماه زهر الآداب وتحامل عليه في هذا المعنى بما لا يليق ذكره وذكر ولوع

الشعراء به ، ومما انشده فيه قول الشاعر :
 ياليت يحبي لم تلده اكنمه ولا وطت ارض العراق قدمه
 ألوط قاضي في الأنام نعلمه اى دواة لم يلقها قدمه
 وأي جحر لم يلجه ارقمه
 توفي سنة ٢٤٢ .

(محمد بن علي)

ابن يوسف بن هود الشيخ الزاهد الكبير بدر الدين ابو علي بن هود
 المرسي . احدث الأجلاء في التصوف ، ترك الحشمة وتغرب وصحب ابن
 سبعين واشتغل بالفلسفة والطب وترهات الإتحادية وزهديات التصوف وخط
 هذا بهذا . كان ذاهية وسكون وتلامذة . على رأسه قبعة وعلى جسده
 دلق ، وكان غارقاً في الفكرة قليل الصلاة والذكر متواصل الأحران .
 حمل مرة الى والى البلد وهو سكران أخذوه من حارة اليهود ، وكان له
 مشاركات في علوم شتى . توفي سنة ٦٩٩ بدمشق .

(القاضي الرفيع)

عبد العزيز بن عبد الواحد بن اسماعيل قاضي قضاة دمشق رفيع
 الدين ابو حامد الشافعي . كان فقيهاً فاضلاً متكلماً مناظراً متفلسفاً ردىء
 العقيدة مغترأ ، ثم ولي قضاء دمشق في ايام صاحبها الملك الصالح اسماعيل
 ووزيره أمين الدولة السامري . فاتفق هو وأمين الدولة في الباطن على
 المسلمين ، فكانت عنده شهود زور ومدعون زوراً تدعي وتشهد على
 شخص بألف دينار فيأمره بالصلح . قال ابو المظفر ابن الجوزى : حدثني
 جماعة من الأعيان انه كان فاسد العقيدة دهرياً مستهزئاً بأمور الشريعة .

يجيء الى صلاة الجمعة سكران ، وإن داره كانت مثل الحانة . ثم أوقعت الدنيا بينه وبين الوزير ففدّره السامري وسعى به عند السلطان فاعتقل بيبلك واستأصل ماله . ثم نقل الى جبل لبنان وخنق هناك أودفع من شاهر فوقع فمات سنة ٦٤٣ .

(البدر التستري)

بدر الدين محمد بن أسعد التستري ، إمام وقته في الأصلين والمنطق والحكمة ، وضع تعاليق اليبضاوى والطوالع والمطالع متضمنة لنكت غريبة وان كانت عباراتها قلقة ركيكة ، وشرح كتب ابن سينا ، كان مداوماً على لعب الشطرنج رافضياً كثير الترك للصلاة . قال الأسنوي : ولهذا لم يكن عليه أنوار أهل العلم ولا حسن هيتهم مع ثروته الزائدة وحسن شكله توفى بهمذان في نيف وثلاثين وسبعمائة .

(أبو عبيدة)

اللغوي النحوي معمر بن المنفى ، لم يكن في الأرض خارجي ولا إجماعي أعلم بجميع العلوم منه ، وكان الغريب يغلب عليه وأخبار العرب وأيامها . وكان يكسر الشعر ولا يقيم وزنه . وإذا قرأ أو حدث لحن اعتماداً منه ، وكان وسخاً أُلغ مدخول للنسب هجاء يميل الى مذهب الخوارج لانقبل له شهادة عند احد من الحكام لأنه كان يتهم بالميل الى الغلمان . قال الاصمعي : دخلت انا وأبو عبيدة يوماً المسجد فاذا على الأسطوانة التي يجلس اليها ابو عبيدة :

صلى الاله على لوط وشيعته ابا عبيدة قل بالله آميناً

فقال لي : يا اصمعي امح هذا ، فركبت ظهره ومحوته بعد ان أثقلته

فقال : أثقلتني وقطعت ظهري . فقلت : لقد بقيت الطاء فقال : هي
شر حروف البيت . وكان الكاتب لها ابا نؤاس وبعد البيت :
فأنت عندي بلا شك بقيتهم منذ احتلمت وقدجاوزت تسعيناً
توفي سنة ٢٠٩ .

(ابن هانيء)

أبو الحسن محمد بن هانيء الأزدي الاندلسي الشاعر المشهور « كان
متهماً بمذهب الفلاسفة مشتهراً بحب الخمر . أضافه شخص بركة فأقام
عنده في مجلس الانس أياماً فيقال انهم عربدو عليه فقتلوه سنة ٣٦٢ .

(صاعد)

الربعي اللغوي البغدادي أبو العلاء صاحب كتاب الفصوص « كان
محسناً في السؤال حاذقاً في استخراج الاموال ، غير انه كان يتهم بالكذب
في نقله فلهذا رفض الناس كتابه ، ولما ظهر للمنصور كذبه في النقل
وعدم تثبته رمى كتاب الفصوص في النهر ، فقال فيه بعض شعراء عصره :
قد غاص في البحر كتاب الفصوص وهكذا كل ثقیل يغوص
فلما سمعه صاعد أنشد :

عاد الى عنصره انما تخرج من قعر البحور الفصوص
توفي سنة ٤١٧ بصقلية .

(ابن النحاس)

بهاء الدين محمد بن ابراهيم بن محمد الامام العلامة ، كان من أذكيا
بنی آدم وله خبرة بالمنطق واقلیدس ، مشهور بالدين والصدق مع اطراء

التكلف والتجمل وصغر العامة فيه ظرف النحاة وانبساطهم ، وكان يتحدث في تعليمه وخطابه بلغة عامة الخليسين ولا يتقعر في عبارته وأظنه لم يتزوج توفي سنة ٦١٨ .

(أبو الحسن)

علي بن صاعد الصدفي المنجم المعروف بابن يونس المصري المشهور صاحب الزيج الحاكمي المعروف بزيج ابن يونس في اربع مجلدات كبار كان ابن يونس المذكور أبله مغفلاً يعتم على طرطور طويل ويجعل ردائه فوق العامة ، وكان طويلًا وإذا ركب ضحك الناس منه لشهرته وسوء حاله وورثاته لباسه ، وكان له مع هذه الهيئة إصابة بليغة غريبة في النجامة لا يشاركه فيها غيره ، وكان أحد الشهود ومتفناً في علوم كثيرة . دخل مرة على الحاكم العبيدي صاحب مصر ومداسه في يده فقبل الأرض وجلس والمداس الى جانبه والحاكم يراها وهو بالقرب منه ، ولما انصرف قبل الأرض ولبسها وانصرف . توفي سنة ٣٩٩ .

(التاج المراكشي)

تاج الدين محمد بن إبراهيم بن يوسف المراكشي ، حصل علوماً عديدة أكثرها بالسماع لأنه كان ضعيف البصر مقارباً للعمى ، كان ذكياً عجبوا محتقراً للناس كثير الوقعة فيهم ، ولهذا عمل عليه قاضي القضاة جلال الدين القزويني حتى أخرجه من مصر الى دمشق مرسماً عليه . توفي فجأة سنة ٧٥٢ .

(العلم الاصفوني)

علم الدين أحمد بن محمد بن عبد العلم المعروف بالأصفوني ، كان

رجلا فاضلا مشاركاً في علوم متعددة مشاركة جيدة ، لكنه كان شرس الأخلاق مائلاً الى الحسد لاتدوم له صحبة مع احد لاسيما من يرى إقبال الناس عليه من أهل العلم . توفي سنة ٧٤٩ .

(الفخر الفارسي)

الفيروز ابادى نزيل مصر الشافعي الصوفي المحقق المحدث ، له مصنفات كثيرة منها كتاب مطية النقل وعطية العقل والأصول والكلام وغير ذلك ، كان فاضلا بارعاً فصيحاً بليغاً متكلماً ذا معاملات ورياضات ومقامات ، إلا انه كان بذيء اللسان كثير الوقعة في الناس لمن عرف ومن لم يعرف كثير الجرأة لايفكر فيما يقول ، وعنده دعابة في غالب الوقت — كذا قاله عمر بن الحاجب وابن بطة فيما نقله عنهما عماد الدين ابن كثير في طبقاته . توفي سنة ٦٢٢ .

(الشيخ خضر الكردي)

شيخ الملك الظاهر ، كاشف السلطان في اشياء كثيرة أصاب فيها ، وكان حظياً عنده وله المكانة الرفيعة لديه ، ينزل السلطان اليه في كل اسبوع مرة او مرتين وبني له جامعاً ، شهد عليه عند السلطان بالزنا واللواط وشرب الخمر ، وكان السلطان قد قدمت له هدية من صاحب اليمن من جملتها كر نفيس فأعطاه السلطان للشيخ خضر فدفعه لامرأة وزنى بها وأحضرها وأحضرها الكر بين يدي السلطان . توفي سنة ٦٧١

(ابن الخشاب)

أبو محمد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشاب البغدادي العالم

المشهور في الأدب والنحو والتفسير والحديث والنسب والفرائض والحساب ، له في العلوم اليد الطولى ، كان فيه بذاءة (١) وقلة اكتراث بالمأكل والملبس زاد الحافظ الذهبي ناقلاً له عن ابن النجار وجمال الدين القفطى انه كان بخيلاً وسخاً قذراً ، تبقى عمامته على رأسه حتى تنقطع مما يلي رأسه من الوسخ ، ويرمي عليها العصافير ذرقها فيتركه على حاله . ولم ينزج قط ولا تسرى . وكان يستقى بجرة مكسورة ويلعب بالشطرنج حينما وجده ويقف على المشعبذ وأصحاب الزرود . ويستعير الكتاب فلا يعيده متعللاً بضياعه بين كتبه . وكان مزاحاً - وساق ابن النجار عنه من ذلك حكايات فنها انه قرأ عليه بعض المعلمين قول العجاج :

أطرباً وأنت قنسري وأما يأتي الصبا الصبي

فجعله الصبي بالياء فيهما فقال له : هذا عندك في المكتب فاستحي . ومنها انه سأله بعض تلامذته فقال : القفا يمدّ أو يقصر ؟ فقال : يمد ثم يقصر . ومنها انه سأل بعض تلامذته : ما بك ؟ فقال : فؤادي يوجعني . فقال : لو لم تهمزه ما وجعك . توفي سنة ٥٦٧ .

(ابن برى)

ابو محمد عبد الله ابن أبي الوحش بن برى المقدسى . الإمام المشهور في علم النحو واللغة والرواية والدراية . كان علامة عصره وحافظ وقته ونادرة دهره . وله على كتاب الصحاح للجوهري حواش فائقة استدرك فيها عليه مواضع ، كان عارفاً بكتاب سيبويه . وكانت فيه غفلة ولا يتكلف في كلامه ولا يتقيد بالإعراب بل يسترسل في حديثه كيفما اتفق . قال يوماً لبعض تلاميذه : اشترى لى هندباً بعروقه . فقال له التلميذ : هندبا

(١) البذاءة : سوء الحال . وبذاء الهيئة وبذاء : رثا .

بعروقه . فعز عليه كلامه وقال : لا تأخذه إلا بعروقه وان لم يكن بعروقه فلا آكله . ومن غفلته انه كان يدخل الحطب والبيض جميعاً في كفه وعليه الثياب الفاخرة ، وربما جاء الى البيت فلم يجد مفتوحاً فيرمى بالبيض من الطاق الى داخل ، ويضع العنب بين الحطب فينفجر وينقط على رجله فيقول : مطر والسماء صاحية . وقريب من حكاية رمي البيض مانقل عن أبي علي الشلوبين انه وقع من يده كراس في الماء وبقي معه آخر فجره به من الماء فتلفا جميعا . توفي سنة ٥٨٢ .

(الباجي)

علاء الدين علي بن محمد بن عبد الرحمن المعروف بالباجي ، الإمام في الأصلين والمنطق الفاضل فيما عداها من أذكياء الناس . قريحته لاثكاد تنقطع إلا انه كان قليل المطالعة جداً ولا يكاد أحد يراه ناظراً في كتاب . وكذلك نقل عن محمد بن زياد أبي عبد الله بن الأعرابي صاحب اللغة انه كان يحضر مجلسه زهاء مائة نفس كل يسأله أو يقرأ عليه وهو يجيب من غير كتاب . قال ابو العباس : لزمته بضع عشرة سنة ما رأيت بيده كتاباً قط . توفي ابن الأعرابي سنة ٢٢١ ، وكان الباجي المذكور يجلس في حوانيت الشهود . وناب في الحكم بالشارع ثم ترك ذلك كله وأعرض عن التكلف في حاله كله . توفي سنة ٧١٤ .

(الحافظ المزني)

بكسر الميم ابو الحجاج جمال الدين يوسف الحلبي المعروف بالمزني ، انتهت اليه الرحلة من أقطار الأرض ، كان إماماً في اللغة والتصريف ، صنف تهذيب الكمال في أسماء الرجال وكتاب الأطراف ، ودرس بدار

الحديث . كان منقبضاً عن الناس طارحاً للتكلف فقيراً . توفي سنة ٧٤٢ :

(أبو جعفر)

احمد بن اسماعيل بن يونس المرادي النحاس المصري النحوي ، كان من الفضلاء . وله التصانيف المفيدة منها : اعراب القرآن ، والناسخ والمنسوخ ، وتفسير أبيات سيبويه بما لم يسبق الى مثله . وفسر عشرة دواوين وأملأها ، وله كتاب طبقات الشعراء . وله شرح الحماسة وله غير ذلك . وكان فيه خساسة وتقتير على نفسه . وإذا وهب عمامة قطعها ثلاث عمام بخللاً وشحاً ، وكان يلى شراء حوائجه بنفسه ويتحامل فيها على أهل معرفته . ومع هذا كان للناس رغبة كثيرة في الأخذ عنه . توفي بمصر سنة ٣٣٨ وكان سبب موته انه جلس على درج المقياس على شاطئ النيل واخذ يقطع العروض من الشعر ، فقال بعض العوام : هذا يسحر النيل حتى لا يزيد فتغلو الأسغار . فدفعه برجله في النيل فلم يوقف له على خبر . والنحاس نسبة الى الصفر .

(مروان بن ابى حفصة)

الشاعر المشهور المشكور ، كان يمدح الخلفاء والبرامكة ومعن بن زائدة ، وكان يحصل له من الأموال شيء كثير جداً ، وكان مع ذلك من أبخل الناس لا يكاد يأكل من اللحم من بخله ولا يشعل في بيته سراجاً ولا يلبس من الثياب إلا الكرايبس والفرو الغليظ . خرج يوماً الى المهدي فقالت امرأة من اهله : ان أطلق لك الخليفة شيئاً فاجعل لي منه شيئاً . فقال : ان اعطاني مائة ألف درهم فلك درهم ، فأعطاه ستين ألف درهم فأعطاه اربعة دوانيق . توفي سنة ١٨٢ .

(محمد بن داود)

ابن علي ابو بكر الفقيه ابن الفقيه الطاهري بن الطاهري . كان عالماً بارعاً أديباً شاعراً فقيهاً ماهراً . قال ابن كثير : قال ابن الجوزي في المنتظم : وقد ابتلي بحب صبي اسمه محمد بن جامع ويقال محمد بن زخرف ويعشقه ولم يزل ذلك دأبه فيه مع العفاف حتى كان سبب وفاته . وقيل عنه انه كان يبيح العشق بشرط العفاف ، وحكى هو عن نفسه انه لم يزل يتعشق منذ كان في الكتاب ، وانه صنف كتاب الزهرة في ذلك ، وكان يتناظر هو وأبو العباس بن شريح فقال له ابن شريح يوماً : أنت بكتاب الزهرة أمهر منك بهذا . فقال له : أتعيرني بكتاب الزهرة وانت لا تحسن تشم قرائته ، وهو كتاب جمعناه هزلاً فاجمع أنت مثله جداً . توفي سنة ٢٩٧ .

(الحسن بن سفيان)

ابن عامر ابو العباس الشيباني النسوي محدث خراسان ، والذي كانت تضرب آباط الإبل اليه في معرفة الحديث والفقه . رحل الى الآفاق وتفقه على أبي ثور وأخذ الأدب من اصحاب النضر بن شميل . اتفق له انه كان هو وجماعة من اصحابه بمصر في رحلتهم لطلب الحديث ، فضاقت عليهم الحال حتى مكثوا ثلاثة أيام لا يأكلون فيها شيئاً ولا يجلسون ما يبيعونه للقوت ، واضطروهم الحال الى تجشم السؤال وأنفت نفوسهم من ذلك والحاجة تضطروهم ، فاقترعوا فيما بينهم أيهم يقوم بهذا الأمر ف وقعت القرعة على الحسن بن سفيان ، فقام عنهم واختل في زاوية المسجد وصلى ودعا ، فما انصرف من الصلاة حتى دخل شاب حسن الهيئة فقال : الأمير ابن طولون يعتذر اليكم وهذه مائة دينار لكل واحد منكم : فقلنا : وما الحامل ؟

فقال : انه أحب ان يختلى فجاءه فارس بيده رمح في الهواء وقال : قم فأدرك الحسن واصحابه فأنهم في المسجد الفلاني جيعاً . توفي سنة ٣٠٣ .

(بشر بن غياث)

ابو عبد الرحمن المرسى المتكلم « شيخ المعتزلة واليه تنسب الطائفة المرسية ، راج عند المأمون وحظي عنده . كان لا يحسن النحو وكان يلحن لحناً فاحشاً كما قاله ابن كثير . توفي في ذي الحجة سنة ٢١٨ وصلى عليه عبيد الشوبرى المحدث فلم في ذلك فقال : ألا تسمعون كيف دعوت له في صلاتي قلت : « اللهم ان عبدك هذا كان ينكر عذاب القبر اللهم فأذقه عذاب القبر » وكان ينكر شفاعة نبيك فلا تجعله من اهلها » وكان ينكر رؤيتك في الدار الآخرة فاحجب وجهك الكريم عنه . وهذا معنى ما قاله بعض السلف من كذب بكرامة لم ينلها - قاله ابن كثير .

(واصل بن عطاء المعتزلي)

ابو حذيفة المعروف بالغزال لملازمته الغزالين ، أحد الأئمة البلغاء المتكلمين « وكان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً ، ولكونه قبيح اللثغة في الراء كان يخلص كلامه منها ولا يفطن لذلك احد لاقتداره على الكلام وسهولة ألفاظه « والى ذلك اشار الشاعر بقوله :

وجعلت وصل الراء لم تنطق به وقطعتني حتى كأنك واصل
كان طويل العنق ، فنظر اليه عمر بن عبيد فقال من قبل ان يكلمه :
لا يصلح هذا ما دامت عليه هذه النعق . توفي سنة ١٣١ .

(ابو حاتم الرازي)

محمد بن ادريس بن المنذر ابو حاتم الحنظلي الرازي « احد الحفاظ

الأنبات العارفين بعلل الحديث والجرح والتعديل « وهو قرين أبي زرعة الرازي تغمدهما الله برحمته « سمع الكثير وطاف الأقطار والأمصار وروى عن خلق من الكبار ، وحدث عنه الربيع بن سليمان ويونس بن عبد الأعلى وهما أكبر منه . قال لابنه عبد الرحمن : يا بني مشيت على قدمي في طلب الحديث أكثر من ألف فرسخ ، وذكر أنه لم يكن له شيء ينفق منه في بعض الأحيان ، وأنه مكث ثلاثاً لا يأكل شيئاً حتى استقرض من بعض أصحابه نصف دينار . توفي سنة ٢٧٧ .

(سيبويه)

أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر البصري الحجة في النحو والعلم فيه إمام النحاة ، شرح النحاة كتابه فانغمروا في لجج بحره واستخرجوا من جواهره حاصله ولم يبلغوا إلى قعره . وزعم ثعلب أنه لم ينفرد بتصنيفه وقد ساعده جماعة في تصنيفه كانوا نحواً من أربعين نفساً هو أحدهم وهو أصول الخليل بن أحمد ونكته فادعاه سيبويه لنفسه - هكذا نقله ابن كثير عن ثعلب . ونقله في مرآة الزمان عن أبي عبد الله المرزباني وتعقبه وقال : هذا وهم من المرزباني لاجتماعهم على أن سيبويه هو الذي جمع أوزان العرب وحصرها وقرر أصول الكتاب وفصوله ورتب أبوابه . وقال ابن كثير بعد نقله ذلك عن ثعلب : وقد استبعده السيرافي في طبقات النحاة . ولما قدم سيبويه بغداد وناظر الكسائي وأصحابه فلم يظهر عليهم سأل عن يرغب من الملوك في النحو ؟ فقبل طلحة بن طاهر « فشخص إلى خراسان فلما انتهى إلى ساوة مرض مرض الموت فتمثل :

يؤمل دنيا لتبقى له فمات المؤمل قبل الأمل

حيثاً يروي أصول الفسيل فعاش الفسيل ومات الرجل

توفي وعمره ثنتان وثلاثون سنة سنة ١٨٠ . والفسيل والفسيلة :
الوديّ " وهو صغار النخل " والجمع الفسلان - قاله الجوهري .

(شريك)

ابن عبد الله بن أبي شريك ابو عبد الله القاضي النخعي الكافي " سمع
ابا اسحاق السبيعي وغير واحد " أكرهه المنصور على القضاء ، كان
مشكوراً في حكمه وامضائه اياه على الأكابر . ذكر الخطيب بسنده ان
عمر بن الهياج قال : كنت صاحب شريك فأنيته يوماً فخرج اليّ في
فروليس تحته قبض وعليه كساء ، فقلت له : لقد أصبحت عن مجلس
الحكم ؟ فقال : غسلت أمس ثيابي فلم تجف وانا منتظر جفافها اجلس .
قال : فجلست فجعلنا نتذاكر باب العبد يتزوج بغير اذن مولاه " وكانت
الخيزران قد وجهت رجلاً نصرانياً وكتبت الى موسى بن عيسى لا يعصي
له امرأ " فظلم رجلاً فتعلق ذلك الرجل بشريك فاقتص له منه بيده ،
ثم عاد يذاكر عمر في العبد تزوج كأن لم يفعل شيئاً ، وقد ساق الحكاية
بطولها في مرآة الزمان ناقلاً لها عن الخطيب . قال في مرآة الزمان :
وقد روى عن ابن عون ان شريكاً كان يشرب النبيذ المثلث على رأي
أهل العراق ، وبذلك عابوه . توفي سنة ١٧٧ .

(ابن يونس)

موسى بن محمد بن منعة المعروف بابن يونس الموصلي الشافعي "
احد المتبحرين في العلوم المتنوعة . قيل انه كان يتقن اربعة عشر علماً ،
كان يقرأ عليه الحنفيون كتبهم " وكان يقرأ عليه أهل الكتاب التوراة
والإنجيل فيقرون انهم لم يسمعوا بمثل تفسيره لها ، وكان الشيخ تقي الدين

ابن الصلاح يبالغ في الثناء عليه ، فقليل له يوماً : من شيخه ؟ فقال : هذا الرجل خلقه الله عالماً لا يقال على من اشتغل فانه اكبر من هذا . قال ابن خلكان : وكان يهتم في دينه لكون العلوم العقلية غالبية عليه . توفي سنة ٦٣٩ .

وأشدد العهاد المعري في ابن يونس :

اجدك ان قد جاد بعد التعبس غزال بوصلى واصبح مؤنسى
وعاطيته صهباء من فيه مزجها كركة شعري او كدين ابن يونس
قال الموفق عبد اللطيف : وكان مستغرق الوقت والعقل في حب
الكيمياء حتى صار يستخف بكل ما عداها .

(أبو بكر النيسابوري)

عبد الله بن محمد بن زياد النيسابوري الحافظ الفقيه الشافعي العلامة المعروف بأبي بكر بن زياد . قال يوسف القواس : سمعت ابا بكر النيسابوري يقول : أتعرف من أقام اربعين سنة لم ينم الليل ويتقوت كل يوم بخمس حبات ؟ ثم قال : أنا هو . توفي سنة ٣٢٢ .

(محمد شمس الدين)

ابو عبد الله بن الإمام العلامة عفيف الدين التلمساني الشاعر بن الشاعر . تعانى الكتابة وولى عمالة الخزانة ، كان فيه عشرة ولعب وخلاعة كما قاله الغزى في مختصر تاريخ الاسلام . قال في الذيل : وكان شمس الدين محمد المذكور قد أضافه اولاد المشطوب وطلبوا منه ان يبيت عندهم ، فقال لهم : أعلموا والذي بميتي عنكم حتى لا يتشوش خاطره هو والوالدة فبعثوا الى والده الشيخ عفيف الدين ولدهم العهاد اسماعيل - وهو يومئذ

من احسن الفتيان صورة - لإعلام الشيخ عفيف الدين بميت ولده عندهم «
فتكلم عفيف الدين بديهاً هذين البيتين وبعث بهما صحبة العماد إسماعيل :
بعثتموا لي رسولاً في رسالته حلوا المراسف والأعطاف والهيف
وقد تما ويسر ذاك انكما أوقدتا النار في بادي الضنى دنف
فرد عليه ولده شمس الدين بديهاً وكتب على ظهر الرقعة :
مولاي كيف انثى عنك الرسول ولم تكن لوردة خديه بمقتطف
جاءتك من بحر ذاك الحسن لؤلؤة فكيف ردت بلانقب الى الصدف
لما قدم السجاعي دمشق خاف منه شمس الدين لكونه كاتب الخزانة
خوفاً عظيماً انقطع منه قلبه ، فمات شاباً سنة ٦٨٨ .

(ابن حزم)

ابو محمد علي الظاهري ، الامام العلامة الحافظ المجتهد . كان كثير
الوقوع في العلماء فنفرت عنه القلوب وتألب عليه الفقهاء واتفقوا على
بغضه وتضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم عن
الدنومنه « فأقصته الملوك وشردته عن بلادها حتى انتهى الى بادية فلاة
فتوفي بها سنة ٤٥٦ »

(ابو الحسن)

علي بن بوعت ، كان شاعراً مجيداً إلا انه كان قليل الحظ من
الدنيا ، لم يزل رقيق الحال ضعيف القدرة الى أن توفي وهو على حاله من
الضرورة وشدة الفاقة بمصر سنة ٤١٦ .

(ابو حاتم السجستاني)

قال التبعاشي وغيره : كان أفضل أهل زمانه علماً وورعاً « وبلغ

من فضله انه كان يتصدق كل يوم بدينار ويحتم القرآن في كل اسبوع ، وكان من اظرف أهل زمانه واطيبهم خلوة وأحسنهم مفاكهة ، إلا انه كان مولعاً بالعلمان يذهب فيهم مذهب الإستمتاع بالنظر لاقضاء الوطر . وذكر ان المبرد أبا العباس كان يحضر حلقة يقرأ عليه . وكان المبرد من اجل أهل زمانه ، فقال فيه ابو حاتم :

وقف الجبال بخده فسما به حذو الامام
حرركاته وسكونه تحيا بها مهج الانام
فاذا خلوت بمثله وعزمت فيه على اغترام
لم أعد افعال العفا ف وذاك اوكد للغرام
نفسى فداؤك يا ابا ال عباس حل بك اعتصام
فارحم اخاك فانه نزر الكرى بادی السقام
وأثله ما دون الحرا م فليس يطمع في الحرام

وقرأت من خط الشيخ شهاب الدين السجستاني : ابو حاتم السجستاني سهل بن محمد ابن عثمان السجستاني ثم البصرى النحوى المقرئ صاحب المصنفات . أخذ عن ابي عبيدة وأبي زيد الأنصارى والأصمعى وغيرهم . وحمل الناس القرآن والحديث والعربية ، وكان جماعاً للكتب وله اليد الطولى في اللغة والشعر والعروض والمعنى ، ولم يكن حاذقاً في النحو . وله إعراب القرآن . وكتاب ما يلحن فيه العامة . والمقصود والممدود ، وكتاب القسى والنبال والسهم ، وكتاب الهجاء ، وكتاب الشتاء والصيف . وكتاب النحل والعسل . وكان ابو العباس المبرد يلازم حلقة وهو غلام وسيم في نهاية من الجمال ، فعمل فيه أبو حاتم . . . وذكر الأبيات المذكورة . توفى سنة ٢٥٠ .

(ابن الجبان الاصفهاني)

محمد بن علي بن عمر بن الجبان الإصفهاني أبو منصور ، أحد حساب
الرى وعلماؤها الأعيان ، جيد المعرفة باللغة ، ومن تصانيفه كتاب أبنية
الأفعال وكتاب الشامل في اللغة وهو كتاب كبير وشرح الفصيح وهو
حسن . قال ياقوت : وجدت خطه على كتاب الشامل له ، وقد كتبه في
سنة ٤١٦ . وذكره يحيى بن مندة فقال : بينه وبين صاحب بن عباد
مكاتبات ، وعلق غلاماً من الديلم يقال له التركاني ، فاتفق للغلام انه عزم
على الحج فلم يجد ابن الجبان بداً من موافقته ومرافقته ، فلما بلغا الميقات
وأحرما وأخذوا في التلبية قال ابن الجبان « ليك اللهم ليك والتركاني
ساقني اليك » وكان هجيراً :

يا نسيم الروض في السحر وشبيه الشمس والقمر
ان من اسهرت ليلته لقرب العين بالسهل
ثم ابتلى بفراقه فكتب اليه :

يا وحشتي لفراقكم أرى يدوم على هذا
الموت والأجل المتاح وكل معضلة ولاذا
نقلت هذه الترجمة من خط الشيخ نور الدين الأياري .

(السهيلي)

عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد ابو القاسم وابو زيد وابو الحسن
الحنطعي السهيلي الأندلسي المالقي النحوي الحافظ . ناظر علي بن الحسن
ابن الطراوة في كتاب سيبويه وسمع منه كثيراً من كتب اللغة ، ذكر انه
استخرج الروض الأنف من نيف وعشرين ومائة ديوان ، وله كتاب

التعريف والإعلام بما أهتم في القرآن » وكتاب شرح آية الوصاية وشرح الجمل ولم يتمه » واستدعي الى مراکش لسمع بها وبها توفي . قال ابن خلكان : وكان يتسوغ بالعفاف ويتبلغ بالكفاف حتى نمت خبره الى صاحب مراکش فطلبه وأحسن اليه وأقام بها نحو ثلاثة أعوام » ثم توفي سنة ٥٨١ .

(ابن دحية الكلبي)

العلامة ابو الخطاب عمر بن حسن بن علي بن محمد بن الجميل المعروف بابن دحية الكلبي » كان يكتب لنفسه ذو النسبتين بين دحية والحسين وانه سبط ابي السام الحسيني الفاطمي . كان له التصانيف الفائقة والرحلة الواسعة والدراية الحسنة بالنحو واللغة والحديث متناً واسناداً » وروى عن جماعة وروى عنه جماعة - طول الحافظ الذهبي روايته ومن روى هو عنه وأطال ترجمته الى ان قال : قال ابن واصل : وكان ابو الخطاب مع فرط معرفته بالحديث متهماً بالمجازفة في النقل ، وبلغ ذلك الملك الكامل وقد بنى له دار الحديث بالقاهرة ، فأمره ان يعلق شيئاً على احاديث الشهاب ، فعلق كتاباً تكلم فيه على أحاديثه واسناده ، فلما وقف الملك الكامل على ذلك قال له بعد حين : قد ضاع مني فعلق لي مثله ففعل » فجاء في الثاني بمناقضة الأول ، فعلم السلطان صحة ما نقل عنه وعزله من دار الحديث . قال ابن نقطة : كان يدعى اشياء لا حقيقة لها » ذكر لي ابو القاسم بن عبد السلام وهو ثقة قال : نزل عندنا ابن دحية فكان يقول : انا احفظ صحيح مسلم والترمذي » فخلطنا له أحاديث من الترمذي بأحاديث موضوعة وامتنعنا بها فلم يعرف منها شيئاً . قال ابن خلكان : وصنع للمظفر صاحب اربل قصيدة ادعى أنها له » فظهرت في ديوان الأسعد بن مئان . قال الذهبي : وكذلك نسبته شيء لا حقيقة له ، قرأت بخط ابن مدي :

كان أبوه تاجراً يعرف بالكلي بين الفاء والباء وهو اسم موضع بدانية .
وكان أبو الخطاب يكتب أولاً الكلي معاً إشارة إلى النسب والبلد . توفي
سنة ٦٣٣ .

(المسعودي)

شارح المقامات محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مسعود أبو سعيد
وأبو عبد الله ابن أبي السعادات المسعودي الحراساني ، روى عن جماعة
وروى عنه جماعة ، وكان المحدثون يلبثونه كما قال الذهبي . وقال ابن
خليل الآدمي : لم يكن في نقله بثقة ولا مأمون . توفي سنة ٥٨٤ .

(الشاطبي)

القاسم بن فيرة بن خلف الرعيني الأندلسي الشاطبي المقرئ أحد
الأعلام . كان إماماً علامة نبيلاً واسع الحفظ كثير الفنون بارعاً في
القراءات وعللها حافظاً للحديث استاذاً في العربية ، وقصيدته في القراءات
والرسم مما يدل على تبحره . قال الذهبي : صبر على فقر شديد ثم قدم
القاهرة فطلبه القاضي الفاضل للإقراء بمدرسته فأجاب بعد شروط لإشترطها .
قال السخاوي : أقطع بأنه كان مكاشفاً وأنه سأل الله تعالى كفاف حاله
ما كان أحد يعلم أي شيء هو . توفي سنة ٥٩٥ .

(ابن طارق)

أحمد بن طارق بن سنان أبو الرضي الكركي الأصل البغدادي المولد
التاجر المحدث . سمع من أبي نصر موهوب بن الجواليقي وأبي الفضل بن
الأرموي وأحمد بن طاهر المهسي وجماعة غيرهم ، طول روايته وذكر من

روى عنه الذهبي ثم قال : قال ابن النجار : الا أنه كان غالباً في التشيع شحيحاً مقترأً على نفسه يشتري من لقم المكدين ويتبع المحدثين ليأكل معهم ولا يشعل في بيته ضواً وخلف تجارة تساوي ثلاثة آلاف دينار . مات في سنة ٥٩٢ وبقي في بيته اياماً لا يدرى به واكلت الفارة اذنيه وأنفه .

(القاضي الفاضل)

أبو علي بن القاضي الأشرف أبي الحسين اللخمي العسقلاني البيهقي مسودات رسائله لا تقصر عن مائة مجلد . قال الموفق عبد اللطيف : كان قليل النحو لكن له دربة قوية تعرض له قلة اللحن . وكان متقللاً في مطعمه ومنكحه وملبسه . لباسه البياض لا يبلغ جميع ما عليه دينارين . وكان فيه سوء خلق يكتمه ولا يظهره . توفي سنة ٥٩٦ .

(ابن بيان)

ذو الرياستين محمد بن محمد ذي الرياستين بن أبي الطاهر الأياري المصري أبو الفضل ، سمع من خلق وكتب الكثير بخطه ، وتولى ديوان النظر في الدولة المصرية . وتقلب في الخدم في الأيام الصلاحية . وكان القاضي الفاضل ممن يغشى بابه ويمتدحه ويفتخر بالوصول اليه . فلما جاءت الدولة الصلاحية قال القاضي الفاضل : هذا رجل كبير القدر يصلح أن يجرى عليه ما يكفيه ويجلس في بيته ففعل به ذلك . ثم انه توجه الى اليمن ووزر لسيف الإسلام ، ثم عاد وعليه ديون ثقيلة وأدى أمره الى ان جلس في الجامع الأزهر . وكان ينتقص القاضي الفاضل لا يراه بالعين الأولى والفاضل يقصر في حقه فيقصر الناس معه مراعاة له . وكان بعض من له عليه دين أعجمياً جاهلاً فصعد الى سطح الجامع وسفه عليه

وقبض على لحيته ■ ففر وألقى نفسه من سطح الجامع فتهشم وحمل الى داره
فبقي اياماً ثم مات سنة ٥٩٦ .

(ابن بصيلة)

عبد الله بن خلف بن رافع الحافظ ابو محمد بن بصيلة المكي الأصل
القاهري . كان حافظاً محصلاً عالماً بالتواريخ والوفيات ، وجمع مجاميع مفيدة
وشرع في تاريخ مصر وعجز عن اكماله لضيق ذات يده . توفي سنة ٥٩٨ .

(شميم)

علي بن الحسن بن عنبر الأديب ابو الحسن النحوي المعروف بشميم
الشاعر الحلي ■ قدم بغداد وتأدب بها على أبي محمد بن الخشاب وغيره
وحفظ كثيراً من أشعار العرب واحكم اللغة والغريبة ، وقال الشعر الجيد
إلا ان حمقه أخره . قال الذهبي : قرأت بخط محمد بن عبد الجليل الموماني
قال بعض العلماء : وردت الى آمد سنة ٥٩٤ فرأيت أهلها مطبقين على
وصف هذا الشيخ ، فقصدته ودخلت عليه فوجدته شيخاً كبيراً نحيف
ال جسم وبين يديه حملان مملوء كتباً من تصانيفه ، فسلمت عليه ثم قلت :
انما جئت لأقتبس من علومك شيئاً . فقال : أى علم تحب ؟ قلت : الأدب .
قال : ان تصانيفي في الأدب كثيرة وذلك ان الأوائل جمعوا أقوال غيرهم
وبوَّبوها وأما أنا فكل ما عندي من نتائج فكري ، فأننى قد عملت كتاب
الحماسة وابو تمام جمع اشعار العرب في حماسته وانا فعلت حماسة من شعري ■
ثم سب ابا تمام وقال : رأيت الناس مجمعين على استحسان خمریات أبي نواس
فعملت كتاب الخمریات من شعري ، ورأيتهم مجمعين على خطب ابن نباتة
فعملت خطباً . وجعل يزري بالمقدمين ويصف نفسه ويجهل الأوائل ويقول

ذاك الكلب قال كذا . قلت : فأنشدي شيئاً من شعرك ، فأنشديني من
الخمريات له فاستحسن ذلك فغضب وقال : ويلي ما عندك غير الإستحسان .
فقلت : فما أصنع ؟ قال : تصنع هكذا ، ثم قام يرقص ويصفق الى ان تعب
ثم جلس يقول : ما أصنع بهائم . ثم شطح في الكلام وقال : ليس في
الوجود إلا خالقان واحد في السماء وواحد في الأرض ، فالذي في السماء
هو الله تعالى والذي في الأرض انا . ثم التفت اليّ وقال : هذا لا يحتمله
العامة لكونهم لا يفهمونه ، انا لا اقدر على خلق شيء إلا خلق الكلام .
فقلت : يا مولانا انا محدث وان لم يكن في المحدث جرأة مات بغيظه وأحب
ان اسألك عن شيء ، فتبسم وقال : ما اراك تسأل إلا عن معضلة هات .
فقلت : لم سميت شميماً ، فشمي وقال : اعلم أنني بقيت مدة لا اتغوط ثم
يجيء كالبندقة من الطين ، فكنت آخذه وأقول لمن أنبسط اليه شمه فإنه
لا رائحة له ، فلقيت بذلك أرضيت يابن الفاعلة . قال ابن النجار : كان
اديباً مبرزاً في علم اللغة والنحو ، لكنه كان احمق قليل الدين رقعا يستهزئ
بالناس ولا يعتقد ان في الدنيا مثله ولا يكون أبداً . وحكى ابن العديم بسنده
انه كان لا يأكل الا التراب ، فكان رجيئه يجيء يابساً لا ريج له ، فيجعله
في جنبه فن دخل عليه اسمه اياه ويقول : قد تجوهرت . توفي سنة ٦٠١
وله عدة كتب كثيرة يطول ذكرها .

(الجزولى)

عيسى بن عبد العزيز بن بلبلخت بن عيسى العلامة ابو موسى الجزولى
اليزدكتي المراكشي النحوى ، حج ولزم العلامة عبد الله بن بري وأخذ
العربية عنه جماعة ، وكان علامة لا يشق غباره في النحو مع جودة التفهيم
وحسن العبارة ، وأتى في مقدمته بالعجائب حتى ان الشخص يعرف المسألة

من النحو معرفة جيدة واذا رآها في الجزولية يدور رأسه فيها ، واسم هذه المقدمة « القانون » ، وكان ينكر أنها له تورعاً لأنها نتائج بحوثه على ابن بري وبحوث رفقاؤه . وبلبلخت جده رجل بربري ، وجزولة بطن من البربر . قال الذهبي : وقرأت بخط محمد بن عبد الجليل الموقاني ان الجزولي قاسى بمدة مقامه بمصر كثيراً من الفقر ولم يدخل مدرسة . وكان يخرج الى الضياع يؤم يقوم فيحصل ما ينفقه في غاية الصبر . ورجع الى المغرب فقيراً مدقعاً ، فلما وصل الى المرية او نحوها رهن كتاب ابن السراج الذي قرأه على ابن بري وعليه خطه . فأنهى المرتين امره الى الشيخ ابي العباس المغربي أحد الزهاد بالمغرب ، وكان يصاحب بني عبد المؤمن . فأنهى ابو العباس ذلك الى السلطان فأمر بإحضاره وقدمه واحسن اليه . انتهى . وصنف كتاباً في شرح أصول ابن السراج واخذ عنه النحو ابو علي الشلوبين ويحيى بن معطي . توفي سنة ٦٠٧ .

(التاج الكندي)

زيد بن الحسن بن زيد بن الحسن العلامة تاج الدين أبو اليمن الكندي البغدادي المقرئ النحوي اللغوي ، أعلى أهل الارض أسناداً في القراءات . قال ابن النجار : كان أعلم أهل زمانه بالنحو ، أظنه يحفظ كتاب سيبويه ، ما دخلت عليه قط إلا وهو في يده يطالع فيه ، وهو في مجلد واحد بخط رفيع . والشيخ يقرأه بلا كلفة وقد بلغ التسعين . قال القفطي : كان بحلب يبتاع الخليع من اللبوس ويتجر به الى بلد الروم . ثم رقت به الحال وكان ليناً في الرواية معجباً بنفسه فيما يذكره ويرويه . اذا نوظر جبهه بالقبيح ولم يكن موفق العلم . رأيت له اشياء باردة . قال : واشتهر عنه انه لم يكن صحيح العقيدة . قال الموفق عبد

اللطيف : كان معجباً بنفسه مؤذياً لجلسه . توفي سنة ٦١٢ .

(ياقوت)

ابن عبد الله شهاب الدين الرومي الحموي البغدادي الإمام النحوي اللغوي الأخباري . صنف كتاب معجم البلدان ، وكتاب معجم الأدباء ، وارشاد الألباء الى معرفة الأدباء في اربع مجلدات ، وأخبار الشعراء المتأخرين ، ومعجم الشعراء ، وكتاب المشترك وضعاً مختلف صقلاً ، وكتاب المبدأ والمآل في التاريخ ، وكتاب المقتضب في النسب . اتفق له مرة أنه تنقص علياً رضى الله عنه فثار عليه الناس وكادوا يقتلونه فهرب الى حلب ثم الى الموصل واربل ودخل خراسان واستوطن مرو يتجر ، ثم دخل خوارزم فصادفه خروج التتار فانهزم بنفسه وقاسى شدائد وتوصل الى الموصل وهو فقير دأثر . قال الذهبي : قال جمال الدين القفطي في تاريخ النحاة له انه كتب اليه رسالة من الموصل شرحاً لما تم على خراسان ، ومنها « كان المملوك لما فارق مولاه اراد استعتاب الدهر الجامع واستدراار حلب الزمان الجامع اضتراراً بأن الحركة بركة والإعتراب داعية الإكتساب فامتطى غارب الأمل الى الغربية وركب ركوب التطواف مع كل صحبة ، فلم يرث له دهره الخؤن ولا رق له زمانه المفتون .

إن الليالي والأيام لو سئلت عن عيب أنفسها لم تكتم الخبرا وهيئات مع حرفة الأدب هلوغ وطر أو إدراك أرب ، ومع عبوس الحظ ابتسام الدهر الكظ ، ولم ازل مع الدهر في تنفيذ وعتاب حتى رضيت من الغنيمة بالإياب » وهي طويلة . توفي ٦٢٦ .

(ابن معطي)

يحيى بن عبد النور الشيخ زين الدين أبو الحسين الزواوي المغربي النحوي الحنفي « صنف في الأدب والنحو والعروض وحمل الناس عنه ، وكان إماماً مبرزاً في علم اللسان شاعراً محسناً » وكان أحد الشهود بدمشق وليس له من طرق الكسب ما يقوم بكفايته كما قال الحافظ الذهبي « فحضر مع العلماء عند الملك الكامل ، وكان له طرف من النحو ، فسأله فقال « زيد ذهب به » هل يجوز في زيد نصب ؟ فقالوا : لا . فقال : ابن معطي يجوز النصب على أن يكون المرتفع بذهب المصدر الذي دلّ عليه ذهب وهو الذهاب « وعلى هذا فوضع الجار والمجرور الذي هو به النصب « فيجيء من باب زيد مرت به « اذ يجوز في زيد النصب فكذلك ههنا . فاستحسن السلطان جوابه وأمره بالسفر معه الى مصر ، فسافر وقرر له معلوماً . قال الذهبي : فلم تطل مدة حياته فتوفى سنة ٦٢٨ .

(ابو حامد الاسفرايني)

أحمد بن محمد بن أحمد الإسفرايني الشيخ أبو حامد بن أبي طاهر « شيخ طريقة العراق بل إمام المذهب على الإطلاق ، شيخ الإسلام والمسلمين قاطبة ورحلة الطلاب « طبق الشيخ أبو حامد الأرض بالأصحاب وجمع مجلسه ثلاثمائة متفقه ، واتفق الموافق والمخالف على تفضيله حتى قال أبو الحسين القدوري : هو عندي أفقه أو أنظر من الشافعي « وافق وهو ابن سبع عشرة سنة وقام يفتي الى ثمانين سنة « انتهت اليه رئاسة الدين والدنيا حتى انه قال للخليفة : انك لست بقادر على عزلي من ولايتي التي أولاني الله تعالى إياها وأنا قدر ان اكتب الى خراسان بكلمتين او ثلاثة

أعزلك عن خلافتك ، وارسل الى مصر فاشترى أمالى الشافعي بمائة دينار
قال السبكي في الطبقات عن سليم الرازي : ان الشيخ أبا حامد كان
يحرس في درب كان يطالع في زيت الحرس ويأكل من أجرة الحرس .
توفي في شوال سنة ٤٥٦ .

(ابن عنين)

محمد بن نصر الله بن مكارم بن الحسين بن عنين الأديب الرئيس
شرف الدين ابو المحاسن الأنصاري الكوفي الدمشقي الشاعر المشهور ، سمع
من الحافظ أبي القاسم بن عساكر ، كان غزير المادة مطلعاً على اشعار
العرب ، واشتغل على القطب النيسابوري والفخر الرازي وجال في البلاد
ومدح الملوك والوزراء وهجا الصدور والكبراء ، أقامه الملك المعظم مقام
نفسه في ديوانه فأحسن السياسة ، إلا انه في الأخير ظهر منه سوء اعتقاد
وطعن في السلف واستهتار بالشرعة وكبر عسفه وظلمه وترك الصلاة
وسب الأنبياء صلوات الله عليهم ، ولم يزل يستورد الخمر الى ما قبل
وفاته بقليل . توفي سنة ٦٣٠ .

(ابن حمويه اليزدي)

علي بن أحمد بن الحسين بن أحمد بن الحسين حمويه الإمام ابو الحسن
اليزدي الشافعي المقرئ المحدث نزيل بغداد ، حدث عن خلق ذكرهم
الحافظ الذهبي وذكر من روى عنه . قال : وقرأت بخط احمد بن شافع
أن مصنفاته زادت على خمسين مصنفاً . قال ابو سعيد السمعاني : فقيه
فاضل سخي النفس بما يملك ، كان له عمامة وقيص بيته وبين أخيه اذا
خرج ذلك قعد هذا واذا خرج هذا قعد الآخر ، هكذا ترجمه الذهبي

وطول في ترجمته فذكر مشيخته وكراماته إلا انه قال : زاهد . توفي سنة ٥٥١ .

(نفطويه)

ابراهيم بن عرفة ابو عبد الله النحوي المعروف « أخذ العربية عن المبرد وثلعب ومحمد بن الجهم » وخلط نحو الكوفة بنحو البصرة ، وتفقه على مذهب داود بن علي الظاهري « ومن تصانيفه كتاب التاريخ ، غريب القرآن « المقنع في النحو » المصادر ، الوزراء . وغير ذلك . وكان مع كونه من أعيان العلماء غير مكترث بإصلاح نفسه ، وكان يفرط به الصنان فلا يعره « وحضر يوماً مجلس وزير المقتدر حامد بن العباس « فتأذى هو وجلساؤه من صنانه فطلب الوزير مرتكاً فبدأ بنفسه واداره على الجماعة فتمرتكوا وفطنوا مراده ، فقال نفطويه : لا حاجة لي به . فراجعه فأبى فاحتد حامد وقال : عاص كذا من امه انما تمرتكننا من أجلك فإننا تأذينا بصنانتك قم لا أقام الله لك وزناً ، أخرجوه وأبعدوه ببغداد . توفي سنة ٣٢٣ ولقب نفطويه لرمامته وأذيته تشبيهاً بالنفط .

(إمام الاثمة ابن خزيمة)

محمد بن اسحاق بن خزيمة إمام الاثمة ابو بكر السلمي النيسابوري المجتهد المطلق البحر العجاج ، روى عن خلائق وروى عنه الأثمة البخاري ومسلم ويحيى بن محمد بن صاعد وغيرهم . قال الحاكم : سمعت أبا عمرو ابن اسماعيل يقول : كنت في مجلس ابن خزيمة فاستمد مدة فناولته القلم ببساري اذ كانت يميني قد اسودت من الكتابة ، فلم يأخذ القلم وأمسك فقال بعض اصحابه : لو ناولت الشيخ بيمينك فقد امتنع من ان يأخذ

من يسارك ، فأخذت القلم بيمينني وناولته اياه فأخذه مني . وقد أطل الحاكم في تاريخ نيسابور ترجمته بما لا مزيد على حسنه . قال السبكي في الطبقات قال ابو أحمد الدارمي : كان له قميص يلبسه وقيص عند الخياط ، فاذا فرغ الذي يلبسه وهبه وغدوا الى الخياط وجاؤا بالقميص الآخر . وقيل له يوماً : لوحقت شعرك في الحمام ؟ فقال : لم يثبت عندي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل حماماً قط ولا حلق شعره انما تأخذ شعري جارية بالمقراض . توفي سنة ٣١١ .

(ابو عمر غلام ثعلب)

محمد بن عبد الواحد الزاهد المعروف بغلام ثعلب ، أحد أئمة اللغة المشاهير المكثرين ، صحب ابا العباس ثعلباً فعرف به . وله تصانيف كثيرة وكان لسعة روايته وحفظه يكذبه أدباء زمانه في اكثر نقل اللغة ويقولون لو طار طائر يقول ابو عمر حدثنا ثعلب عن ابن الأعرابي ويذكر في معنى ذلك شيئاً . وكان أغلب تصانيفه من حفظه حتى انه امل في اللغة ثلاثين ألف ورقة فلهذا الإكثار نسب الى الكذب . قال الملك المؤيد صاحب حماه في تاريخه : وكان اشتغاله بالعلوم قد منعه من اكتساب الرزق فلم يزل مضيقاً عليه . توفي سنة ٣٤٥ .

(ابو الوقت السجزي)

عبد الأول بن عيسى بن شعيب بن ابراهيم بن اسحاق أبو الوقت السجزي الأصل الهروي الصوفي ، مسند العصر ورحلة الدنيا . روى عن خلائق وروى عنه امم لا يحصون . حكى عن والده انه اخذه ماشياً من هراة الى بوشبخ ليسمعه الحديث وكان ابوه ايضاً ماشياً ، فكان اذا أعيا

حمله على كتفه وعمره اذ ذاك دون عشر سنين . قال : وكنا نلتقي على أفواه الطرق فلاحين فيقولون : يا شيخ عيسى ادفع الينا هذا الطفل نركبه واياك . فيقول : معاذ الله أن يركب في طلب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : فلحسن نية الوالد صارت الوفود ترحل الي من الأمصار . توفي سنة ٥٥٤ .

(ابن نباتة السعدي)

ابو نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي ، أديب فضله تام وروض علمه زاهر ، اصفى عليه حرمانه ولم يسعفه زمانه ، ورد على ابي الفضل ابن العميد وامتدحه بقصيدته التي أولها :

بحر اشتياق وادكار ولهيب انفاس حرار
ومدامع عبراتها ترفض عن نوم مطار
لله قلبي ما يحن من الهموم وما يوارى
وكبرت عن وصل الصفا روماسلوت عن الكبار

ومنها :

لم يبق لي عيش يلد سوى معانقة العقار
واذا استهل قتي العميد تضاحكت ديم القطار
حر صفت اخلاقه صفو السبيك من النضار

فتأخرت صلته فشفع هذه القصيدة بأخرى وأتبعها برقعة فلم يزدها ابن العميد غير الإهمال ، فتوصل الى أن دخل عليه ومجلسه محتفل بالأعيان فأشار بيده اليه وقال : أيها الرئيس إني لزمك لزوم الظل وذللت لك ذلّ النعل وأكلت التوى المحرق انتظاراً لصلتك ، ووالله ما بي الحرمان ولكن شماتة قوم نصحبوني فاغتششتهم وصدقوني فاتهمتهم فبأى وجه

ألقاهم ، فان كان للنجاح علامة فأين هي وما هي . إن الذي تحسدكم على ما مدحوا به كانوا من طينتكم وان الذين هجوا كانوا مثلك ، فراحم بمنكبيك أعظمهم سناءً وأنورهم شعاعاً . فحار ابن العميد وشده وأطرق ساعة ثم قال : هذا وقت يضيق عن الإطالة منك في الإستزادة وعن الإطالة منا في المَعذرة . واذا ترامينا ما دفعنا اليه استأنفنا ما نتحامد عليه فقال ابن نباتة : هذه نفثة مصدور والغني اذا مظل لثيم . فاستشاط ابن العميد وقال : والله ما استوجبت هذا العتب من أحد من خلق الله . ولست ولي نعمتي فأحتملك ولا صنيعتي فأغضي عنك ، وان بعض ما أقررت في مسامعي تنقض منه مرة الخليم ويبدد شمل الصبر . هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدحي . فقال ابن نباتة : لما جلست في صدر أيوانك بأبهتك وقلت « لا يخاطبني أحد الا بالرياسة » دعوتني بلسان الحال وان لم تدعني بلسان المقال . فثار ابن العميد مغضباً ودخل حججته وتعوص المجلس ، وسمع ابن نباتة ذاهباً وهو يقول : والله ان سف التراب والمشي على الجمر أهون من هذا ، فلعن الله الأدب إن كان بائع مهيناً له ومشتريه مماكساً فيه ، فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه علمه التمسه ليعتذر اليه فكأنما غاص بين سمع الأرض وبصرها ، فكان حسرة في قلب ابن العميد الى ان مات - ملخصاً من ابن خلكان .

(الزبيدي)

محمد بن يحيى بن علي بن مسلم القرشي الزبيدي الواعظ أبو عبد الله كان له معرفة بالنحو والأدب . قال الذهبي : قال احمد بن صالح بن شافع كان له في علم الأصول وعلم العربية حظ وافر . وصنف كتباً في فنون العلم تزيد على مائة تصنيف . قال الحافظ الذهبي : وكان صبوراً على الفقر

معتقاً حنفي المذهب . قال ابو الفرج ابن الجوزي : حدثني الوزير ابن هبيرة قال : جلست مع الزبيدي من بكرة الى قريب الظهر وهو يلوك شيئاً في فيه . فسألته فقال : لم يكن لي شيء فأخذت نواة أتعلل بها . قال ابن السمعاني : كان فينا عجباً يخضب بالحناء ويركب حمراً مخضوباً ويعط ويحبه بالحق . توفي سنة ٥٥٥ .

(ابو النجيب السهروردي)

عبد القاهر بن عبد الله بن محمد الشيخ ابو النجيب السهروردي الصوفي الواعظ الفقيه الشافعي . قال الذهبي : الزاهد حفظ كتاب الوسيط في التفسير للواحدوي وسمع كتب الحديث المشهورة وتفقه على اسعد الميمني وتأدب على الفصيحى وكتب عنه ابو سعد السمعاني . قال ابن النجار : انبأنا يحيى بن القاسم التكريتي انبأنا ابو النجيب قال : كنت ابقى اليوم واليومين لا استطعم بزاد ، وكنت أنزل الى دجلة وأتقلب في الماء حتى يسكن جوعي ، حتى دعيت الحاجة الى ان اتخذت قربة وكنت استقي بها الماء لأقوام . فلما تعذر ذلك في الشتاء خرجت الى بعض الأسواق فوجدت رجلاً بين يديه طبرزين وعنده جماعة يدقون . فقلت : هل لك ان تستأجرني . فقال : أرني يدبك فأريته فقال : هذه يد لا تصلح الا للقلم . ثم ناولني قرطاساً فيه ذهب . فقلت : ما آخذ إلا اجره عملي وكان رجلاً يقطاً فقال : اصعد . وقال لعلامه : ناوله تلك المدقة ، فناولني فدققت معهم فلما عملت ساعة قال : تعال . فجئت اليه فناولني الذهب وقال : هذه أجرتك . فأخذته وانصرفت ثم وقع في قلبي الإشتغال فاشتغلت . ثم قال ابن النجار : ثم وعظ على أصحابه بخربة على دجلة يحضره الرجل والرجلان الى ان اشتهر اسمه وصار له القبول عند الملوك وزارته السلاطين وبنى تلك

الحربة رباطاً وبني الى جانبها مدرسة ، ثم ولى التدريس بالنظامية وعزل عنها بعد سنتين . توفى سنة ٥٤٥ .

(الميداني)

احمد بن محمد بن احمد بن ابراهيم ابو الفضل الميداني ، صاحب الأمثال « تلميذ أبي الحسن الواحدي » واشتمل كتابه في الأمثال على ستة آلاف مثل ، ولما وقف عليه الزمخشري حسده فزاد في لفظة الميداني نوناً قبل الميم فصار الميداني « وهو بالفارسية الذي لا يعرف شيئاً » فعمد الى تصنيف الزمخشري وعمل الميم نوناً فصارت الزمخشري وهو بالفارسية بائع زوجته . قال محمد بن المعالي في كتابه ضالة الأديب من الصحاح والتعذيب: سمعت أكاير أصحاب الميداني يقولون : لو كان للوفاء والشهامة والفضل صورة لكان الميداني صورتها . ومن نظمه رحمه الله تعالى :

شفة لماها زاد في آلامى في رشف ريقها شفاء سقامى
قد ضمنا جنح الدجى ولثمنا صوت كقطك ارؤس الاقلام
توفي سنة ٥٣٩ .

(ابو العلاء الهمداني)

الحسن بن أحمد بن الحسن بن أحمد الحافظ ابو العلاء الهمداني العطار المقرئ الحنبلي المحدث شيخ مدينة همدان « أربى على أهل زمانه في كثرة السماعات وتحصيل الأصول ، وبرع على حفاظ عصره في حفظ ما يتعلق بالحديث من الأنساب والتواريخ والأسماء والكنى والقصص والسير . قال الحافظ عبد القادر الرهاوى : شيخنا الإمام ابو العلاء أشهر من ان يعرف بل تعذر وجود مثله في أعصار كثيرة » سمعت أن من جملة محفوظاته

كتاب الجماهرة « رآني يوماً وعلى رأسي قلنسوة مكشوفة فقال : لاتلبسها مكشوفة فان اول من أظهر لبس القلانس مكشوفة ابو مسلم الخراساني » ثم شرع في ذكر أبي مسلم فذكر أحواله من أولها الى آخرها . وجاءته مرة فتوى في امر عثمان ، فأخذها وكتب فيها من حفظه ونحن جلوس درجاً طويلاً ذكر فيها وفاته وسنه ومولده وأولاده وما قيل فيه الى غير ذلك . وكان من أبناء التجار وورث مالا فأنفقه في طلب العلم حتى سافر الى بغداد واصبهان مرات كثيرة ماشياً وكان يحمل كتبه على ظهره » وسمعت يقول : كنت أبيت ببغداد في المساجد وأكل خبزاً أدهن ، وسمعت شيخنا أبا الفضل الأديب الهمداني يقول : رأيت الحافظ أبا العلاء في مسجد من مساجد بغداد يكتب وهو قائم على رجله لأن السراج كان عالياً » ثم نشر الله ذكره في الآفاق وعظم شأنه عند الملوك والعوام » حتى انه كان يمر في همدان فلا يبقى أحد يراه إلا قام ودعا له حتى الصبيان واليهود . توفي سنة ٥٦٩ .

(ابن مكتوم)

صاحب الدر اللقيط تلميذ ابي حيان احمد بن عبد القادر بن احمد ابن مكتوم القيسي الحنفي تاج الدين الإمام النحوي المحدث المؤرخ ، صاحب التصانيف المفيدة فيها : تاريخ النحويين ، وكتاب الحيل ، وكتاب الدر اللقيط الذي انتقاه من البحر المحيط لأبي حيان » ومنها شرح نصريف ابن الحاجب ، واختصار تاريخ القفطي » وشرح فصيح ثعلب » وله مجاميع حسنة بخطه . ورأيت بخط العلامة نور الدين الأبياري أشياء حسنة يذكر أنه نقلها من خطه . قال ابن مكتوم ومن خطه نقلت : اذكر مرة وقد حمل الحسد على العلم بعض من ابتلاه الله بالجهل ممن كان يجالسني من

الشهود على ان تأليب عليّ وأعانه على ذلك نوبس من أشكاله ، فاجتمع عنده نحو الخمسة منهم وكتب هو بخطه رسماً نسبني فيه الى الوقوع فيما يعلم الله براءتي منه وقدمه اليهم ليشهدوا فيه عليّ زوراً بما تضمنه ، فأراد كل منهم أن يتقدمه غيره الى ذلك وجبنوا وألقى الله الرعب في قلوبهم وضرب عليهم الذلة والمسكنة ، فتفرقوا من فورهم خاملين وصاروا عن قليل بعد الصحبة الأكيدة متعادين يذكر كل منهم عن الآخر ما اذا سمعه أحزنه وغمه ، ولا يرقب في شتمه واغتيابه إلاّ ، ولاذمه ، فالحمد لله الذي كفاني شرهم وجعل محل كيدهم نحرهم ، وحتى بلغني ذلك من بعضهم ومن آخرين سواهم فلم اعتب احداً منهم على ما فعله ، إذ داء الجسد كما علم لا دواء له ، فقال :

سوى وجع الحساد داء فانه اذا حل في قلب فليس يحول
وقال محمد بن عيسى بن حمدان القرطبي :

كن من اخ في فؤاده دغل اخوف من كاسح يجاهده
برء السقام الخفي اعسر من برء سقام بدت شواهده
- انتهى ما أردت نقله من خطه ، وجدت بخطه مجموعاً ومنه نقلت ما كتبت هنا ، وهو مكتوب في ظهور الحجج والوثائق التي تجتمع عند الشهود بحيث انه صار مقسوماً صفحتين صفحتين بين كل ظاهرين باطنان فيها الوثيقة ، وهذا إما عن فقر عظيم أو عن شح عظيم ، وأياً ما كان فهو مستحق للذكر في هذا الفصل .

(ابن خالويه)

الحسين بن أحمد بن حمدان بن خالويه الهمداني اللغوي المقرئ النجوي ابو عبد الله ، أحد العلماء المشهورين والأدباء المصنفين ، ومن

تصانيفه : كتاب الإشتقاق ، وكتاب الجمل في النحو ، وكتاب القراءات وكتاب إعراب ثلاثين سورة من القرآن ، وكتاب المقصور والممدود ، وشرح شعر أبي فراس الحمداني وغير ذلك . قرأت بخط العلامة ابن مكتوم انه كان يلقب بذي النونين لأنه كان يطولها في خطه وهما نون الحسين ونون ابن . قال : وقد رأيتها طويلتين في آخر كتاب الجمرة بخطه وقد طولها جداً كما ذكر عنه ، ووجد على نسخة من إصلاح المنطق بخط أبي الحسن علي بن عبد الله بن أحمد البزار ما مثله لما فرغت من هذا الجزء كان أبو سعيد العطاردي حاضراً فقال علي لساني :

قرأت ما فيه علي الحسين قراءة صدق لم تشب بمين
مستفهم الشكل مرتين فجاء كالمسك علي لجين
أو كعدار فوق عارضين حتى اذا ما تم لي باون
شرفني الاستاد بالنونين .

قال ابن مكتوم كما نقلته من خطه : وكان ابن خالويه على إمامته في اللغة ضعيفاً في النحو وعلمه ضعيفاً في التصريف ، وله في ذلك مع أبي علي الفارسي وتلميذه أبي الفتح بن جني حكايات معروفة . ويحكى أن أبا الطيب المتنبي لما أنشد سيف الدولة ابن حمدان قوله :

« وفاؤكم كالربيع أشجاء طاسمه . »

قال له ابن خالويه : انما يقال « أشجاء » لا أشجله توهمه فعلا ماضياً فقال له المتنبي : أسكت فما وصل الأمر اليك . وجرى بينه وبين الفارسي كلام فقال ابن خالويه : نتكلم في كتاب سيبويه : فقال له الفارسي : لا بل نتكلم في الفصح . ولأبي علي الفارسي في تغليظه كتاب نقض الهادور قلت : وانت اذا وقفت على ضعفه في العربية وقفت على سر الحكاية المشهورة عنه وانها ليست من هضم النفس في شيء ، وهي انه قال له

رجل : أشتهى ان أتعلم من العربية ما أقيم به لساني . فقال : أنا منذ
خسين سنة أتعلم النحو ما تعلمت ما أقيم به لساني . توفي سنة ٣٧٠ .

(ابن الجصاص)

المتمول الصدر الرئيس ابو عبد الله الحسين بن عبد الله الجصاص
البغدادي الجوهري التاجر السفار . وقال ابن طولون : لا يباع لنا شيء
إلا على يد ابن الجصاص . صادره المقتدر في سنة ٣٠٢ فأخذ له من
الذهب والجوهر ما قوم بأربعة آلاف دينار . وقال ابن الجوزي في المنتظم
اخذوا له ما مقداره ستة عشر ألف ألف دينار عيناً وورقاً وخيلاً وقماشاً
ويحكى عنه بله وتغفل « مر به صديق له فقال : كيف انت ؟ فقال ابن
الجصاص : الدنيا كلها محمولة وكان قد حم . ونظر مرة في المرأة فقال
لصاحبه : ترى لحيتي قد طالت . فقال : المرأة في يدك . قال :
الشاهد يرى مالا يرى الغائب . ودخل يوماً على الوزير ابن الفرات فقال
عندنا كلاب يحرموننا ننام . فقال الوزير : لعلمهم جراء . فقال : بل
كل واحد قدي وقدي . وفرغ من الأكل فقال : الحمد لله الذي لا يخلف
بأعظم منه . وأراد ان يقبل يوماً رأس الوزير فقال : ان فيه دهناً
فقال : أقبله ولو أن فيه خيراً . ووصف يوماً مصحفاً قديماً فقال :
كسروي . توفي سنة ٣١٥ :

(الأديب ابو بكر بن بقي)

ترجم له صاحب قلائد العقيان فقال : نبيل النثر والنظام « قليل
الإرتباط والإنتظام ، ضناً عليه حرمانه وما صفا له زمانه « فصار قعيد
صهوات وقاطع فلوات « مع توهم لا يطفئه بأمانه ومن نظمه الرقيق المعاني

عاطيته والليل يسحب ذيله صهباء كالمسك العتيق لناشق
 حتى اذا مالت به سنة الكرى زحزحته شيئاً وكان معاني
 باعدته عن أضلع تشتاقه كي لا ينام على وساد خافق
 وله من قصيدة :

ولكن ما جدى صبا غير لاقح يسد طريق المزن عن ارضي الفل
 أخلاى والآدب تجمع بيننا وبعض طباع لست اقضى على كل
 ذوى أملى عند اهتزاز عصوبة وارخصني الدهر الذي كان بي على
 ومنها :

وامدحهم ما حسبي الله كاذباً فيجزوني بالمنع شكلاً على شكل

(أبو الحسن)

علي بن احمد بن نونحت ، كان أديباً مجيداً إلا انه كان قليل الحظ
 من الدنيا ، لم يزل رقيق الحال ضعيف المقدرة حتى توفي بمصر في شعبان
 سنة ٤١٦ ، وهو على حاله من الضرورة وشدة الفاقة ، فكفنه ابو محمد
 ابن حيران متولى كتب السجلات بمصر :

(الصولي)

أبو بكر بن محمد بن يحيى بن عبد الله المعروف بالصولي ، أحد
 الأدباء الفضلاء المشهورين ، روى عن أبي داود السجستاني والمبرد وغيرهم
 وروى عنه الدار قطني والمرزباني ، وله التأليف المشهورة ، وكان اواحد
 وقته في لعب الشطرنج وبه يضرب المثل فيه ، خرج من بغداد لاضافة
 لحقته فتوفي سنة ٣٣٥ .

(ابن ظفر)

ابو عبد الله محمد الصقلي ، له التصانيف المتعددة منها : سلوات المطاع ■ وخير البشر ■ وأنباء نجباء الأبناء ، والينبوع في التفسير ، وشرح مقامات الحريري ■ والحاشية على درة الغواص - ذكره العماد في الحريدة ولم يزل يكابد الفقر حتى مات . قيل انه زوج ابنته بجاه من غير كفاء للضرورة ■ فرحل بها الزوج عن حماه وباعها في بعض البلاد . توفى سنة ٥٧٥

(ابن السكيت)

ابو يوسف يعقوب بن اسحاق بن السكيت الإمام اللغوي النحوي ■ كان اول الأمر يؤدب اولاد العامة ببغداد بدرب القنطرة ■ ثم أدب ولدا بن طاهر والمتوكل وجعفر . قال الحسين بن عبد الحبيب : سمعت يعقوب بن السكيت في مجلس أبي بكر بن شبة يقول :

ومن الناس من يحبك حباً ظاهر الحب ليس بالتقصير

فاذا ما سأله نصف فلس لحق الحب باللطيف الخبير

قيل : ان المتوكل قتله ، وذلك أن المتوكل امره بشتم رجل من قريش فلم يفعل فأمر القرشي ان ينال منه ففعل فأجابه يعقوب ■ فلما أجابه يعقوب قال له المتوكل : امرتك ان تفعل فلم تفعل فلما شتمك فعلت ■ فأمر بضربه فحمل من عنده صريعاً مقتولاً . ووجه المتوكل الى بني يعقوب من الغد عشرة آلاف درهم - قاله الابياري في زهرة الألباء.

(الأديب ابو جعفر)

ابن المثنى ، ترجم له صاحب قلائد العقيان فقال : رافع راية

القرىض وصاحب آية التصريح والتعريض ، أقام شرائعه وأظهر روائعه وجعل عصيه طائعه ، وكان أليف غلمان وحليف كفر لا إيمان « ما نطق متشرعاً ولا رتق متورعاً ولا اعتقد حشراً ولا صدق بعثاً ولا نشراً ، وربما تنسك مجوناً وفتكاً وتمسك باسم التقى وقد هتك هتكاً لا يبالى كيف ذهب ولا بما تمذهب ، وقد اثبت له ما يرتشفه ريقاً ويلجؤ الأوان منه شروقاً » فن ذلك قوله :

كيف لا يزداد قلبي من جوى الشوق خبالاً
واذا قلت علي بهر الناس جمالاً
هو كالغصن وكالبند ر قولماً واعتدالاً
ان من رام سلوى عنه قد رام محالاً
لست اسلو عن هواه كان رشداً او ضلالاً

ولما اشتهر عند ناصر الدولة ما تقرر وتردد على مسامعه انتهكه وتكرر أخرجه ونفاه وطمس رسم فسوقه وعفاه .

(الامام أبو سهل الصعلوكي)

محمد بن سليمان بن محمد بن سليمان بن هارون الحنفي نسباً من بني حنيفة العجلي الإمام أبو سهل الصعلوكي ، شيخ عصره وإمام الدنيا في الفقه والتفسير والأدب واللغة والنحو والشعر والكلام والتصوف وغير ذلك من أصناف العلوم . وعن الصاحب أبي القاسم بن عباد لم تر خراسان مثله ولا رأى هو مثل نفسه « لقي أبا بكر بن خزيمة وأبا العباس الماسرخسي الثقفي وغيرهم » ومن الصوفية الرئيس الشبلي وأبى علي الثقفي وغيرهم . وحكي عنه أنه قال : ما مرت بي جمعة إلا ولي علي الشبلي وقفة أو سؤال ، وأنه قال : دخل الشبلي علي أبي اسحاق المروزي فرآني عنده فقال :

هذا المجنون من اصحابك لابل من اصحابنا . وعن الشيخ ابي عبد الرحمن السلمي انه قال : قلت للاستاذ ابي سهل في كلام جرى بيننا : لم ؟ فقال لي : أما علمت انه من قال لاستاذه لم لم يفلح ابداً . قال السبكي في الطبقات قال الاستاذ ابو القاسم القشيري : سمعت ابا عبد الرحمن السلمي يقول : وهب الأستاذ ابو سهل جبته من انسان في الشتاء ، وكان يلبس جبة النساء حين يخرج الى التدريس اذ لم يكن له جبة اخرى . فيقدم الوفد المعروفون من فارس وفيهم من كل نوع امام من الفقهاء والمتكلمين والنحويين . فأرسل اليه صاحب الجيش ابو الحسن وأمره ان يركب لاستقبالهم ، فلبس دراعة فوق تلك الجبة التي للنساء وركب . فقال صاحب الجيش : انه مستخف بي أمام البلد يركب في جبة النساء . ثم ناظرهم فغلبهم اجمعين في كل فن . توفي في ذي القعدة سنة ٣٦٩ وصلى عليه ابنه ابو الطيب ودفن في المجلس الذي كان يدرس فيه .

(الغزي)

ابو اسحاق ابراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد الكلبي الغزي الشاعر المشهور . ذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه وقال : انه دخل دمشق ثم بغداد وأقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة ومدح ورثى ، ثم رحل الى خراسان وانتشر شعره هناك وأثنى عليه . وذكره العماد الكاتب في الخريدة واثني عليه وقال : انه جاب البلاد وتغرب واكثر التنقل والحركات وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان ، ولقي ناصر الدين بن مكرم بن العلاء وزير كerman ومدحه بقصيدته البائية التي يقول فيها :

حملنا من الأيام ما لا نطقه كما حمل العظم الكسير العصائب

ومنها في قصر الليل :

وليل رجونا أن يدبّ عذاره فما اختط حتى صار بالفجر شعائبها
ومن شعره :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب الدواعي والبواعث مغلق
خلت الديار فلا كريم يرتجى منه النوال ولا مليح يعشق
ومن العجائب ان نراه كاسداً ويخآن فيه مع الكساد ويسرق
ومن شعره :

وخز الأسنة والخضوع لناقص امران في ذوق النهى مران
والرأي ان تختار فيما دونه ال مران وخز أسنة المران
ومن شعره :

من آلة الدست ما عند الوزير سوى تحريك لحيته في حال إيماء
فهو الوزير ولا أزر يشدّ به مثل العروض له بحر بلا ماء
وله :

وجف الناس حتى لو بكينا تعذر ما تبل به الجفون
فما تندى للمدوح بنان ولا يندى للمهجوّ جبين
ولد بغزة وتوفي وقد جاوز التسعين ودفن ببلخ سنة ٥٣٤ .
ومن نظم الغزي :

قالوا بعدت ولم تقرب فقلت لهم بعدي عن الناس في هذا الزمان حجا
إذا أخرجوك لم يخرجك عن كرب حسدت من كان جليس البيت ما خرجا
كم عالم لم يلج بالقرع باب غنى وجاهل قبل قرع الباب قد ولجا
فعدت في البيت اذ ضيعت منتظراً من رحمة الله بعد الشدة الفرجا

قال المصنف رحمه الله : (تنبيه) قال كاتبه ومصنفه احمد بن علي
الدلجي عافاه الله من الفلاكة مها وجدت في ترجمة عالم او شاعر أنه طاف
البلاد وجال وتنقل فاحكم عليه ما لم يكن محدثاً بأنه في غاية الفلاكة »

وهذا أمر يصححه عندي الذوق والوجدان ولا أشك فيه ، وأنا اقطع
بأن التنقل من لوازم الفلاكة وما خرج أحد من بلد ويمكنه الإقامة فيها
والله اعلم ..

(الفارابي)

محمد ابو نصر بن محمد بن أوزلغ بن طرخان من مدينة فاراب
من بلاد الترك ، كان اماماً فاضلاً وفيلسوفاً كاملاً برع في الفلسفة واتقنها
وأظهر محاسنها وتفنى في فن الموسيقى واخترع فيه ما لم يسبق اليه ، وشرح
كتب الأوائل . كان في أول الأمر قاضياً ببلاده فأودع عنده رجل من
التجار جملة من كتب ارسطاطاليس فنظر فيها فصادفت منه قبولاً فترك
القضاء واكب عليها بحملته وتجرد وسافر الى بغداد وأقام بها وقرأ بها
المنطق على يوحنا بن حبلان ، وقرأ النحو على ابي بكر بن السراج ثم
سافر الى مصر ثم رجع الى دمشق وأقام بها الى ان مات . قال ابو
الحسن الآمدي : كان الفارابي مقتنعاً باليسير من الرزق ، وكان في اول
امره ناطوراً ببستان بدمشق وهو في مثل هذه الحالة ملازم للاشتغال ليله
ونهاره . وكان في اكثر لياليه يستضيء على المطالعة بقنديل الحارس . ولم
يزل كذلك حتى ظهر فضله وكثرت تلامذته واجتمع به الأمير سيف
الدولة ابو الحسن علي بن عبد الله العلبي فأكرمه وأوسع عليه ، فلم يقبل
منه سوى اربع دراهم فضة في اليوم يصرفها في الضروري من عيشه .
ومن دعائه : « اللهم ألبسنني حلل البهاء وكرامات الأنبياء وسعادة الأغنياء
وعلوم الحكماء وخشوع الأتقياء » ومن شعره :

بزجاجتين قطعت عمري وعليها عولت امرى

فزجاجة ملئت بحبر وزجاجة ملئت بخمر

فبذى أدون حَكَمِي وبذى ازيل هموم صدرِي
 وكان يرى الإنفراد على شرب الخمر ولا يحب المنادمة عليها .
 توفي رحمه الله في شهور سنة ٣٣٤ . نقلت ذلك كله من عيون الأنباء في
 طبقات الأطباء مما اختاره الحسن ابن احمد بن زفر الاربلي الشافعي من
 تاريخ ابن اصبعة .

(الهروي)

صاحب الغريبين ابو عبيد احمد بن محمد بن محمد بن عبيد العبدِي
 الهروي القاشاني من كبار العلماء ، أخذ عن أبي منصور الأزهري اللغوي ،
 وكتابه المذكور فسر فيه غريب القرآن وغريب الحديث النبوي وسار في
 الآفاق ، قال ابن خلكان : وقيل انه كان يحب البذلة ويتناول في الخلوة
 ويعاشر اهل الادب في مجالس اللذة والطرب بعفا الله عنه . وقد أشار
 البخارزي في ترجمة بعض أدباء خراسان الى شيء من ذلك . توفي سنة
 ٤٠١ . وضبط القاشاني بالقاف والشين المنقوطة .

(ابن فارس اللغوي)

ابو الحسين احمد بن فارس بن زكريا بن محمد الرازي اللغوي .
 كان اماماً في علوم شتى خصوصاً اللغة فأنه اققها ولف كتابه المجمل في
 اللغة . وهو على اختصاره جمع اشياء كثيرة ، وله رسائل أنيقة ومساائل في
 اللغة يعاين بها الفقهاء ، ومنه اقتبس الحريري ذلك المطلوب في مقامته
 التي وضع فيها مائة مسألة وعنه اخذ البديع الهمداني . ومن نظمه :
 اذا كنت في حاجة مرسلًا وانت بها كلف مغرم
 فأرسل حكيمًا ولا توصه وذاك الحكيم هو الدرهم

وله :

سقى همدان الغيث لست بسائل
ومالى لا اصفى الدعاء لبلدة
نسيت الذي احسنه غير انني
وله :

وقالوا كيف حالك قلت خير
اذا ازدحت هموم الصدر قلنا
نديمي هرتي وأنيس نفسي
توفى سنة ٣٩٠

(جحظة)

ابو الحسين أحمد بن جعفر بن موسى بن يحيى بن خالد بن برمك
المعروف بجحظة البرمكي ، كان فاضلاً صاحب فنون وأخبار ونجوم ونوادر
ومنادمة واشعار ، ومن شعره :

فقلت لها بخلت على يقظي
فقلت لها بخلت على يقظي
فقلت لي وصرت تنام ايضا
وله :

اصبحت بين معاشر هجروا الندى
قوم احاول نيلهم فكأنما
هات اسقنيها بالكبير وغنى
وله :

وقائلة لي كيف حالك بعدنا
فقلت لها لا تسأليني فأنني
اني ثوب يسر انت ام ثوب معسر
اروح واغدو في حرام مقتر

توفي سنة ٣٢٦ .

(ابن الخياط)

الشاعر المفطور صاحب الديوان المشهور ابو عبدالله أحمد بن محمد
الثعلبي المعروف بابن الخياط ، طاف البلاد وامتدح الناس ودخل بلاد
العجم ، دخل مرة الى حلب وهو رقيق الحال لا يقدر على شيء ، فكتب
الى ابن حبوس الشاعر المشهور :

لم يبق عندي ما يباع بحجة وكفاك مني منظرى عن مخبرى
إلا بقية ماء وجه صنهـا من ان تباع وأين ابن المشتري
وقصيدته البائسة كفاه بها تعريفاً بفضلـه ، وهي التي اولها « خذامن
صباً نجد أماناً لقلبه » .
توفي سنة ٥١٧ .

(الحافظ أبو الفضل)

محمد بن طاهر المقدسي ، ذكره الإمام العلامة الحافظ عبد الكريم
ابن السمعاني في ذيله على تاريخ بغداد وقال في أثناء ترجمته : كان بحراً
في الحديث . وقال ايضاً في أثناء الترجمة رداً على الطاعنين فيه : وفضل
محمد بن طاهر ومعرفته بعلم الحديث وتصابفه وتبحره لا ينكر ، ومن انكر
من مشايخنا عليه فانما انكر سيرته ولعله تاب . ونقل عن أبي الحسن بن
أبي طالب الكرخي الفقيه انه قال عنه : ما كان على وجه الارض له نظير .
ثم نقل عنه انه صنف كتاباً في جواز النظر الى المرد وانه قال : رأيت
جارية بمصر مليحة صلى الله عليها . فقليل له : تصلى عليها ؟ فقال : صلى
الله عليها وعلى كل مليح . ونقل ايضاً عنه حكاية خرج منها انه كان في

غاية الفقر ، وملخصها أن الحال اعوزته وهو يكتب الحديث ولم يبق معه غير درهم وهو محتاج الى كاغد والى خبز « فردده بين الأمرين يوماً وثانيه « فلما كان اليوم الثالث قال : لم يبق إلا الخبز فإني ان اشريت به كاغداً لا أقدر على النسخ لأجل الجوع ، فوضعه في فيه وخرج ليشتري به فاتفق انه ابتلعه فأخذه الضحك ، فلقيه ابو طاهر الصانع فسأله عن سبب ضحكك فكتمه اياه « فألح عليه فامتنع فحلف عليه بالطلاق ليخبرنه الخبر « فأخبره بالحال فحمله الى البيت وتسبب له في دراهم كثيرة - اه ملخصاً

(ابو العلاء محمد بن محمد بن صالح بن الهبارية)

كان إماماً في علوم الأدب بجرأ في النظم والنثر سلس الشعر مع قوة المعنى وصحة المبني « ومن نظمه يمدح امين الدولة بن التلميز وكان نصرانياً وكان محمد بن الهبارية شريفاً عباسياً :

يا بني التلميذ لو وافيتكم	لم تكن نفسي بأهلي شغفه
انما طلقت كرامان بكم	انكم لي عوض ما اشرفه
برئيس الحكماء المرتجي	انه لي جنة مخترقه
شمس مجد لا تراها أبداً	عن سماوات العلى منكشفه
جل أن يدرك وصف مجده	انه اكثر من كل صفه
لو تمكنت لكنت بجلتي	في زوايا داره مخكفه
فبسه تفتخر الدنيا التي	اصبحت من غيره مستنكفه
انما احبو بني التلميذ بال	مدح اذ كلهم ذو معرفه
فابن يحيى منهم يحيى النداء	زاد في الجود على من خلفه
حقق الكنيسة من والده	كرماً فيه وطبعاً الفسه

وهم من صاعد عن سادة
لا تقسهم بالورى كلهم
فابن ابراهيم لاهوت العلى
يارئيس الحكماء استجلها
اننى انفلت نجلى قاصداً
بأبي مجدهم ما انطفه
فتقس لب السرى بالجعده
من دعاه بشراً ما انصفه
من بنات الفكر بكرأ مترفه
اشتكى دهرأ قليل النصفه

قلت : وقوله « فابن يحيى منهم يحيى النداء » الخ أراد به ابو الفرج
يحيى بن التلميذ ، وهو يحيى بن صاعد بن يحيى بن التلميذ الملقب معتمد
الملك « وله فيه مدائح غيرها فمنها قوله :

يحيى بن صاعد بن يحيى لم يزل
مازال يعربني علاه ولم ازل
ومنها :

لاتحوجن اخلك لابل عبدك الا
فلانت اولى بي لما عودتني
ثقة الخلافة سيد الحكماء مع
مازح وطايب ما استطعت فالفتى
وفدائك من نوب الزمان وصرفه
تقن بن عبدك ان يروم اجابنا
عن غلالي في الاصول مناسبا
تمد الملوك الفيلسوف الكتاتبا
من يكون ممازحاً ومطايبا
قوم يزيدون الزمان معايبا

وسبب ذلك انه أتاه الى اصفهان فحصل له مالاً جزيلا من كبارها

(ابن المنير)

ابو الحسين أحمد بن المنير الطرابلسي الملقب مهذب الدين عين الزمان
الشاعر المشهور « مهر في اللغة والأدب وقل الشعر فأجاد ، قدم دمشق
وسكنها وكان كثير الهجاء بذىء اللسان » ولما كثر منه ذلك سجنه نوري
ابن أتابك صاحب دمشق وعزم على قطع لسانه ، فشفع فيه ونفى « وله

من جملة قصيدة :

واذا الكريم رأى الخمول نزله في منزل فالرأى أن يتحولا
كالبدور لما ان تضاءل جد في طلب الكمال فحازه متنقلا
ومنها :

لله علمي بالزمان وأهله ذنب الفضيلة عندهم أن تكمل
طبعوا على لؤم الطباع فخيرهم ان قلت قال وان سكت تقولا
توفي في جمادي الآخرة سنة ٥٤٨ .

(للنفيس)

ابو العباس احمد بن أبي القاسم المنعوت بالنفيس ، كان من العلماء
والأدباء ، وله ديوان شعر جاد فيه . ذكره العباد في الخريدة فقال : فقيه
مالكي المذهب له يد في علوم الأوائل والادب ، ومن شعره :
يسر بالعيد اقوام لهم سعة من الثراء وأما المقترنون فلا
هل سرفي وثيابي فيه قوم سبا ام راقني وعلى رأسي به ابن جلا
توفي سنة ٦٠٣ بقوص بعد أن جاب البلاد واستجدى الناس بشعره

(ابو الصلت)

أمية بن عبد العزيز الأندلسي ، كان أديباً ماهراً في علوم الأوائل ،
ذكره العباد في الخريدة وأثنى عليه ، ومن نظمه :
وقائلة ما بال مثلك خاملا أنت ضعيف الرأي ام أنت عاجز
فقلت لها ذنبي الى القوم انني لما لم يحوزوه من الفضل حائر
توفي سنة ٥٣٨ .

(مبرمان)

النحوى شارح كتاب سيويه وان كان لم يتمه ، هو ابو بكر بن محمد على العسكري أخذ عن المبرد وتصدر بالأهواز . قال الذهبي : كان وضعيف النفس يأخذ من الطلبة ويطلب حمال قفص فيحمله الى داره من غير عجز وربما انبسط فبال على الحمال ويتنقل بالتمر فيحذف بنواه الناس توفي سنة ٣٢٧ ولقبه المبرد مبرمان لكثرة سؤاله له . ومن مصنفاته : كتاب علل النحو ، وكتاب التلقين ، وكتاب شرح شواهد سيويه ، وكتاب شرح سيويه . وكان اذا ركب في طليعة الحمال وبال عليه اعتذر له بقوله : احسب انك حملت رأس غنم .

(ابو الحسن الربيعي)

علي بن عيسى بن الفرج بن صالح أبو الحسن الربيعي النحوي الزيدي أحد أئمة النحو ، كان دقيق النظر في النحو جيد الفهم والقياس ، لازم ابا على الفارسي عشرين سنة ، فقال له أبو علي : ما بقيت تحتاج إلي ولو سرت من الشرق الى الغرب لم تجد أنحى منك . ومن تصانيفه شرح الإيضاح للفارسي ، وكتاب شرح مختصر الجرمي ، وكتاب البديع في النحو ، وكتاب المبني على فعال ، وكتاب التنبيه على خطأ ابن جني في تفسير شرح المتنبي ، وكتاب شرح سيويه . وكان يرمى بالجنون . مرّ يوماً بسكران ملقى على قارعة الطريق فحل سراويله وجلس على انفه وجعل يضرب وينشد :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار
ونازعته يوماً شخص في مسألة فعمد الى شرحه لكتاب سيويه

فوضعه في اجانة وصب عليه الماء وغسله وجعل يلطم الحيطان ويقول :
 جزاء من يجعل أولاد البغالين نخاة . وسأل من تلامذته أن يركبوا معه
 الى كلواد فظنوا حاجة عرضت ، فركبوا معه وعرضوا عليه الركوب فأبى
 فلما صار بجذائهم اوقفهم على سلم واخذ كساءً وعصاً ، وما زال يعدو
 على كلب هناك وهو يهرب منه تارة ويثب عليه اخرى حتى اعياه ذلك
 فعاونوه عليه فأمسكه وعضه عضاً شديداً وقال : هذا عضني منذ أيام
 فأردت اخالف فيه قول الشاعر :

شأمني عبد بنى مسمع فصنت عنه النفس والعرض
 ولم أجبه لاحتقاري له ومن يعض الكلب ان عضاً
 توفي سنة ٤٣٠ .

(القالي)

أبو الحسن علي بن أحمد بن علي القالي ، كانت له نسخة من كتاب
 الجماهرة لابن دريد وكان كلفاً بها ، فدعته الحاجة الى بيعها فباعها فاشتراها
 الشريف المرتضى ، فوجد فيها أبياتاً بخط بائعها ابي الحسن القالي المذكور :
 انست بها عشرين حولا وبعثها فقد طال وجدي بعدها وحنيني
 وما كان ظني انني سأبيعها ولو خلدتني في السجون ديوني
 ولكن لضعف وافتقار وصبية صغار عليهم تسهل جفوني
 فقلت ولم املك سوابق عبدة مقالة مكوي الفؤاد حزني
 وقد تخرج الحاجات يا ام مالك ودائع من رب بهن ضنين

(البيهقي)

احمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى البيهقي الخسروجردي

الإمام أبو بكر ، و « نخسرو جرد » بضم الخاء المعجمة وسكون السين المهملّة وفتح الراء وسكون الواو وكسر الجيم وسكون الراء وفي آخره دال ، هو الإمام الجليل الحافظ الفقيه الأصولي القائم بنصرة مذهب الشافعي صاحب التصنيفات ، له : كتاب السنن الكبير ، وكتاب المبسوط في نصوص الشافعي ، وكتاب دلائل النبوة ، وكتاب شعب الإيمان ، وكتاب معرفة السنن والآثار . قال تقي الدين السبكي معناه معرفة الشافعي بالسنن والآثار وغير ذلك . قال تاج الدين السبكي في الطبقات : كان على سيرة العلماء قائماً من الدنيا باليسير متجعلاً في زهده وورعه . توفي في نيسابور في جمادى الأولى سنة ٤٥٨ .

(أبو سعيد الإصطخري)

الحسن بن أحمد بن يزيد بن عيسى الإمام الجليل أبو سعيد الإصطخري القاضي .

قال الخطيب : أحد الأئمة المذكورين من شيوخ الفقهاء الشافعيين ، كان ورعاً زاهداً متقللاً . قال الطبري : وحكي عن الداركي أنه قال : ما كان أبو إسحاق المروزي يفتي بحضرة الإصطخري ، قال أبو إسحاق المروزي : سئل يوماً أبو سعيد عن المتوفى عنها زوجها إذا كانت حاملاً هل تجب لها النفقة ؟ فقال : نعم . فقيل : ليس هذا من مذهب الشافعي فلم يصدق فأراه كتابه فلم يرجع وقال : إن لم يكن مذهبه وإلا فهو مذهب علي وابن عباس . قال أبو إسحاق : فحضر يوماً مجلس النظر مع أبي العباس بن شريح فتناظرا فجرى بينهما كلام ، فقال له أبو العباس : أنت سألت مسألة فأخطأت فيها وانت رجل كثرة أكل الباقلاء قد ذهب بدهاغك . فقال له أبو سعيد : وانت كثرة أكل الخلل والمري قد ذهب

بدينك . قال الطبري : وكان من الورع . والزهد بمكان لم يصله سواه .
يقال انه كان قميصه وعمامة وسراويله وطيلسانه من شقة واحدة وكانت
فيه حدة . وله تصانيف كثيرة فمنها : كتاب أدب القضاء ليس لأحد
مثله . ومن مفردات مسائله . قوله « انه ينتقض الضوء بمس الأمر » .
توفي ببغداد في ثاني الجمادين سنة ٣٢٨ نقلته من طبقات السبكي .

(السيد ركن الدين)

الحسن بن محمد بن شرفشاه العلوي الحسيني الإسترابادي تلميذ النصير
الطوسي أبو الفضائل ، له عدة مصنفات منها : شرح اصول ابن الحاجب
وشرح مقدمته في النحو ، وشرح الحاوي شرحين . وكان له ادرارات
وجوامك كل يوم ستون درهماً ، كان يعيد دروس النصير الطوسي في
الحكمة . قال الشيخ شهاب الحسباني ومن خطه نقلت : وكان في دينه رقة
توفي سنة ٧١٨ بالموصل .

(ابو هفان)

عبد الله بن احمد بن حرب بن خالد ابو هفان النحوي اللغوي .
روى عن الأصمعي وصنف كتباً منها : كتاب صناعة الشعر كبير ، وكتاب
أخبار الشعراء . قرأت بخط الحسباني انه كان مقترأ عليه ضيق الحال .
وان دعبل الخزامي اضاف له وسقاه نبيذاً حلواً ووصى الجوارى أن لا يبدلوه
على الخلاء ثم تركه ونام ، فقال لبعض الجوارى : اين الخلاء ؟ فقالت
لها الأخرى : ما يقول سيدي ؟ فقالت : يقول غنى

خلا من آل عاتكة الديار فمشى أهلها منهم قفار
فغنت هذه وصرخت هذه وشربوا أقداحاً . فقال : أحسنتم غير

انكم لم تأتوا على مافي نفسي ، فلما اجهده الأمر قال : لعل الجارية بغدادية لاتعرف الخلاء فقال لها : اين المستراح ؟ ففعلوا كفعلهم الأول فقال : لعلهن حجازيات اين الحش ؟ ففعلوا كذلك ثم قال : لعلهن كوفيات اين الكنيف ؟ فأعادوا ذلك فحل سراويله وذرقت في وجوههن ، فانتبه دعبل وامر له بثياب ، وهي حكاية طويلة . قال سعيد بن حميد لأبي هفان لأن ضرت عليك ضرطة لأبلغنك الى فيد . فقال له ابو هفان : أسعدني بأخرى تبلغني الى مكة فاني ماحججت بعد . مات سنة ٢٥٥ .

(الرياشي)

العباس بن الفرج الرياشي مولاهم . قال المبرد : سمعت المازني يقول : قرأ الرياشي علي كتاب سيويه فاستفدت منه اكثر مما استفاد مني يعني انه أفاده لغته وشعره وأفاده هو النحو . قال المبرد : وكان الرياشي والله احمق ، ومن حمقه انه اذا كان صائماً لايلع ريقه .

(ابن بابشاذ)

النحوي البصري العلامة طاهر بن احمد بن بابشاذ ابو الحسن ، كان يأكل يوماً مع بعض أصحابه طعاماً ، فجاء قط فرمى اليه بشيء فأخذه وذهب به وعاد سريعاً ، ثم فعل ذلك مرة بعد اخرى فعلم ان له سبباً فاتبعوه فاذا بقط آخر أعمى في سطح فقال الشيخ : هذا حيوان بهيم قد ساق الله له رزقه أفلا يرزقني وأنا عبده . فترك علائقه الدنيوية ولزم غرفة في جامع عمرو بن العاص وأقبل على العلم وجمع تعليقاته في النحو قريباً من خمسة عشر مجلداً . وأصحابه كابن بري وغيره ينقلون منها ويسمونهم تعليقات الغرفة . وكان له معلوم وراتب على قراءته للكتب التي يكتبونها عن السلطان وإصلاحها تعرض عليه قبل أن تحمل الى الجهة التي

عينت لها . سقط من سطح جامع عمرو بن العاص فمات من وقته . سنة ٤٦٩ .

(عبد الرحمن)

ابن محمد بن عبيد الله بضم العين مصغر ابن أبي سعيد كمال الدين ابو البركات الأنباري النحوي ، صاحب التصانيف المفيدة منها : هداية المذاهب في معرفة المذاهب ، وبداية الهداية في الأصول ، والداعي الى الإسلام في الكلام ، والنور اللاح في اعتقاد السلف الصالح . وفي الأدبيات ما يزيد على خمسين مصنفاً انتهت الرحلة اليه بالعراق من سائر الأقطار . قال الموفق عبد اللطيف : لم تر في العباد والمنقطعين أقوى طريقة ولا اصدق منه في اسلوبه جدّ محض ، لا يعتريه تصنع ولا يعرف السرور ولا احوال العالم ، كان له من ابيه دار يسكنها ودار وحانوت مقدار أجرتهما نصف دينار في الشهر يقنع به ويشترى منه ورقاً ولا يوقد عليه ضوءاً ، وتحتة حصير قصب وعليه ثوب وعمامة قطن يلبسها عند المضي الى الجمعة ويلبس في بيته ثوباً خلقاً ولا يخرج منه الا يوم الجمعة وسير اليه المستضيء خمسمائة دينار فردها فقال له : اجعلها لولدك . فقال : ان كنت خلقتة ارزقه . توفي ليلة الجمعة تاسع شعبان سنة ٤٧٧ ودفن في تربة الشيخ أبي اسحاق الشيرازي .

(الواحدي)

علي بن احمد بن محمد ابو الحسن الواحدي ، كان مفسراً نحويّاً لغويّاً اصولياً انفق في صباه مالاً على تحصيل العلم وكان من أولاد التجار وذكر في مقدمة تفسيره الذي سماه البسيط أشياخه ومن قرأ عليه . قيل للغزالي لما صنف كتبه : ما عملت شيئاً أخذت الفقه من امام الحرمين من

نهایتہ وأسماء الكتب من الواحدی ، وكان الغزالی يقول : من أراد أن یسمع التفسیر كأنه من فم رسول الله صلى الله علیه وسلم فعلیه بتفسیر الواحدی ، وله كتاب نفي التحریف عن القرآن الشریف وغيره ، وكان عديم النظر إلا انه كان یسط لسانه فی العلماء . توفي سنة ٤٦٨ .

(ابن برهان)

عبد الواحد بن علی بن عمر بن اسحاق بن ابراهیم أبو القاسم بن برهان النحوی الأسدی العکبری ، صاحب العربیة والنحو والتاریخ وأيام العرب ، قرأ علی عبد السلام البصری وأبی الحسن التمیمی ، كان فیسه شراسة علی من یقرأ علیه ، وكان الطلبة یمشون حوله یمیناً وشمالاً وهو یلقی علیهم المسائل وتکبر علی أولاد الرؤساء ، وكان یتعصب لمذهب أبي حنیفة ، وكان یحب الباذنجان ویقول فی تفضیله : الناس یا کاونسه ثمانية أشهر فی العام وهم أصحاء ولو أكلوا الرمان أربعة أشهر فلعجوا . قرأت بخط الشیخ شهاب الدین الحسبانی : انه كان علی امامته وديانته یحب مشاهدة الملیح ویقبل أولاد الأمراء والأثراک وأرباب النعم بمحض من آبائهم ، ولا ینکرون علیه ذلك لعلهم بدینه وورعه . وتوفي سنة ٤٤٦ قال : ولم یکن یلبس سراویل ولا علی رأسه غطاء .

(الحریری)

صاحب المقامات القاسم بن علی بن محمد بن عثمان أبو محمد البصری الحرامی الحریری ، أحد الائمة فی النظم والنثر ، وعمل بعد الحریری مقامات كثيرة : مقامات ابن الصقیل ، مقامات أبي العباس یحیی النصرانی المعروف بالمسیحیة ، مقامات أبي الهیجاء شهینروز . شرح المقامات ابن ظفر شرحین کبیر

وصغير والمطرزي والشريشي وغير واحد . قيل : وكانت مسوداتها نحو
 حل جمل . سمع الحريري من أبي تمام محمد بن الحسن بن موسى المقرئ
 وأبي القاسم بن الفضل المقصافي الأديب ، وقرأ النحو على أبي الحسن بن
 فضال الجاشعي شيخ إمام الحرمين في العربية ، وتفقه على الشيخ أبي اسحاق
 الشيرازي . كان الحريري غنياً له ثمانية عشر ألف نخلة كل نخلة في السنة
 بدينار . وقيل انه كان قذراً في نفسه وشكله ولبسه قصيراً ذمياً بجحلاً
 مولعاً بنتف ذقنه . وحكى بعض أهل الأدب ان الحريري لما قدم بغداد
 وكان الناس يهتفون بفضائله ويتطلعون الى لقائه ، فحضر اليه ابن حكينا
 المعروف بالبرغوث الشاعر فلم يجده على ما كان في ظنه فنظم أبياتاً :

شيخ لنا من ربيعة الفرس ينتف عشونه من الهوس
 أنطقه الله بالشان وقد الجمه في العراق بالحرس

وقيل ان الحريري حضر مجلساً فذكروا فيه قول بعض الأدباء « ان
 لم يكن لنا طمع في درك درك فاعفنا من شرك شرك » استحسنها
 الحاضرون . فعمل الحريري في الحال « ان لم تدننا من مبارك مبارك
 فأعدنا عن معارك معارك » . وبلغه ان صاحباً له يسمى أبا زيد المطهر
 ابن سلام البصري الذي عمل المقامات على لسانه شرب مسكراً . فكتب
 اليه : ابا زيد اعلم ان من شرب الطلا تدنس فافهم سر قولي المهذب .
 ومن قبل سميت المطهر والفتى يصدق بالأفعال تسمية الاب ، فلا تحسها
 كي ما تكون مطهراً والا فغير ذلك الأسم واشرب .

(ابو العباس)

احمد بن الحسين النحوي الموصللي المعروف بابن الخباز . كان من
 علماء النحو وفرسانه اديباً لطيف الروح عذب العبارة حسن النظر كثير

الاطلاع والحفظ . قال ابن هشام مصنف المغني فيما وجدته بخطه: وكأنه كان غير منصف من اهل زمانه ، وقد وقفت له على عدة تأليف يشكو فيها حاله « فمن ذلك قوله في خطبة كتابه الذي سماه الفريدة في شرح القصيدة وهي قصيدة ابي عثمان سعيد بن المناس الشهير بابن الدهان « فان اصبحت فمن فضل الله الرحيم وان اخطأت فمن الشيطان الرجيم ، ومن علم حقيقة حالي عذرتني اذا قصرت بأن عندي من الهموم ما يزع الجنان عن حفظه ويكف اللسان عن لفظه ، ولو ان ما بي بالجبال لهدها وبالنار اطفأها وبالماء لم يجر وبالناس لم يحيا وبالدهر لم يكن وبالشمس لم تطع وبالنجم لم يسر ، وأنا اسأل الله العظيم ان يكفيني شر شكواي وان لا يزيدني على بلواي « فاني كلما اردت خفض العيش صار مرفوعاً وعاد بالحزن سبب المسرة مقطوعاً « والله المستعان في كل حال ومنه المبدأ واليه المآل «

نقلت ذلك كله من خط العلامة جمال الدين بن هشام المصنف رحمه الله .

نقلت من خط الشيخ نور الدين الأيباري « الصعاليك من العرب عروة ابن الورد العبسي وتأبط شراً الفهمي والشنفرى الأزدي أزد شئوة وعمرو ابن معدي كرب الزبيدي والأسعر بن مالك الأودي وعمرو بن براق الحمداني وشراحيل بن الأشهب الجعفي وابو خراش الهذلي وعمرو ذو الكلب الهذلي « ونقلت من خطه ايضاً : قال الذهبي كان في الأشعر دعابة ومزح كثير وكان يقنع باليسر « وكان له بعض قرية من وقف جدّهم الأمير جلال بن أبي بردة ، ويقال انه بقي الى سنة ٣٣٠ .

(الفصل الحادي عشر)

في مباحث تتعلق بالفصل قبله ، ومن المباحث النكبات الحاصلة للأعيان لا يملئك قلة من عددنا في الفصل قبله من العلماء الذين تقلصت

عشهم الدنيا على توهم انبساط الدنيا على غالب العلماء أو معظمهم واعتقاد تمتعهم بها ، فان لا نحصرهم في العدد المذكور في الفصل قبله أسباباً : منها انا لم نذكر من العلماء إلا من زويت عنه الدنيا ولم يترجم بزهد وشدة تقشف وردّ للدنيا واعراض عنها ، وسقط بذلك طائفة كثيرة مثل الشيخ

(محيي الدين للنواوي)

يحيى بن شرف بن مري مع انه كان لا يأكل الا أكلة بعد عشاء الأخيرة ، ولا يشرب الا شربة واحدة عند السحر ، ولا يشرب الماء المبرد ، ولا يأكل من فاكهة دمشق معللاً ذلك بأن الاوقاف والاملاك للمحاجير فيها كثيرة والتصرف لهم لا يجوز الا على وجه الغبطة والمعاملة فيها على وجه المساواة ، وفيها خلاف والناس لا يفعلونها الا على جزء من ألف جزء للمالك ، وكان لا يدخل الحمام ولم يتزوج ولم يشرب الفجاج ، ومأكله كعك يابس وتين حوران يأتيه به ابوه وملبسه الثياب المرقعة .
توفى سنة ٦٧٦ .

(ومثل السهروردي)

صاحب عوارف المعارف امام وقته لساناً وحالاً وعلماً وعملًا ، مع انه عمي في آخر عمره واقعد ومات ولم يخلف كفنًا . توفى سنة ٦٣٢ .

(والحسن بن العباس السرخسي)

الاصفهاني مع انه كان يسمع عليه الحديث وهو في رثانة من الملابس والمفرش بحيث لا يساوي ظائلاً كما تذكره ابني كثير في طبقاته . توفى سنة ٥٦١

(ومثل ابراهيم بن اسحاق)

ابن بشير ابو اسحاق الخوي احد الائمة في الفقه والحديث وغدير

ذلك « امام مصنف عالم يقاس بالامام احمد شيخ الدارقطني » كان يقول :
 الرجل الذي يدخل غمه على نفسه ولا يدخله على عياله . وقد كان في
 شقيقة منذ خمس واربعين سنة ما اخبرت بها احداً قط « ولي عشر سنين
 أبصر بفرد عين ما اخبرت به احداً ، أنفق على نفسه وعياله في بعض
 الرمضانات درهماً واربعة دوانيق ونصفاً ، وبعث اليه المعتضد بعشرة آلاف
 درهم فأبى ان يقبلها » فرجع الرسول يقول له : قال لك امير المؤمنين
 فرقةا على جيرانك . فقال : هذا شيء لا نجعله ولا نفرقه إما أن يتركنا
 وإما أن نتجول من بلده . توفي لتسع بقين من ذي الحجة سنة ٢٨٤
 وكثيرهم من العلماء والاولياء .

(ومنها) انا لم نذكر أيضاً من لم ينص على فقره صريحاً او بلازم
 واضح « وكثيراً ما يقول المترجمون : « كان متقللاً » ويقتصر عليه ، فلا
 أذكره مع الظن بأنه من المستحقين للذكر في الفصل قبله » فمن ذلك :

(ابن الأنباري)

عبد الرحمن بن محمد بن الأنباري صاحب أسرار العربية والمصنفات
 التي تزيد على مائه تصنيف ، فانهم قالوا في ترجمته انقطع للعبادة والعلم
 صابراً على خشن العيش والتقلل منه . توفي سنة ٣٧٧ .

(ومنه عزيزي)

ابن عبد الملك الشافعي المعروف بشيدله ، صاحب مصارع العشاق ،
 فانهم قالوا في ترجمته : كان زاهداً متقللاً من الدنيا . توفي سنة ٤٩٤ .

(ومنه المبارك)

ابن محمد بن عبد الله السوادي الواسطي نزيل نيسابور « أحلداركان

الفقهاء المكثرين الحافظين للمذهب القوى المناظرة ، قالوا في ترجمته : كان متجعلاً قانعاً باليسير .

ومع ذلك مذكروته وغيرهم ممن لم يتضح لي فقره إلا بلازم ضعيف أو عبارة مجمجمة وسقط بذلك طائفة كبيرة .

(ومنها) أنا لم تذكر كل من شد أطرافاً من العلم كيف ما كان وقعت عنه الدنيا ، بل إنما ذكرنا الأعيان وسقط لذلك طائفة كبيرة .

(ومنها) أنا لم أذكر إلا من صرح بفقره أو بلازم فقره الجلي »

أما من لم يصرح بفقره ولا بغناه ولا يسند إليه تولية منصب ولا تدريس بل ترجموه بالعلم وسيبوه فلم أذكره . وفيه بحث لأنه لا يلزم من عدم ذكر الفقر عدم الفقر ، ولا يقال هو معارض بمثله لأنه لا يلزم من عدم ذكر الغنى عدم الغنى « لأننا نقول : لكن الترجيح معنا » لما ان المؤرخين بصدد ذكر كمالات المترجم ، حتى أنهم يذكرون تداريس لايعبأ بها في بعض التراجم « فلو كان الذكر لتوفر الداعية على نقله فلما لم يذكر علم انه لم يقع وسقط بذلك طائفة كثيرة :

مثل (ابن الحاجب) أبي عمرو عثمان المالكي المتوفي سنة ٦٤٦ .

ومثل (ابن عصفور) علي بن مؤمن بن محمد العلامة الاشبيلي

المتوفي سنة ٦٦٤ .

ومثل أبي محمد عبد الله (ابن الخشاب) وغيرهم من العلماء الائمة

ومثل (الزمخشري) ومن نظمه :

خليلي هل تجدي على فضائي	إذا أنا لم ارفع على كل جاهل
من الغبن ذو نقص ينال منازل	اخو الفضل محقوق بتلك النازل
كفى حزناً ان يرغم العلم والحجا	بضد زياد طيشه غير عاقل
ومن لي بحق بعد ما وقرت على	ارادها الدنيا حقوق الامائل

كذا الدهر كم شوهاء في الحلى جيدها
ومما شجاني ان غر مناقبي
وطارت الى اقصى البلاد قصائدي
وكم من أمال لي وكم من مصنف
غنى من الآداب لكننى اذا
فيا ليتني اصبحت مستغنياً ولم
وباليتنى مرض صديقى ومسخط
فأست بفضل بالغا ولو اننى
وما حق مثل ان يكون مضيقاً
فلا تجعلوني مثل همزة واصل
فكل امرئ امثاله عدد الحصا
فوقع الى هذا الزمان فانه

وكم جيد حسناء المقلد عاطل
يغني بها الركبان بين القوافل
وسارت مسير النيرات رسائلي
اصاب بها ذهني محز المفازل
نظرت فما في الكف غير الانامل
اكن في خوارزم رئيس الافاضل
عدوي وأني في فهامة باقل
كقس اياك او كسحبان وائل
وقد عظمت عند الوزير وسائلي
فيسقطنى حذف ولا راء واصل
وهات نظيرى في جميع المحافل
علامك يجعلني كبعض الاراذل

(ومنها) انا لم نذكر من ترجم بفقر ثم بغنى زائد تغليباً لجانب
الغنى المتأخر ، وسقط بذلك ايضا طائفة .

(ومنها) ان الكتب والزمان لم يساعدا على استيفاء هذا المقام
واعطائه حقه ، فلعل ما لم نره اكثر مما وقفنا عليه .

(ومنها) انا لم نذكر الا ما وقفنا عليه في كتاب معتمد وضع
للتراجم ، أما الكتب الأدبية ففيها اشياء كثيرة لم اذكرها .

(منها) ما في العقد لابن عبد ربه وشرح الزيدونية لابن نباتة ان
ابا الاسود الدؤلي النحوي وسهل بن هارون الملقب بزر جهمر الاسلام
والكندي الامام في العلوم العقلية الملقب بفيلسوف العرب كانوا في غاية
البخل ، وفي عدم ذكر ابي الاسود الدؤلي معنى آخر هو جلالته وصيانتة
عن نسبة البخل اليه .

(ومنها) اني لم اذكر في الفصل قبله في النكبات العارضة للاعيان ،
فقلنا خلا عالم او نبيل من نكبة . وانا اذكر هنا طرفاً لائتقاً بمقصودي من
ذوى النكبات :

(مالك ابن انس)

ابن ابي عامر بن الحرث بن غيان - بالغين المعجمة - ابو عبد الله
الإمام الملقب . احد أئمة الاسلام ، سعى به الى جعفر بن سليمان بن علي
ابن عم ابي جعفر المنصور . فلما به وجردوه وضربه سبعين سوطاً .
ومدت يده حتى انخلج كتفاه . وسبب ضربه انهم سألوه عن مبايعة محمد
ابن عبد الله بن حسن وقالوا له : ان في أعتاقنا مبايعة ابي جعفر . فقال
انما بايعتم مكرهين وليس على مكره يمين ، فأصرع الناس الى محمد فسعى
به فضرب لذلك ، ثم لم يزل بعده في علو ورفعة كأنما كانت تلك السياط
حلياً تحلى بها . توفي سنة ١٧٤ .

(أبو حنيفة)

النعمان بن ثابت الفقيه الكوفي أحد الائمة المتبوعين ، كان يزيد بن
عمر بن هبيرة الفزارى أمير العراقيين فأراد له قضاء الكوفة أيام مروان بن
محمد آخر ملوك بني أمية فأبى ، فضربه مائة سوط وعشرة أسواط كل
يوم عشرة أسواط ، وبقي على الامتناع وسجنه فتوفى بالسجن في احد
القولين سنة ١٥٠ ببغداد .

(الإمام احمد بن حنبل)

أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي ثم البغدادي استحوذ

على المأمون جماعة من المعتزلة وقولوه بخلق القرآن « فغنّ له بطرسوس أن يكتب الى نائب بغداد اسحاق بن ابراهيم بن مصعب يأمره ان يدعو الناس الى القول بخلق القرآن » فكان ذلك اول الفتنة ، وكان ذلك آخر عمر المأمون قبل موته بشهور سنة ٢١٨ ، فلما وصل الكتاب استدعى جماعة من العلماء فامتنعوا فهددهم بالضرب وقطع الأرزاق فأجاب اكثرهم مكرهين واستمر على الامتناع احمد بن حنبل ومحمد بن نوح الحيد سابوري فحملا على بعير متعادلين مقيدين الى الخليفة عن امره بذلك « ثم جاء الصريح بموت المأمون في الثلث الأخير . ثم جاء الخبر بأن المعتصم قد ولى الخلافة وان الامر شديد فرد الى بغداد في سفينة مع بعض الأسارى « ومات محمد بن نوح في الطريق وأودع الامام احمد السجن ببغداد نحواً من ثمانية وعشرين شهراً ، ثم احضره المعتصم في قيوده واجلسه فجلس ودعاه الى القول بخلق القرآن فامتنع وقال : فما قال ذلك ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى شهادة ان لا آله الا الله وأنا اشهد ان لا آله الا الله وان القرآن علم الله ومن علم ان علم الله مخلوق فقد كفر اعطوني شيئاً من كتاب الله او سنة رسوله حتى أقول به . وناظره احمد ابن ابي دؤاد وغيره وانكروا الآثار التي أوردها وقالوا للمعتصم : هذا أكفرك واكفرنا . وقال له اسحاق بن ابراهيم نائب بغداد : يا امير المؤمنين ليس من تدبير الخلافة ان تخلي سبيله ويغلب خليفتي ، فعند ذلك حمى واشتد غضبه فأخذ وجيء بالعقابين والسياط وضربه ضرباً مبرحاً شديداً حتى أغمى عليه وغاب عقله وامر باطلاقه الى اهله « فنقل وهو لا يشعر ، ولما شفي من الضرب بقى مدة وابهاماه يؤذيها البرد « وكان الضرب في الخامس والعشرين من رمضان سنة ٢٢١ وتوفى سنة ٢٤١ .

(البويطي)

يوسف بن يحيى البويطي صاحب الإمام الشافعي ، كان الشافعي يسأل عن الشيء فيحيل عليه فإذا أجاب قال : هو كما أجاب . وقال عنه الشافعي : هو لساني ، حمل الى بغداد في أيام الواثق بالله من مصر وفي عنقه غل وفي رجله قيد ، وبين الغل والقيد سلسلة حديد فيها طوق وزنتها اربعون رطلا ، وارادوه على القول بخلاف القرآن فامتنع ومات بالسجن في قيوده سنة ٢٣١ .

(البخاري)

ابو عبد الله محمد بن اسماعيل ، أراد منه خالد بن احمد الذهلي ان يأتيه في بيته يسمع اولاده فأبى وقال « في بيته يؤتى الحكم » ، فاتفق ان جاءه كتاب من محمد بن يحيى الذهلي من نيسابور بأن البخاري يقول بأن لفظه بالقرآن مخلوق ، وكان قد وقع بين محمد بن يحيى الذهلي وبين البخاري في ذلك كلام وصنف البخاري في ذلك كتابه خلق افعال العباد فأراد الأمير ان يصرف الناس عن السماع من البخاري فلم يقبلوا ، فأمر عند ذلك بنفيه من البلاد فخرج منها ودعا على خالد بن احمد فلم يمحض شهر حتى أمر ابن طاهر بأن ينادى على خالد بن احمد على اثنان ، وزال ملكه وسجن ببغداد حتى مات ، فبرح البخاري الى بلد يقال لها « خزنك » فمات سنة ٣٥٦ - نقلته بلفظه من تاريخ ابن كثير .

(النسائي)

احمد بن علي بن شعيب النسائي صاحب السنن ، إمام عصره والمقدم

على اضرابه ■ رحل الآفاق واخذ عن الحذاق ■ وكان ينسب الى شيء من التشيع . قالوا : دخل دمشق فسأله أهلها ان يتحدثهم بشيء من فضائل معاوية . فقال : ما يكفي معاوية أن يذهب رأساً برأس حتى يروى له فضائل ■ فجعلوا يطعنون فيه حتى اخرج من الجامع ■ فسار الى مكة فمر بالرملة فستل عن فضائل معاوية فأمسك عنه ، فضربه في الجامع فقال : أخرجوني الى مكة فأخرجوه وهو عليل ، فتوفى بمكة مقتولا شهيداً سنة ٣٠٣

(ابو عمرو)

عيسى الثقفي النحوي شيخ سيبويه ، صاحب كتاب الجامع الذي قيل ان سيبويه اخذه وزاد عليه ما استفاده من الخليل ونسبه اليه . أودعه شخص ودیعة فمضى الخبر الى يوسف بن عمر امير العراقيين ■ فكتب الى نائبه بالبصرة يأمره ان يحمل اليه عيسى بن عمرو مقيداً ، فدعا به ودعا حداداً وامره بتقييده ، فلما قيده قال له : لا بأس عليك إنما ارادك لتعليم ولده . قال : فما بال القيد اذاً ، فلما وصل اليه سأله فأنكر ■ فأمر بضربه فضرب بالسياط . توفي سنة ١٤٩ . كان كثير الاستعمال للغريب والتععر في كلامه ■ وهو القائل ■ افرنقوا عني ■ . قال يوماً لأبي عمرو بن العلاء انا افصح من معد بن عدنان : فاستنشده ابو عمرو بيتاً فيه بدا بمعنى ظهر وقال له : كيف تسنده الى جماعة الاناث اتقول بدین او بدان ؟ فقال : بدین . فقال : اخطأت ولو قال بدان لاختطأ ايضاً . وانما أراد ابو عمرو تغليظه وانما الصواب بدون من بدا يبدو اذا ظهر ، وبدأ يبدأ اذا شرع في الشيء معنى آخر - ذكرت هذا استطراداً لاشتماله على فائدة .

(محمد بن الزيات)

أبو جعفر بن عبد الملك وزير المعتصم ثم ابنه هارون الواثق . ثم لما مات الواثق اشار هو بتولية ولده وأشار القاضي احمد بتولية اخيه المتوكل . وتم امر المتوكل فحقق ذلك عليه مضموماً الى حقه عليه القديم لأنه كان يغلظ عليه في حياة الواثق تقرباً اليه ، وكان ابن الزيات قد صنع تنوراً من حديد في ايام وزارته وله مسامير محددة الى داخله يعذب فيه الناس . وكان يقول اذا استرحم : الرحمة خور في الطبيعة ، فلما اعتقله المتوكل ادخله التنور وقيده بخمسة عشر رطلا من الحديد . ومات في التنور فوجد قد كتب في التنور بفحمة :

من له عهد بنو ر يرشد الصب اليه
سهرت عيني ونامت عين من هنت عليه
رحم الله رحباً دلت عيني عليه
توفي سنة ٣٣٣.

(ابن الدهان)

ناصر الدين ابو محمد سعيد المعروف بابن الدهان النحوي البغدادي شارح كتاب الإيضاح والتكملة وكتاب اللمع لابن جني ، وكان يفضل على أبي محمد الجواليقي وابن الخشاب وابن الشجري المعاصرين له . انتقل الى الموصل قاصداً جناب الوزير جمال الدين الاصفهاني المعروف بالجواد ، وكانت كتبه ببغداد واستولى الغرق في تلك السنة على البلد فغرقت كتبه . وكان خلف داره مدبغة ففاضت بالغرق الى بيته فتلفت كتبه بهذا السبب زيادة على تلف الغرق ، فأرسل من احضرها له وكان قد أفنى عمره فيها

فأشاروا عليه ان يطيبها بالبخور ويصلح ما امكنه فيها ، فبخرها باللائذ
ولازمها بالبخور الى ان بخرها بأكثر من ثلاثين رطلا لاذناً ۝ فطلع ذلك
الى رأسه وعينه فأحدث له العمى . توفي سنة ٥٦٩ هـ :

(ابن عطاء)

ابو العباس احمد بن محمد بن عطاء ، أحد أئمة الصوفية ۝ حدث
عن يوسف بن موسى القطان والمفضل وغيرها . كانت له ختمة يتلوها
١٧ سنة يتدبرها مات ولم يكملها ، احضر في امر الحلاج وقد كتب الحلاج
اعتقاده ، فسأله الوزير حامد بن عباس عما قاله الحلاج فقال : من لا يقول بهذا
فهو بلا اعتقاد . فقال له الوزير : ويحك تصوب مثل هذا الإعتقاد ؟
فقال : مالك ولهذا ، عليك بما نصبت له من اخذ اموال الناس وظلمهم ،
مالك والكلام مع هؤلاء السادة . فأمر الوزير بضرب شذقيه ونزع خفيه
وان يضرب بهما رأسه ۝ فما زال يفعل به كذلك حتى سال الدم من
منخريه وامر بسجنه . فقيل له : ايها الوزير ان العامة تتشوش بهذا فحمل
الى منزله . قال ابن عطاء : اللهم اقتله اخبث قتلة واقطع يديه ورجليه ،
فمات ابن عطاء بعد سبعة ايام سنة ٣٠٩ ، وقتل الحلاج قبله بعد أن
ضرب نحواً من الف سوط وقطعت يداه ورجلاه ، ثم احرقت جثته بالنار
ونصبت يداه ورجلاه ورأسه أياماً على الجسر ، وكان ذلك لست بقين من
ذى الحجة سنة ٣٠٩ ۝ ثم مات الوزير مثل مادعا عليه ابن عطاء مقطوع
اليدين والرجلين مقتولا .

(ابن شنبود)

المقريء محمد بن احمد بن أيوب بن الصلت ابو الحسين المقريء

المعروف بابن شنبود . روى عن ابي مسلم وبشر بن موسى وخلف، وكان يختار حروفاً انكرها أهل زمانه عليه . وصنف ابوبكر بن الأنباري محمد ابن القاسم الحافظ الذي كان يحفظ في كل جمعة عشرة آلاف ورقة كتاباً في الرد عليه . كان ابو بكر المذكور من أعلم الناس بالنحو والأدب . وكان لا يأكل الا البقالي ولا يشرب ماء الا قريب العصر مراعاة لحفظه . عقد لابن شنبود مجلس في دار الوزير أبي علي محمد بن مقلة وادعى عليه بالحروف التي كان يقرؤها فأقر بالبعض ، فضر به الوزير ابو علي رأسه واستتيب . فدعا على ابن مقلة فلم يفلح بعد ذلك . وتوفي سنة ٣٢٨ .

(ابن مقلة)

الوزير أحد المشاهير الكتاب محمد بن علي بن الحسين بن عبد الله ابو علي المعروف بابن مقلة الوزير ، كان له بستان كبير جداً وعليه جميعه شبكة من ابريسم وفيه من الطيور والقاري والهزار والطواويس شيء كثير ، وفيه من الغزلان وبقر الوحش وحميره والنعام والأيل شيء كثير أيضاً . وولى الوزارة الثلاثة من الخلفاء المقتدر والقاهر والراضى ، وبني له داراً فجمع عند بنائها خلق كثير من المنجمين فانفقوا على ان تبني في الوقت الفلاني . فأسس جدرانها بين العشاءين كما اشاروا . فما لبث بعد استتمامها الا يسيراً . وقد انشد فيه بعض الشعراء :

قل لابن مقلة لا تكن عجلاً واصبر فانك في أضغاث احلام
تبني بانقراض دور الناس مجتهداً داراً ستنقض أيضاً بعد ايام
ما زلت تختار سعداً تطلبين لها فلم يوف بها من نحس بهرام
ان القران وبطليموس ما اجتماعا في حال نقض ولا في حال ابرام
ثم عزل عن وزارته واحرق داره وانقلعت اشجاره وقطعت يده ثم

قطع لسانه واغرم ألف ألف دينار ، ثم سجن وحده مع الكبر والضعف والضرورة ، وكان يستقى الماء بنفسه من بئر عميق يدي الحبل بيده اليسرى ويمسكه فيه . وقاسى جهداً جهيداً حتى مات في الحبس سنة ٣٢٨ ، ومن نظمه وهو يبكي على يده :

إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فان البعض من بغض قريب
والنكبات كثيرة لا تحصى وفيما ذكرناه مقنع . فان الكتاب كله أنموذج
ومسودة في بابهِ . والله تعالى اعلم .

(الفصل الثاني عشر)

(في اشعار المفلوكين ومن في معنهم من مقاصد شتى ويـان ان الحامل عليها انما هو الفلاكة) .

اعلم أن الفلاكة اذا استولت على شخص وسلبته القدرة على الأفعال انتقل الى الاسترواح والتنفس بالأقوال ، وذلك لما ان في الكلام راحة وفرجاً وتنقيصاً من ألم الباطن، ولذلك قلما يطبق كتمان الأسرار إلا الواحد الفذ ، وكذلك ايضاً قلما يطبق الانسان استدامة أقوال تخالف ما في باطنه بل لا بد له من فلتات مطابقة لما في باطنه ، لما ان النفس بطبعها تطمح الى طلب الراحة والاستلذاذ بحسب المقدور .

واذا اتضح ان في الاقوال تنفساً وراحة ولذة وتنقيصاً من آلام الباطن وضحت الحكمة في انتصاب المفلوكين خطباء وشعراء وحكماء فرة يسلون أنفسهم بترجيح الكمالات النفسانية على الكمالات المالية بالأدلة الخطابية والتشبيهات الشعرية ، ومرة يذكرون عوارضهم اللازمة بمقتضى الفلاكة ويصوغون عنها اعذاراً وحكمة وتشبيهات راقية وكلمات فائقة تنقيصاً من قبح صورتها ، وليشغلوا الناس بما أوردوه فيها من محاسن

الكلام عن الفكرة في صورتها الشنيعة « ومرة يساقون الى ذكر نقائصهم ويجعلونها رقة أدبية أو نكتة شعرية أو كلمة هزلية قبل ان يذكرها غيرهم عنهم ليصرفوا الناس عن الإشتغال بها لأن النفوس تكره المعاد ، ولذلك قيل في الامثال « أقبح من معاد » وليكون ذلك اخف على نفوسهم، لما ان الشخص لا يتأنف من نفسه ما يتأنفه من غيره ولا يثقل عليه كلامه ككلام غيره .

حكى ان الاخفش الصغير كان يحفظ الأهاجي التي هجاه بها ابن الرومي ويوردها في جملة ما يورده « والحكمة فيه ما ذكرته لا ما ذكره ابن خلكان في تاريخه من انه كان يقول « أنوّه بذكرى بها » فان ذلك ان قاله الاخفش فقوله غطاء على المعنى الحقيقي . ولذلك أيضاً يذكرون الأسفار ويغرون بها مرة وينهون عنها اخرى ، فالأغراء لما قدمته في الفصل الرابع ، والنهي يكون حيرة ودهشاً ، ولذلك ايضاً يغرون بتطلب المجد والثروة تارة ويأمرون بالقناعة اخرى قلقاً واضطراباً ويذمون الأيام ويتضجرون ويتململون ويستعقبون ويشعرون وهم لا يشعرون ويتفتنون وهم يفتنون ويحسبون انهم يحسنون صنعاً ألا انهم هم الخاسرون « ويتلطفون وهم يستثقلون ويتعذرون ولكن لا يعذرون أم تسألهم خرجاً فهم من مغرم مثقلون ، فانا لله وانا اليه راجعون .

والاغنياء عن ذلك كله بمعزل وعن العناء فيه بألف منزل « قد اغناهم الفعل عن القول والفضل عن الفضول والاعذار عن الاعتذار والإحسان عن صوغ اللسان ، وأنا أورد ان شاء الله تعالى أحاسن ما يحضرني من أشعار المفلوكين ومن في معناهم في هذه المقاصد كلها .

وانما قلت « و من في معناهم » دفعاً لسؤال مقدر توجيهه ان المذكور في هذا الفصل من الشعر منه ما هو من كلام الأمائل والعطاء والنبلاء :

فالجواب انه وان صدر عن عظيم او نبيل فانما ذكر بلسان المفلوكين وشرحاً
لحالهم ونيابة عنهم ورحمة عليهم ، او عند عارض فلاكمة حقيقية عرضت
لوجهه العظيم صيرته في حكم المفلوك بحسب تلك الحالة ، او عند عارض
فلاكمة حالية بحكم الوارد على القلة . فان الوارد - كما هو مقرر في كتب
الصوفية - اذا ورد على القلب وشابعته النفس بالاستحسان والاستجلاء ولم يمانعه
اكسب حالاً ، واذا علمت الأحوال المقتضية للاشعار الآتية والحامل عليها
فهاكها غير ناس ولا غافل عما قررته في مقدمة الفصل العاشر فانه محتاج
اليها في هذا الفصل ، فن ذلك قول القائل :

الى الله اشكو جور دنياكم التي تغر الفتى حتى يوارى برمسه
فتكسبه ان اقبلت حسن غيره وتسلبه ان ادبرت حسن نفسه

ومنه :

ما تطعمت لذة العيش حتى صرت للبيت والكتاب جليسا
أي شيء أعز عندي من العلم فما ابتغى سواء انيسا
انما الدل في مخالطة الناس س فدعهم وعش عزيزاً رئيسا

ومنه :

قلحى على البخل الشحيح بماله افلا تكون بماء وجهك أبخل
أكرم يديك عن السؤال فانما قدر الحياة اقل من ان تسألا
ولقد اضم الي فضل قناعتي وأبيت مشتملا بها مزملا
وأرى العدو على الخصاصة شارة تصف الغني فيخالني متمولا
واذا امرؤ أفنى الليالي حيرة وامانياً افئذتهن توكللا

ومنه :

عجبت سعاد من ارتياحى للعلا في العدم وهو يفل غرب الجامح
لا يغشنى الاقتار عاراً انني رحب الذراع بكل خطب فادح

ولربما نهض المقل بعبثه
مثل السماكين انتفاعك منهما
ولئن خفيت عن الورى وفصائله
فالنار في اشجارها مخبئة
ومنه :

أهوى الخمول لكي أظل مرفهاً
ان الرياح اذا عصفت لواقحا
ومنه :

المرء يحظى ثم يعلو ذكره
وترى الشقى اذا تكامل عيه
ومنه :

شغلنا بكسب العلم عن مكسب الغنى
وصار لهم حظ من الجهل والغنى
ومنه :

لأتحقرن أدياً راق رونقه
فالسكر العسلى الحلو من قصب
ومنه :

ينجد بي تارة ويتهم بي
حتى كأنى قذاة مقلته
ومنه :

وقالوا توصل بالخضوع الى الغنى
وبيني وبين المال شتان حرما
اذا قيل هذا اليسر ابصرت دونه

وحبا به المرون حبو الرايح
بالاعزل المدحوض فوق الرامح
كمد الحسود ونار غيظ الكاشح
حتى يتاح لها يمين القادح

ما يعانیه بنو الازمان
تولى الاذية شامخ الاعصان

حتى يزين بالذى لم يفعل
يرمى ويبخل بالذي لم يعمل

كما شغلوا عن مكسب العلم بالوفر
وصار لنا حظ من العلم والفقر

عن الفصاحة اما راح في شمل
والترجس البابلى الغض من بصل

ضر زمان بأهله جافي
أو خبث فوق كاسه طافي

وما علموا ان الخضوع هو الفقر
علي الغنى نفسى الأية والدهر
مواقف خير من وقوفي بها العسر

ومنه :

ولا تعدن رزقاً ما ظفرت به الا اذا دار بين الحلق والحنك

ومنه :

لا يؤيسنك من مجد تباعده فان للمجد تدريجاً وترتياً
ان القناة التي ابصرت رفعتها تنمو وتحدث أنبوباً فأنبوباً

ومنه :

والحر من حذر الهوا ن يحاذر الامر الجسناً
والعاجز المأیوف أق عد ما يكون اذا أقماً

ومنه :

المرء يجمع والزمان يفرق ويظل يرقع والخطوب تمزق
ولئن يعادي عاقلاً خیر له من أن يكون له صديق احمق
وان امرؤ لسعته أفعى مرة تركته حين يجر جبل يفرق
لا الفینك ثاوياً في غربة ان الغریب بكل نبل يرشق
ما الناس الا عاملان فعامل قد مات من عطش وآخر يفرق
والناس في طلب المعاش وانما بالجد يرزق منهم من يرزق
لو يرزقون على وزان عقولهم الفیت اكثر من ترى يتصدق
لو سار الف مدجج في حاجة لم يقضها الا الذي يترفق

هذه الأبيات لصالح بن عبد القدوس ، وقوله « يتصدق » هو

ببناء المجهول حتى يصبح المعنى المراد ، وهو ان الغالب على الناس قلة العقل والخفة ، وأصله يتصدق عليه فحذف عليه . ولو قرئ ببناء المعلوم لانعكس المعنى وكان معناه ان العقلاء هم الأكثر ، وليس بصحيح لادراية ولا رواية وهذا الرجل اتهمه المهدي بالزندقة فأمر بحمله اليه ، فلما خاطبه اعجب

بغزارة علمه وأدبه وحسن ثباته ، فأمر بإطلاقه فلما ولى رده وقال : الست
القائل :

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رسمه
إذا ارعوى عاد الى جهله كذى الضنى عاد الى نكسه
فقال : بلى. فقال : وانت لا تترك اخلاقك ، فأمر به فقتل سنة ١٦٧. فانظر
الى الفلاكة قال حكمة فكانت سبياً في قتله ، ومثله قول عمارة اليمني
الملقب نجم الدين الشاعر :

هذا ابن تومرت قد كانت بدايته كما يقول الورى لحماً على وضم
وكان اول هذا الدين من رجل سعى الى ان دعوه سيد الامم
أراد إظهار معنى بديع مبتكر . فكان سبياً في قتله في احد الأقوال
في سنة ٥٦٩ . وكنت هممت ان اضع فصلاً في الكلمات التي كانت سبياً
للحقوق ضرر عظيم لأصحابها كهاتين الحكايتين واسمها بالفلاكة اللفظية
لتكون الفلاكة ثلاثة انواع مالية ومعنوية ولفظية ، ثم بدا لي في ذلك
وخشيت ان يصير الكتاب ادبياً لاعلمياً ، ولترجع الى مقصود الفصل ومنه :

ليس الحمول بعار على امرئ ذي جلال
فليلة القدر تخفى وتلك خير الليالي

ومنه :

يا هذه ان رحمت في شمل فما في ذاك عار
هذي المدام هي الحيا ة قميصها خرق وقار

ومنه :

وليس قبح المكان مما يزرى به منصبي وديني
فالشمس علوية ومع ذا تغرب في حماة وطني

ومنه :

احتل الحقدك فاليد
امضى الحديد أرقه
والهجو بيت منه لا
يخفى الكثير من الخلا

ب بلطفه يستل ثاره
والماء يثقب في الحجارة
يطفى طويل المدح ناره
وة في القليل من المراره

ومنه :

ولا غرو أن يبلى الشريف بناقص

فمن ذنب التنين تنكسف الشمس

ومنه :

واني واعدادي لدهري محمدا

كلمتمس اطفاء نار بنافخ

ومنه :

فان تكن الدنيا انالك ثروة
فقد كشف الاثراء عنك خلائقاً

فأصبحت ذا يسر وقد كنت ذاعسر
من اللوم كانت تحت ثوب من الفقر

ومنه :

حيائي حافظ لي ماء وجهي
ولو أنى سمحت ببذل وجهي

ورفقي في مطالبتى رفيقى
لكنت الى الغنى سهل طريقى

ومنه :

ما الناس الا مع الدنيا وصاحبها
يعظمون أخوا الدنيا فان وثبت

فكيف ما انقلبت يوماً به انقلبوا
عليه يوماً بما لا يشتهى وثبوا

ومنه :

قالت وقد انتضت سيوف اللحظ
ذا حظك ما انقصك قلت لها

والدر مازح لذاك اللفظ
لو شئت لما كنت قليل الحظ

ومنه :

من منصفي من معشر كثروا علي وكبروا

صادقتهم وأرى الخرو
كالخط يسهل في الطرو
ج من الصداقة يعسر
س ومحوه يتعذر
ومتى أردت كشطته
لكن ذاك يؤثر

ومنه :

إذا فات الفتى شيطان أضحي
جمال الوجهه او مال عظيم
بعيداً من ممازجة القلوب
يزين في حضور او مغيب
فكثر المال يشفع في المناوي
وحسن الوجه يشفع في الذنوب

ومنه :

ان الغني الذي ترضى معيشته
لا تحقرن من الأيام محترماً
لا من يظل على ما فات مكتئباً
كل امرئ وسوف يجزى بالذي كسباً
قد يحقر المرء ما يهوى فيتركه
ان العدو وإن أبدى مكاشرة
إذا وترت امرأ فاحذر مغبته
من يزرع الشوك لا يحصد به عنباً

ومنه :

أتعبت نفسك بين ذلة كادح
ونثرت دهرك لا خلاعة ماجن
طلب الحياة وبين حرص مؤمل
حصلت فيه ولا وقار مبجل
وأضعت حظ النفس في الدنيا وفي
أخرى ورحت عن الجميع بمعزل

ومنه :

اهل المناصب في الدنيا ورفعتها
قد انزلونا لأننا غير جنسهم
اهل الفضائل محقرون بينهم
منازل الوحش في الاهمال عندهم
فليتنا لو قدرنا ان نعرفهم
مقدارهم عندنا اولو دروه هم
لهم مريحان من جهل وفرط غنى
وعندنا المتعبان العلم والعدم

ومنه :

إذا كان غير الله في عدة الفتى أته الرزايا من وجوه الفوائد

ومنه :

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

ومنه :

إذا شئت أن تحيا سعيداً فلا تكن على حاله إلا رضيت بدونها
ومن يطلب الغالي من العيش لم يزل حزيناً على الدنيا رهين غبونها

ومنه :

لنى رأيت الدهر في حكمه يمنح حظ العاقل الجاهلاً
وما أرانى نائلاً ثروة كأنه يحسبني عاقلاً

ومنه :

إذا وجد الشيخ من نفسه نشاطاً فذلك موت خفى
ألس ترى أن ضوء السراج له لب قبل أن ينطفئ

ومنه :

انفض يدك من الانام فكلهم شحاً يحل وانت عجزاً تعقد

ومنه :

انفض يدك من الزمان وخبره واحذر بنيه تفر بقله خبره
ولقد صفوت فما وجدت مصافيا في الله أصحبه ولا في غيره

ومنه :

وأخ لى تكدرت بعد صفو مشاربه
صاحبي حين لا يرى في الورى من يصاحبه
وإذا ما حظى به صدّ وأزور جانبه

ومنه :

إذا لم يكن صدر المجالس سيداً فلا خير فيمن صدرته المجالس
وكم قاتل مالي رأيتك راجلاً فقلت له من أجل أنك فارس

ومنه :

وأخ ان رام مني حاجة كان بالانجاح مني واثقاً
وإذا ما رمت منه حاجة كان بالرد بصيراً حاذقاً
يعمل الحيلة في الرد لها قبل ان افرغ منها ناطقاً

ومنه :

إذا ما مدحت الباخلين فانما تذكرهم ما في سواهم من الفضل
وتهدى لهم غمّاً كثيراً وحسرة فان منعوا منك النوال فبالعدل

ومنه :

وإذا المسافر آب مثلي مفلساً صفر اليدين من الذي رجاه
وخلا من الشيء الذي يهديه إخوان عند لقائهم إياه
لم يفرحوا بقدمه وثقلوا بوروده وتكرهوا لقياءه
وإذا أتاهم قادماً بهدية كان السرور بقدر ما أهده

ومنه :

لو كنت أجهل ما علمت لسرني جهلى كما قد ساءني ما أعلم
فالصعو يرتع في الرياض وانما حبس الهزار لأنه يتكلم

ومنه :

ان قدّم الصاحب ذا ثروة وعاق ذا فقر وافلاس
فالله لم يدع الى بيته الا المياسير من الناس

ومنه :

لا يدرك المجد من لا يركب الخطرا ولا ينال العلا من قدم الحذرا

ومن أراد العلا صفواً بلا كدر
وأحزم الناس من لو مات من ظمأ
وقضى ولم يقض من ادراكه وطرا
لا يقرب الورد حتى يعرف الصدرا
ومنه :

وقائلة ما بال مثلك خاملاً
فقلت لها ذنبي الى القوم انني
أأنت ضعيف الرأي ام انت عاجز
لما لم يحوزوه من المجد حائز
وما فاتني شيء سوى الحظ وحده
واما المعالي فهي عندي غرائز
ومنه :

من اخل النفس احياءا وروحها
ان الرياح اذا اشتدت عواصفها
ولم يبت طاوياً فيها على ضجر
فليس تومي سوى العالی من الشجر
ومنه :

ألا موت يباع فأشتره
ألا موت للذيذ الطعم يأتي
فهذا العيش مالا خير فيه
يخلصني من الموت الكريه
وددت لو أنني فيما يليه
اذا أبصرت قبراً من بعيد
ومنه :

ولواني استزدتك فوق ما بي
ولو عرضت على الموتى حياة
من البلوى لأعوزك المزيد
بعيش مثل عيشي لم يريدوا
ومنه :

قالوا أفت وما رزقت وانما
فأجبتهم ما كل سير نافعاً
بالسير يكتسب اللبيب ويرزق
الحظ ينفع لا الرحيل المقلق
ضرت ويكتدح الحريص وينفق
وبه اذا حرم السعادة يمحق
كالبدر يكتسب الكمال بسيره
ومنه :

سافر اذا حاولت قدرا
سار الهلال فصار بدرا

والماء يكسب ما جرى طيباً ويحبث ما استقرا
وبنقلة الدرر النقي سة بدلت بالبحر نحرا

ومنه :

قوِّض ركابك عن ارض تهان بها وجانب الذل ان الذل يجتنب
وارحل اذا كان في الأوطان منقصة فالمندل الرطب في اوطانه حطب

ومنه :

اذا ما نبت بالحر دار يودّها ولم يرتحل عنها فليس بذى حزم
وهبه بها صبا ألم يدر أنه سيزعجه عنها الحمام على رغم
ولم يكن الدنيا تضيق على فتى يرى الموت خيراً من مقام على هضم

ومنه :

وقالوا اضطرب في الارض فالرزق واسع فقلت ولكن موضع الرزق ضيق
اذا لم يكن في الأرض حر يعني ولم يك لي كسب فن اين ارزق

ومنه :

قالوا اغترب عن بلاد كنت تألفها ان ضاق رزق تجد في الأرض مقترحا
قلت انظروا الريق في الأفواه مختزنا عذبا فان بان عنها صار مطرحا

ومنه :

عوّ ركابك كل يوم منزلا وتنقلن كي لا تمّل وتضجرا
فالماء يعذب ما جرى وتلاطمت امواجه فاذا أقام تغيرا

ومنه :

اذا أنا لم اجد رزقاّ حللا ولم آكل حراماً مت جوعا

ومنه :

قالوا حسبت فقلت ليس بضائرى حبسي واي مهند لا يغمد

ومنه :

لم ينصبوا بالشاد ناج صبيحة ال
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم
اثنين مسبقا ولا مجهولا
شرفاً وملء صدورهم تبجيلا
فالسيف اهل ما يرى مسلولا

ومنه :

لا ينبغي للضيف ان كان ذا
ان يتعدى أبداً طوره
حزم وتدبير وطبع لطيف
ولا يرى الا بحكم المضيف
ان شاء ان ينصف او ان يخيف
وانما ينقض أحكامه
عليه ذو جهل وعقل سخيف

ومنه :

اذا شئت أن تستقرض المال منفقاً
فسل نفسك الانفاق من كنز صبرها
على شهوات النفس في زمن العسر
عليك وارفاقاً الى زمن اليسر
فكل منوع بعدها واسع العذر

ومنه :

اذا ما لم تكن ملكاً مطاعاً
وان لم تملك الدنيا جميعاً
فكن عبداً للمالكة مطيعاً
كما تختار فاتركها جميعاً
ينيلان الفتى الشرف الرفيعا
وما يسلب من ملك ونسك
ومن يقنع من الدنيا بشيء
سوى هذين عاش بها وضيعا

ومنه :

ياأيها العالم لا تشكي
العلم لا يسلبه اهله
فالخذق محسوب من الرزق
والمال مسلوب من الخلق

ومنه :

المال اشرف ما اقتنيت فلا تكن
سمحاً به وتأن في تفصيله

ما صنف الناس العلوم بأسرها
ومنه :

أحمد الله كم أجود في الدمه
كلّمي في الانام سحر ولكن
ومنه :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله
وأرواحهم في وحشة من جسومهم
ومنه :

من ظن ان الغنى بالمال يجمعه
فاستغن بالعلم والتقوى وكن رجلا
ومنه :

تصفو الحياة لجاهل او غافل
ولمن يغالط في الحقائق نفسه
ومنه :

لاني تركت لدى الورى دنياهم
وقطعت عن نفسي المطامع ليس لي
ومنه :

يقولون لي فيك انقباض وانما
ارى الناس من دنانهم هان عندهم
وما كل برق لاح لي يستفزني
واني اذا ما فاتني الامر لم ابت
ولكنه ان جاء عفواً قبلته
واقبض خطوى عن امور كثيرة

الا ليحتالوا على تفضيله

ر مقالا وما يفيد المقال
انا والسحر باطل بطل

وليس لهم حتى النشور نشور
وأجسادهم قبل القبور قبور

فاعلم بأن غناه فقره أبدا
لا ترجى غير رزاق الورى احدا

عما مضى منها وما يتوقع
ويسومها طلب الخال فتطمع

وظللت انتظر المات وارقب
ولد يموت ولا عقار يخرب

رأوا رجلا عن موقف الذل احجبا
ومن اكرمته عزة النفس اكرما
ولا كل من لافيت ارضاه منعا
اقلب طرفي اثره متندما
وان مال لم اتبعه لولا وربما
اذا لم اقلها وافر العرض مكرما

واكرم نفسى ان أضاحك عابساً
ولو ان أهل العلم صانوه صانهم
ولكن أدالوه فهان ودنسوا
أأشقى به غرساً وأجنيه ذلة
ومنه :

لا يحطن رتبتي سوء حالى
انا كالنار اطفأ القطر منها
آية الحسن في الجفون السقام
ولها بعد نفخة اعتلام

ومنه :

أصبحت مثل السيف ابلى غمده
ان يعتليه صدادكم من صفحة
طول اعتلاق نجاهه بالمنكب
مصقولة للماء تحت الطحلب
ومنه :

وأنت السيف ان تعدم حليا
ورب مطوق بالثبر يكبو
فلن تعدم فرنذك والفرار
بصاحبه وللرهج اعتبار

(الفصل الثالث عشر)

(في وصايا يستضاء بها في ظلمات الفلاكة وبهذا الفصل نختم الكتاب ان شاء الله تعالى)
اعلم يا أخي في الوفا واخوة المصطفى خصوصاً المفلوك مثلى ان في
الكلمات النفسانية لذة تزيد على اللذات الجسدية ، فلا تستصغرن نعمة الله
فيها متى زويت عنك الدنيا ، واستحضر قوله صلى الله عليه وسلم : « ان
الله يعطى الدنيا لمن يحبه ولمن لا يحبه ولا يعطى الدين إلا لمن يحبه ، وان
الأنبياء لم يورثوا درهماً ولا ديناراً وانما ورثوا العلم ، فمن اخذ منه فقد
اخذ بحظ وافر » .

وانظر كيف يكون استجلاء لطائف العلوم شاغلا عن الأكل والوقاع

أفتراه يكون دونها لذة وهو شاعل عنها ، وعليك من العلوم بالكتاب والسنة
والتمع بما فيها من النكات والطائف واستمد منها برد اليقين وثلج الصدور ،
ولا تقنع بالعلوم العقلية فإنها ملساء مزلة الأقدام ، واصحابها يضطربون
فيها اضطراب الأرشية .

هذا الامام فخر الدين على جلالته وامامته يصحح في بعض كتب
ما يضعفه في الآخر ، وابلغ من ذلك ان ابن الراوندي ساعه الله صنف
رسائل في خلق الأعمال وفي قدم العالم وغيرهما ، ثم صنف هو نفسه رسائل
في ردّ ذلك كما ذكره صاحب الفهرست .

ولا تجمع لنفسك بين قبح الظاهر وهو الفقر وقبح الباطن وهو الجهل ،
وسع الناس بأخلاقك ومعارفك ان لم تسعهم بمالك ومعروفك ، واجتنب
الإساءة اليهم ان عجزت عن الإحسان لهم ، وخذهم بالرجاء لانه أيسر
ولا تأخذهم بالخوف وان كانوا به اطوع لأنه أخطر ، وارض بميسورهم
وعظم حقيرهم ، فلا يحصل للنفس مقصودها الاخالقها فلا تطلب المقصود
إلا منه ، واجعل باطنك وحده لله ، وكن شديد الاستهانة بأمور الدنيا
ضراً ونفعاً عطاءً ومنعاً حصولاً وفواتاً سلامة وآفاتاً ، وانظر الأصلح
لنفسك من ذلك قبل وقوعه وبعده ، فتوخه واجتهد فيه ولا تكن وكلا بل
متحركاً كيساً ، ورقع خرق عجزك وفلاكتك بحيلتك ومصابتك والتعرض
لتنقيسات الدهر والثوب عند الفرصة ، ولا تيأس من روح الله . قال صلى
الله عليه وسلم : « ان لله في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها » قال
تعالى : « انه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون » . قال الشاعر :

والعاجزان الغالبان معاقب لا ينتهى ومعاتب لا يخجل

(وقال)

ثب على الفرصة في موضعها فهي لا تبقى ولا تستكسب

واقطع بأن ذرة من حظ خير من قنطار عقل . وان جزءاً واحداً من المال خير من أجزاء كثيرة من الكمالات النفسانية ، والله درّ من سمي المال كمال الكمالات ، وتحقق ان المعاصي كالسموم يضر قليلاً وكثيرها مع الاستخفاف بها ومع تعظيم ارتكابها وجليها وخفيها ، فلا تغتر بالتستر والحيلة فان الله عيونا من الملكوت ناظرة اليك ، وان للطاعات عباقاً وشذا نفوح على أهلها وان كتموها ، وللمعاصي نتنأ وذفرأ نفوح على أهلها وان أخفوها ، واذا نزعت عن الغواية فليكن لله ذاك الزرع للناس . وخذ الناس الى أغراضك بمصالحهم تحقيقاً أو توهيماً ، فان النفوس تنخدع بالباطل كما تنخدع بالحق ، ولا تأخذهم بغرصك المحض فقلما يساعفونك به إلا عوضاً عما سلفتهم من غرض لهم سابق ، وكن تواباً رجاعاً اواباً الى الله عظيم الإلتجاء اليه والاستعانة بقوته وباهر قدرته متملقاً له خاضعاً لجلاله ، وكن كثير الدعاء والالفاظ بأسماؤه تعالى وله الحمد ، فان الدعاء نسبته الى استجلاب المطالب كنسبة الفكر الى استدعاء المطلوب العلمي . قال صلى الله عليه وسلم : « الظواييا ذا الجلال والاكرام » قال تعالى : « قل ما يعبؤ بكم ربي لولا دعاؤكم » .

واياك اياك من التعميل على واحد بخصوصه من البشر والقاء الشراشر عليه . فان من القى شراشره على غير الله وكله وما اختاره لنفسه . وانهاك أنهاك عن التوقيف على بواطنك وخفاياك . وآمرك بآمرك بسد طريق العلم بذلك جهدك وتكثيف حجابها ما أمكن ، وكن مع الناس بلسانك وظاهرك من كمالهم الدنيوية التي يعتقدونها كمالاً . فان الدنيا قد صارت مخارق بلا حقائق . وثم أمور لا يمكن التصريح بها ولا تم بالتلقين ، وأنا اسأل الله ان يوفقك لها ويوقفك على حقيقتها .

هذا آخر ما تيسر لي كتابته في هذا الغرض مما سهل مما حضر وفي

النفس من معاودته وبسط القول فيه . فان هذا الكتاب انما وضعته سودة
وانمودجاً وبرناجماً في هذا المطلوب وفتحاً لباب عسى أن يلج فيه من حركه
الله لذلك ، ولم ادخر فيه مما حضرني إلا ماخفت على الكتاب من كساده
به لغموضه وكونه من الحكمة الضرورية أو من مشكلات غيرها من العلوم .
فيعسر فهمه أو ينتقده من لا يقف على حقيقة معناه أو لكونه تاريخياً محضاً
فيصبر الكتاب به أدبياً لاعلمياً . ولم تتسع المادة بمجانس لما أوردته أزيد
مما ذكرته . لأنني زحمت به بالخلخلة ولززت به لزا بين عوائقي النفسانية
وشوا على البدنية مع قلة الكتب وعدمها . وما احق هذا المقام بقول القائل :

ولست بأول ذي هممة دعت لما ليس بالنائل

يشمر للج عن ساقه ويغمره الموج في الساحل

وأنا أستغفر الله تعالى واتوب اليه مما لعله فيه مما هو من قبيل الشقشقة
والطنطنة ، أو من قبيل التمويه والسفسطة ، أو من حكم لم يصادف الحق
أو قول لعله يوافق مرضاته سبحانه وله الحمد ، أو من نية لعلها لم تخلص
لله . أو مقصد مزج بغير إرشاد شرعي ، أو من تعليل الأمور بالمقاصد
الدنية الدنيوية . واستقبله العثرة في ذلك كله واستوهبه المعذرة واستمنحه
المغفرة وأبرأ اليه من ذلك كله ، لا إله الا هو ولا غافر سواه .

(اللهم) يارحمن يارحيم يا واسع يا عظيم يا ذا الفضل العيم والمن
الجسيم يا معظيماً قبل السؤال وعالماً بالحال أسألك بأسمائك كلها وصفاتك
أجمعها وبكل ما اذا دعيت به اجبت ان تكشف عنا ضرر الفلاكة والإهمال
والحرمان . وان تصرفنا عن مواقع الشر والخذلان ، وان تحفظ ألسنتنا
وقلوبنا من الشيطان ، وان تكلأنا بالتوفيق وتؤيدنا بالتكلاان يارحيم يارحمن
لاحول ولا قوة الا بك يا علي يا عظيم .

(اللهم) اني اشكو اليك ضعف حيلتي وقلة قوتي وهواني على الناس

رب المستضعفين وربى الى من تكلنى ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي
لكن رحمتك أوسع لي .

(اللهم) اقبل معاذيري وتجاوز عن تقصيري ولا تتركني حقيراً ولا
تسلط علي تغييراً واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً .

(اللهم) قد رفعت يدي اليك فلا تردهما حضراً .

(اللهم) ضع فيهما من خيرك وبركتك .

ما أنت بالسبب الضعيف وانما نجح الامور بقوة الاسباب

فاليوم حاجتنا اليك وانما يدعى الطبيب لساعة الاوصاب

(اللهم) انقطع الرجاء الا منك وحصل اليأس الا من رحمتك لانعكس

ظناً قد عول على فضلك ولا تخيب أملاً طال تعلقه بك أعتق عنقاً مدمناً
اليك من رق غيرك فك اسيراً لا يملك فكاهه الا أنت .

(اللهم) ليس على عطائك عائق ولا يعجزك شيء فلك القدرة

الكاملة والرحمة الواسعة والحكمة البالغة وكلتا يديك سخاء ولا ينقص فيضك

العطاء وتستحي من تخيب آمليك غاية الحياء وعلمك قد أحاط بما في

الارض والسماء وبما في الظواهر والضمائر من الجلاء والخفاء انظر الينا منك

بنظرة رحيمة ربنا مسنا ضر نفوسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من

الخاسرين ، لا آله الا أنت سبحانك انى كنت من الظالمين ، سمع الله

نظر الله سبحان الله آمين وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين وصلى

الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

فهرس الكتاب

- خطبة الكتاب ٣
- الفصل الاول في تحقيق معنى المفلوك ٦
- الفصل الثاني في خلق الاعمال وما يتعلق به ٨
- الفصل الثالث في أن التوكل لا ينافي التعلق بالاسباب وان الزهد لا ينافي كون المال في اليدين ١٢
- الفصل الرابع في الآفات التي تنشأ عن الفلاكة وتستلزمها الفلاكة وتقتضيها ٢١
- الفصل الخامس في أن الفلاكة والاهمال ألصق بأهل العلم وألزم لهم من غيرهم وبيان السبب في ذلك ٤٩
- الفصل السادس في مصير العلوم كمالات نفسانية وطاعة من الطاعات ليس الا بعد كونها صناعة من جملة الصناعات وحرقة من الحرف ٥٦
- الفصل السابع في السبب في غلبة الفلاكة والاهمال والاملاك على نوع الانسان وبيان ذلك ٧٢
- الفصل الثامن في أن الفلاكة المالية تستلزم الفلاكة الحالية الفصل التاسع في أن التملق والخضوع وبسط أعذار الناس والمبالغة في الاعتذار اليهم واظهار حبهم ومناصحتهم من أحسن أحوال المفلوكين وأليق الصفات بهم وأفضاها الى مقاصدهم وبيان الدليل على ذلك ٧٨
- الفصل العاشر في تراجم العلماء الذين تقلصت عنهم دنياهم ولم يحفظوا منها بطائل ٨٢

- ٨٦ القاضي عبد الوهاب المالكي
 ٨٦ ابن مالك صاحب الألفية
 ٨٧ النضر بن شميل الشاعر التميمي
 ٨٧ الأخفش الصغير علي بن سليمان
 ٨٨ محمد بن يوسف التلعفري
 ٨٨ محمد بن أحمد الترمذي الشافعي
 ٨٩ الخطيب التبريزي يحيى بن علي
 ٨٩ أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن الأبيوردي
 ٩٠ عبد الله بن صارة الشنتريني الشاعر
 ٩٠ العز حسين بن محمد الشاعر المشهور
 ٩١ شهاب الدين السهروردي
 ٩١ الحافظ عبد الغني المقدسي
 ٩٣ محمد بن عبد الرزاق المحدث الرسغي
 ٩٣ الخليل بن أحمد الفراهيدي
 ٩٤ أبو الطيب الطبري
 ٩٤ أبو عثمان ربيعة بن فروخ
 ٩٥ أبو عثمان المازني البصري
 ٩٥ أبو سعيد السيرافي النحوي
 ٩٦ نجم الدين ابن أخي ابن خلكان
 ٩٦ اسماعيل بن عبد الله الأنماطي المصري
 ٩٦ بدر الدين بن مالك النحوي
 ٩٦ العفيف التلمساني
 ٩٧ علي بن أبي الحسن الحريري صاحب الزاوية
 ٩٨ قطب الدين الشيرازي

- ٩٨ ابن دريد اللغوي البصري
- ٩٩ القاضي يحيى بن اكرم
- ١٠٠ الزاهد ابو علي بن هود المرسي
- ٢٠٠ القاضي عبد العزيز الشافعي
- ٢٠١ بدر الدين التستري
- ٢٠٢ ابو عبيدة معمر بن المثنى
- ٢٠٢ الشاعر ابن هاني الأندلسي
- ١٠٢ ابو الغلاء اللغوي البغدادي
- ١٠٢ ابن النحاس
- ١٠٣ المنجم علي بن صاعد الصديقي
- ١٠٣ تاج الدين المراكشي
- ١٠٣ علم الدين الأصفهاني
- ١٠٤ الفخر الفارسي الفيروز آبادي
- ١٠٤ الشيخ خضر الكردي
- ١٠٤ ابن الخشاب البغدادي
- ٢٠٥ ابن بري المقدسي
- ٢٠٦ علاء الدين الباجي
- ٢٠٦ ابو الحجاج الحافظ المزي
- ١٠٧ احمد بن يونس المصري النحوي
- ٢٠٧ مروان بن أبي حفصة الشاعر
- ١٠٨ محمد بن داود الطاهري
- ١٠٨ الحسن بن سفيان الشيباني النسوي
- ١٠٩ بشر بن غياث المرسي
- ١٠٩ واصل بن عطاء المعتزلي

- ١٠٩ ابو حاتم الحنظلي الرازي
 ١١٠ سيبويه ابو بشر البصري
 ١١١ القاضي شريك بن عبد الله النخعي
 ١١١ ابن يونس الموصللي الشافعي
 ١١٢ الحافظ ابو بكر النيسابوري
 ١١٢ محمد شمس الدين التلمساني
 ١١٣ الحافظ ابن حزم الظاهري
 ١١٣ ابو الحسن علي بن بو عت
 ١١٣ ابو حاتم السجستاني
 ١١٥ ابن الجبان الاصفهاني
 ١١٥ عبد الرحمن السهيلي الأندلسي
 ١١٦ ابن دحية الكلبي
 ١١٧ محمد بن عبد الرحمن المسعودي
 ١١٧ القاسم بن فيرة الشاطبي الأندلسي
 ١١٧ أحمد بن طارق الكركي البغدادي
 ١١٨ القاضي الفاضل العسقلاني
 ١١٨ ابن بيان الأبياري المصري
 ١١٩ عبد الله بن بصيلة المكي
 ١١٩ شميم الشاعر الحلي
 ١٢٠ عيسى بن عبد العزيز الجزولي النحوي
 ١٢١ تاج الدين الكندي البغدادي
 ١٢٢ ياقوت الحموي الرومي
 ١٢٣ ابن معطي المغربي الزواوي
 ١٢٣ ابو حامد الاسفرايني

- ١٢٤ ابن عنين الشاعر الدمشقي
- ١٢٤ ابن حمويه اليزدي الشافعي
- ١٢٥ ابراهيم بن عرفة نفطويه النحوي
- ١٢٥ ابن خزيمة النيسابوري السلمي
- ١٢٦ ابو عمر غلام ثعلب
- ١٢٦ ابو الوقت السجزي الهروي
- ١٢٧ ابن نباتة السعدي
- ١٢٨ محمد بن يحيى الزبيدي
- ١٢٩ ابو النجيب السهروردي الصوفي
- ١٣٠ الميداني صاحب كتاب الأمثال
- ١٣٠ ابو العلاء العطار الهمداني
- ١٣١ ابن مكتوم القيسي الحنفي
- ١٣٢ ابن خالويه الحسين بن أحمد الهمداني
- ١٣٤ ابن الحصص البغدادي الجوهري
- ١٣٤ ابو بكر بن بقي الأديب
- ١٣٥ علي بن احمد بن نونخت
- ١٣٥ ابو بكر الصولي
- ١٣٦ ابو عبد الله ابن ظفر الصعلي
- ١٣٦ ابن السكيت النحوي اللغوي
- ١٣٦ ابو جعفر ابن المثنى الأديب
- ١٣٧ ابو سهل الصعلوكي الحنفي
- ١٣٨ ابو اسحاق الغزي الشاعر
- ١٤٠ ابو نصر الفارابي الفيلسوف
- ١٤١ ابو عبيد الهروي القاشاني

- ١٤١ ابن فارس الرازي اللغوي
- ١٤٢ ابو الحسين جحظة البرمكي
- ١٤٣ ابن الخياط الثعلبي الشاعر
- ١٤٣ ابو الفضل محمد بن طاهر المقدسي
- ١٤٤ ابن الهبارية الشاعر
- ١٤٥ ابن منير الشاعر الطرابلسي
- ١٤٦ ابو العباس النفيس
- ١٤٦ ابو الصلت الأندلسي
- ١٤٧ مبرمان النحوي
- ١٤٧ ابو الحسن الربيعي الزبيدي
- ١٤٨ ابو الحسن علي بن احمد القالي
- ١٤٨ البيهقي الحسرة وجردي
- ١٤٩ ابو سعيد الاصطخري
- ١٥٠ السيد ركن الدين العلوي الاسرآبادي
- ١٥٠ ابو هفان النحوي اللغوي
- ١٥١ العباس بن الفرع الرياشي
- ١٥١ ابن بابشاذ النحوي البصري
- ١٥٢ عبد الرحمن الأنباري النحوي
- ١٥٢ علي بن احمد الواحدي
- ١٥٣ ابن برهان الأسدي العكبري
- ١٥٣ الحريري صاحب المقامات
- ١٥٤ ابن الخباز الموصللي النحوي
- ١٥٥ الفصل الحادي عشر في مباحث تتعلق بالفصل الذي قبله
- ١٥٦ محي الدين النواوي

١٥٦	السهر وردي صاحب عوارف المعارف
١٥٦	الحسن بن العباس السرخسي
١٥٦	ابراهيم بن اسحاق الخوى
١٥٧	ابن الأنبارى صاحب أسرار العربية
١٥٧	عززي بن عبد الملك الشافعي
١٥٧	المبارك بن محمد السوادى الواسطي
١٦٠	مالك بن انس الامام المدني
١٦٠	ابو حنيفة النعمان بن ثابت
١٦٠	الامام احمد بن حنبل
١٦٢	يوسف بن يحيى البويطي
١٦٢	ابو عبد الله البخاري
١٦٢	احمد بن علي النسائي
١٦٣	ابو عمرو الثقفي النحوي
١٦٤	ابن الزيات وزير المعتصم
١٦٤	ابن الدهان النحوي البغدادي
١٦٥	ابن عطاء الصوفي
١٦٥	ابن شنبود المقرئ
١٦٦	الوزير ابن مقلة
١٦٧	الفصل الثاني عشر في اشعار المفلوكين
١٨١	الفصل الثالث عشر وصايا يستضاء بها في ظلمات الفلاكة

